هـــذا الكتـــاب

يتضمن تفسيـــراً روحياً رائعاً، للعـــلاَّمة السُريانى الشهـــير "ابن العبّرى"، وقـــد استمدّه من أقـــوال الآباء القدماء مثل القديـــس يوحنـــا ذهبى الفم، والقديس أغسطينوس والقديس باسيليوس الكبير، وغيرهم الكثيرين، مع إضافات أخرى.

وقد تم تبسيطـــه وتنسيقـــه، بأسلوب شيـــق، ومنـــاسب لكل المســـتويات، وللخُدَّام، والوعـــاظ ولكل الشعب فى مصر والمهجر.

ويمكن الإستفـــادة بالتفاســـير التى أعددنـــاها، لأسفـــار العهد الجديد كلها، جغرافياً وإجتماعيـــاً وعقائديـــاً وتاريخيـــاً وروحيـــاً وعلميـــاً لمزيد من المعلومات النافعة.

تطلـــب مـــن

مكتبـة المحبـة

٣٠ ش شبـــرا - القاهـــرة - مصـــر

تليفون وفاكس : ٢٥٧٧٧٤٤٨ - ٢٥٧٥٩٢٤٤ ت : ٢٥٧٥٨٢٦٢

E-mail: Mahabba5@hotmail.co

162

ܒܝܬ ܡܪܕܘܬܐ

ܕܡܠܦܢܐ ܓܘܪܓܝ ܒܪ ܐܢܛܘܢ ܕܒܝܬ ܟܝܪܐܙ

Ex Libris

Beth Mardutho Library

The Malphono George Anton Kiraz Collection

ܟܠ ܐܢܫ ܕܫܐܠ ܠܗ ܠܟܬܒܐ ܗܢܐ ܡܢ ܒܝܬ ܐܪ̈ܟܐ
ܐܘ ܦܣܩ ܡܢܗ ܡܕܡ ܢܗܘܐ ܡܫܟܚܐ ܒܗ ܒܡܣܩ̈ܠܐ
ܘܢܘܕܪܐ ܡܢ ܒܢ̈ܝ ܢܟܠܦܐ ܘܫܒܪܐ ܕܢܫܡܗ ܢܣܠ ܐܘ
ܠܟܠ ܠܗ ܫܒܪܐ ܠܐ ܢܫܡܗ ܢܗܘܐ ܠܗ ܫܒܪܐ ܟܠ
ܥܕ̈ܢܝܢܘܗܝ ܕܟܠ ܕܢܗܦܘܟ ܠܗ ܠܕܘܟܬܗ܀

Anyone who asks for this volume, to read, collate, or copy from it, and who appropriates it to himself or herself, or cuts anything out of it, should realize that (s)he will have to give answer before God's awesome tribunal as if (s)he had robbed a sanctuary. Let such a person be held anathema and receive no forgiveness until the book is returned. So be it, Amen! And anyone who removes these anathemas, digitally or otherwise, shall himself receive them in double.

مكتبة المحبة
من ذخائر المخطوطات
بإشراف نيافة الأسقف الأنبا سلوانس
النائب البابوى لمصر القديمة وفم الخليج والمنيل

تفسير المشرقى لإنجيل القديس يوحنا

(للعلاَّمة الشهير بابن العبرُى السرُيانى)

شرح رائع على ضوء أقوال الآباء القديسين القُدماء

(١٢٢٦-١٢٨٦م)

تبسيُّط وتعلّيق
الأرشيدياكون
د. ميخائيل مكسى إسكندر

أسم الكتاب : تفسير المشرقى لإنجيل القديس يوحنا
إعداد : أرشيدياكون د. ميخائيل مكسى إسكندر

الناشر : مكتبة المحبة ت : ٢٥٧٥٩٢٤٤ - فاكس : ٢٥٧٧٧٤٤٨
E-mail: Mahabba5@hotmail.com
جمع وتصميم الغلاف : شركة فاين للطباعة وفصل الألوان
تليفون : ٢٤٨٢٤١١٣

E-mail: Fineco_staff@finecoprinting.com

المطبعة : طبع بشركة هارمونى للطباعة
تليفون ٦١٠٠٤٦٤ (٠٢)

رقم الأيداع بدار الكتب : **١٠٨٦٣** /٢٠٠٨
الترقيم الدولى : 977-12-0917-0

صاحب الغبطة والقداسة

قداسة البابا شنوده الثالث

بابا الأسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية (١١٧)

نيافة الحبر الجليل الأنبا سلوانس

النائب البابوى لمصر القديمة

والمنيل وفم الخليج

مقدمة عن الكاتب

العلاَّمة السُريَانى «ابن العبَّرى» هو القديس المطران غريغوريوس يوحنا أبو الفرج جمال الدين. وقد وُلدِ بمنطقة ملطية بأرمينيا سنة ١٢٢٦م، ودرس السريانية والعربية واليونانية، كما درس اللاهوت والفلسفة، وتعلّم الطب من أبيه.

وقد توحَّد بجبال قرب انطاكية بسوريا، ثم رُسِم قساً بمدينة سورية. ثم تمت ترقيته لرُتبة تُعادل «المطرانية» سنة ١٢٦٤م. وقام بإنشاء عدة كنائس وأديرة، ورسم ٢٢ أسقفاً سريانياً أرثوذكسياً، وأستمر فى خدمته بنشاط إلى أن تنيَّح سنة ١٢٨٦م.

وألف ٣٤ كتاباً منها تفسير الكتاب المقدس، ومنه الجزء الذى بين أيدينا الآن، وكتاب طقسى «منارة الأقداس»، وكتاب عن قوانين الكنيسة، وآخر عن تاريخ الكنيسة.

وقد خلفه على كرسيه أخوه «برسوم» السريانى، وكان هو أيضاً عالماً فاضلاً، وقد تنيَّح سنة١٣٠٨ بسوريا.

وقد نشرنا له مخطوط النسكيات والفضائل الروحية، فى العام الماضى (طبعة مكتبة المحبة)، على أمل استكمال نشر باقى أعماله بإذن الله.

ونرجو أن تكون هذه الكتب سبب بركة ومنفعة روحية لكل من يقرأها، بصلوات **قداسة البابا شنودة الثالث**، وشريكه فى الخدمة **نيافة الحبر الجليل الأنبا سلوانس النائب البابوى لمصر القديمة وفم الخليج والمنيل**، والمشرف العام على هذه السلسلة آمين.

أرشيدياكون

د.ميخائيل مكسى إسكندر

الجيزة فى ١/٥/٢٠٠٨

(عيد استشهاد مارجرجس الرومانى)

سيرة القديس يوحنا الرسول

هو ابن زبدى وسالومى (مت٤: ٢١و٢٢) ولد فى بيت صيدا (لو٥:٩ و يو١:٤٤) وكان صياداً يصيد فى بحر الجليل كأبيه زبدى. وكان أبوه غير محتاج لأنه كان صاحب السفينة التى يصيد فيها وتحت يده عمال (مر١:٢٠) وكانت أمه من اللواتى خدمنَ يسوع وانفقنَ عليه من أموالهنَ (مت٢٧:٥٦ ولو٨:٣) وكان أولاً من تلاميذ يوحنا المعمدان (يو١: ٣٧-٤٠). وهو الذى عَّرفه بالمسيح. وذهب مع يسوع حينئذ لكنه لم يتبعه تلميذاً إلاَّ بعد حين، وذلك يوم دعاه المسيح وأخوه يعقوب الكبير دعوة خاصة (مت٤:٢١ ومر١:١٩ ولو٥:١٠) وسُمَّى «التلميذ الذى كان يسوع يُحبّه»(يو١٣:٢٣) وهو الذى وكَلَ إليه المسيح خدمة أمه السيدة العذراء وهو على الصليب (يو١٩:٢٧).

فمكث فى أورشليم إلى أن تنيحت البتول. والأرجح أنه ترك القدس سنة ٦٢. وأخذ يُبشَّر فى آسيا الصغرى. وكان أغلب إقامته فى أفسس عاصمتها. والمرجح أنه لما أقام عليها القديس بولس تلميذه تيموثاوس أسقفاً لم يكن فيها يوحنا وقتئذ. وربما لم يكن دخلها بعد، لكن بعد ذلك صارت له السلطة التامة على سائر أساقفة آسيا الصغرى، حسبما نُقِل عن إيريناوس تلميذ القديس بوليكربوس.

ولما ثارت زوابع الأضطهاد سنة ٩٥ قبض الأمبراطور الرومانى دومتيانوس على الرسول، وأرسله مقيداً إلى رومية حيث طرحه فى وعاء به زيت مغلى. فظل فيه ساعات بدون أن يلحقه ضرر. فتحَّيرالوالى من أمره، وأمر بإخراجه. ثم نُفِى إلى جزيرة «بطمُس» حيث رأى رؤياه.

ثم خرج يوحنا الحبيب من تلك الجزيرة التى مكث فيها سنة ونصفاً ورجع إلى آسيا. فجاء إلى أفسس، فوجد تيموثاوس الأسقف قد نال كأس الشهادة على أيدى الوثنيين الذين كان يوبخهم ويحثهم على ترك ملاهيهم، حتى حنقوا عليه وقتلوه.

وأما يوحنا فكان شديد الغيرة و كثير المحبة للمؤمنين. ولم يفتُر عن تعليمهم وتهذيبهم بجسب التعليم المسيحى السليم. ولما كبر وعجز عن تأدية الوعظ ولم يقدر أن يمشى، صار المؤمنون يحملونه على محفَّة إلى الكنيسة.

ونظراً لضعف جسمه كان يوجز فى وعظه ويقتصر منه على ماقل ودل. وقيل إنه كان يردد هذه الكلمات فقط وهى «ياأولادى حبوا بعضكم بعضاً» فضجر المؤمنون من تكراره لهذه الألفاظ. فسألوه لماذا لم يخاطبهم بشئ آخر؟! فأجابهم «لكون هذه هى وصية الرب، وهى وحدها، إن فعلنّاها تكفينا».

ومما ذَكِر عنه من شدة محبته لخلاص الخُطاة، أنه بينما كان ذات يوم يعظ فى إحدى مدن آسيا لمح فى وسط الجمع شاباً بديع الخِلّقة ومتوقد الذكاء. فاستحضره وأوصى به أسقف تلك المدينة أمام الجمع قائلاً «اجعل كل اهتمامك بهذا الشاب، فإنى أستودعه لك بحضرة الكنيسة ويسوع المسيح». ثم عاد الرسول إلى أفسس، فأخذ ذلك الأسقف فى تهذيب الشاب وتعليمه قواعد الايمانَ ثم عمدةً وناوله من سر الافخارستيا. ثم تركه وأطلق له كل الحرية. أما الشاب فأساء التصرُّف،لأنه تصادق مع ذوى الخلاعة والشباب الفاسد الأخلاق. فأفسدوا أخلاقه وحملوه على ارتكاب المنكرات. وأصبح أسيرعِشَرة رُفقائه الموذية. وفاق رداءةً عنهم، حتى صار لصاً، ثم زعيم لصوص.

فلما مضى على ذلك بعض سنين الى أن عاد يوحنا يفتقد مؤمنى تلك المدينة. فطالب الأسقف بالوديعة. فتعجب منه ظاناً أنه يطالبه بوديعة مال. فقال له الرسول: «إننى أُطالبك بالشاب الذى أودعته الإيمان وسلمَّته لك». فأجابه الأسقف والدموع تجرى من عينيه «قد مات». فسأله يوحنا عن كيفية موته؟! فأجابه إنه مات عن الإيمان، أى صار شريراً وزعيم لصوص، وكان قائماً فى إحدى الجبال مع جماعة من الأشقياء». فطالب الرسول بفرس ودليل، وخرج فى الحال من الكنيسة طالباً الموضع المقيم فيه ذلك الشاب. فلما بلغ المنطقة، قبض اللصوص عليه وأحضروه الى زعيمهم، الذى كان ينتظر وصوله، ليفتك به. أما هو فلما تأمله وعرفه أنه «يوحنا» خجل، وفر هارباً من أمامه. أما الرسول فانتعشت للوقت قواه وأخذ يجرى وراءه ركضاً كالشباب، وهو يصيح قائلاً: «إبنى إبنى!! ما بالك تهرب من وجه أبيك، وهو شيخ، لا سلاح معه. ارحم نفسك ووقر شيخوختى، ولا تخف، فلا يزال الرجاء بخلاصك مؤكداً، وأنا كفيلك عند المسيح، وأدفع حياتى لخلاصك، كما دفع يسوع حياته لأجلنا. قف مكانك وأيّقِن أن المسيح أرسلّنى إليك».

فلما سمع الشاب هذا الكلام ألقىّ سلاحه، ووقف يبكى بكاءً مُراً. فعانقه الرسول، وشجعّه واعداً إياه بنوال الصفح عن آثامه. ثم أتى به الى الكنيسة وصلى وصام من أجله، ولم يتركه حتى جعله مستحقاً ان يتناول من سر الافخارستيا.

وهذا بمقدار ما كان يوحنا يحب خلاص الخُطاة ويسَّعى الى رجوعهم، كان يُمقِت الهراطقة، فإنه دخل يوماً الحّمام العام، فلما رأى فيه كيرنثوس المبتدع حتى صاح لرفقائه قائلاً «لا ندخل حيث يكون عدو المسيح، لئلا يهبط الحمَّام علينا». وكان هذا المبتدع مثل الهراطقة أبيون ونيقولاوس يُتعبان الكنيسة بالتعاليم الفاسدة. ورِجَّح المؤرخون أن هذا الأخير هو ذاته نيقولاوس أحد الشمامسة الذين رسمهم الرسل(أع٧:٥) وقد ذكره السيد المسيح فى رسالته لأسقف كنيسة برغامس، إذ قال له المجد «عندك أنت أيضاً قوم متمسكين بتعاليم النقولاويين، الذى أبغضه» (رؤ٢:١٥).

ولما لم يبّق أحد من الرسل حياً سوى يوحنا، طلب المؤمنون منه بإلحاح أن يُفنّد أقوال الهراطقة المجدفين على ألوهية المسيح. فأجاب طلبهم وأخذ يكتب الانجيل. وقد روى عنه القديس يوحنا ذهبى الفم أنه صام وصلى مع المؤمنين كثيراً قبل شروعه بالكتابة. وأنه ابتدأ كلمات إنجيله قائلاً: «فى البِدء كان الكلمة (Logos)، والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله».

وعاش من العُمر نحو مئة سنة، بشيخوخة مقدسة. وكان يُروُض نفسه وينزهها أحياناً بأمور غير مخالفة للآداب. فقد روى عنه انه بينما كان ذات يوم ينشرح باللعب مع عصفور، مرّ به صياد فتعجَّب من تنازله وهو شيخ الى مثل هذا اللعب. فقال له الرسول«ما هذا الذى فى يدك؟» فأجابه الصياد «قوس» فقال له الرسول «لماذا لا تُبقّيها مشدودة دائماً؟» فقال له الصياد إن دام وتَرها مشدوداً يرتخى» فأجابه يوحنا : «ولهذا السبب أريّح نفسى بعض الوقت بالرياضة».

❖❖❖

وكان يوحنا كاتب هذا الانجيل أحد الرسل الثلاثة الذين اختارهم المسيح ليكونوا رُفقاءَه الخصوصيين فى بعض الأماكن. وهم بطرس ويعقوب ويوحنا. فهؤلاء الثلاثة وحدهم سمح لهم أن يعاينوا قيامة إبنة يايروس (مر٥:٣٧) والتجلى (مت١٧:١ ومر٩:٢ ولو٩:٢٨) وجهاده فى جثسيمانى (مت٢٦:٣٧ ومر١٤:٣٣).

وقد صار لهذا الرسول علامات تدل على محبة سيده له، وثقته به. وذلك بتسّميته إياه تكراراً «**التلميذ الذى كان يسوع يُحّبه**». وجلوسه بجانبه فى ساعة الأكل فى الفصح الأخير(يو١٣:٢٣) وتوصيته إياه وهو على الصليب أن يهتم بأمه(يو١٩: ٢٦و ٢٧).

وإذا كان هو أحد الاثنين المذكورين فى (يو١:٣٥ الى٤٠) كما يُظّن، فيكون من اول الذين دعاهم الرب الى الرسالة. وعلى كل حال يتضح من إنجيله انه تتلمذ للمسيح عند أول شروعه فى خدمته. وبناء على ما تقدّم يكون هذا الرسول- فضلاً عن نواله مواهب الروح القدس وحكمته الفائقة- قد حصل أيضاً على كل الصفات والفضائل، والمواهب التى تؤهله ليكون شاهداً أميناً لحياة مخلصنا وتعاليمه العظيمة.

إن هذا الانجيل موضوع فى آخر البشائر، وذلك حسب اعتقاد الاكثرين انه كُتب بعد خراب أورشليم، وبعد كتابة جميع أسفار العهد الجديد، أى فى أثناء عام ٩٨م، وذلك بعد رجوع يوحنا من النفى.

وكان الداعى الخصوصى الى كتابته تثبيت المسيحيين الاولين فى الاعتقاد بحقيقة لاهوت المسيح وناسوته، ودحض بعض الهرطقات المفسدة، التى ابتدّعها بعض المبتدعين، فى شأن ناسوت المسيح وموته.

وأيضاً ذكر القديس يوحنا بعض أقوال المسيح المهمة التى لم يذّكرها غيره من الإنجيليين. ونفس هذا الرسول له أسلوبه الخصوصى فى إنجيله، كما هو فى بقية كتاباته، يميزه القارئ من أول وهلةٍ. وكذلك الامور التى يتضّمنها هذا الانجيل هى أيضاً خاصة به، لأنه قلماً يذكر فيه من الأمور التى يذكرها غيره من الانجيليين. فهم يتكلمون أكثر منه عما فعل الرب فى الجليل، وهو يتكلم أكثر منهم عما فعل السيد المسيح فى أورشليم.

ومن جملة الامور التى يترّكها هذا الانجيلي- مما يذكره غيره- خبر ميلاد المسيح ومعموديته وتجربته. وكثيراً من أمثاله واحاديثه وأسفاره ودعوة الإثنى عشر رسولاً، وجميع عجائبه، ماعدا معجزة إشباع الخمسة آلاف (ص٦).

ومن جملة الامور الكثيرة التى يذكّرها، مما يتركه غيره من الإنجيليين إرشاد يوحنا المعمدا تلاميذه لإتّباع يسوع (ص١). وتحويل المسيح الماء خمراً (ص٢) وشفاؤه ابن خادم الملك (ص٣ وشفاؤه مريضاً فى بركة بيت حسدا (ص٥) واغتسال المولود أعمى فى بركة سلوام (ص٩ وإقامته لعازر من الموت (ص١١) وحديثه مع نيقوديموس (ص٣) ومع المرأة السامرية (ص٤ ومع الفريسيين، بخصوص لاهوته (ص٥) وفى كفر ناحوم من أنه هو خبز الحياة (ص٦) وم تلاميذه على مواضيع متنوعة. وخصوصاً ذلك الحديث الذى خاطبهم به فى تلك الليلة التى أُسلِّ فيها (ص١٤الى١٦) وصلاته الشفاعية (ص١٧) وظهوره بعد قيامته لتلاميذه على بحر الجليل (بحيرة طبرية) وإرجاع بطرس الى وظيفته الرسولية بعد إنكاره (ص٢١).

وأشهر ما يمتاز به انجيل يوحنا: التدقيق فى ذكر أحاديث وخطب المسيح التى بها يظه لاهوته ووظيفته. إما بالمجادلة مع أضداده (ص٨الى١٢) وإما بالمحاورات السرية مع تلاميذ (ص١٧الى١٣) وهكذا سمحت حكمة الله الفائقة - للتلميذ الذى كان يسوع يحبه، وكان حبيب الخاص، مدة خدمته على الارض- بوظيفة تسجيل ذلك الجزء العظيم من التاريخ الإنجيلى، الذ هو بأسمى درجة يرشدنا إلى معرفة عمل المخلص وصفاته وأقنومه الإلهى. وإذا كان عمل المخلص شخصياً هو غاية كل من الأنجيليين، فالبشائر الأربع معاً تشتمل على كل ماهو ضرور لتعليم الكنيسة وبُنيانها، إلى أنقضاء الدهر.

فيا أيها القارئ العزيز، أذكُر ما يقوله هذا البشير الحبيب (فى ص٢٠:٣١): «وأما هذه الآيات فقد كُتبت لتؤمنوا أن يسوع المسيح إبن الله، ولكى تكون لكم إذا آمنتم حياة بأسمه». فهذا النص الإلهى المقدس يؤيد لنا أن ما كتبه رسل ربنا هو دستور لإيماننا. وكافٍ لخلاصنا. فعسى الله أن يهب لك نعمته بغزارة، لكى تؤمن بإبنه، الذى نزل من السماء لأجل خلاص كل الناس «لأن الذى يؤمن بالابن له حياة أبدية، والذى لا يؤمن بالإبن لن يرى حياة بل يمكث عليه غضب الله» (يو٣:٣٦).

*** وفى هذا الإنجيل واحد وعشرون إصحاحاً تندرج فى خمسة فصول كبار:**

الفصل الأول: يتضمن ذكر أمور شئَ عن يوحنا المعمدان، وأمثال المسيح بعد شروعه فى خدمته(ص١).

ومما يستحق الملاحظة فى هذا الفصل، هو تأكيد الرسول بأن يسوع إبن الله، وهو خالق كل شئ، وأنه متأنس ليرفع خطايا العالم (ص١ إلى ٣و١٤و٢٩).

الفصل الثاني: يتضمن أقوال المسيح وأعماله العديدة إلى حين ظهوره الأخير فى أورشليم (ص٢الى١٢) وأشهر ما فى هذا الفصل خمسة أشياء: الأول: معجزة تحويل الماء خمراً (ص٢) الثانى: حديث المخلص مع نيقوديموس (ص٣) الثالث: توبة المرأة السامرية (ص٤) الرابع: أقوال المسيح الحكيمة مع اليهود (ص٥-١٠) الخامس: قصة أسرة لعازر، وقيامته العجيبة (ص١١).

الفصل الثالث: يحوى كلمات المسيح الوداعية مع رسله قبل موته (ص١٣ الى ١٧) وأشهر ما فى هذا الفصل ثلاثة أمور. الاول: مثال التواضع العملى الذى قدّمه المسيح، بغسله أرجل تلاميذه (ص١٣) الثانى: تأكيد وعده بمجئ الروح القدس ليكون معزياً للرسل، ويعلمهم التعليم الصحيح، ومعزياً للكنيسة دائماً (ص١٥و١٦) الثالث: صلاة المخلص الشفاعية لأجل رسله، ولكل مؤمن بإسمه (ص١٧).

الفصل الرابع: يتضمن خبر تسليم المسيح للرومان والحكم عليه بالموت، وصلبه (ص١٨الى ١٩) وأشهر ما فى هذا الفصل- عدا المذكور فى الاناجيل الأخرى- هو محبة يسوع لأمه، بطريقة عملية، واهتمامه بها حيث أوصى بها وهو على الصليب تلميذه يوحنا الذى كان يحبه (ص١٩).

الفصل الخامس: يذكر بعض الأمور عن قيامة السيد المسيح، وعن محادثته الأخيرة مع تلاميذه.

وأشهر ما فى هذا الفصل أمرانَ. الاول: ظهور المسيح، ورفعه شكوك توما الرسول(ص٢٠) وحديثه بالتَحنُّن مع بطرس التائب (ص٢١).

ونطلب من الرب ان يكون هذا التفسير، سبب بَرَكة ونفع روحى لكل من يقرأه، آمين.

ابن العبرى

الإصحاح الأول

١- «فى البدء كان الكلمة (Logos) [اللوغوس]»

يطلب المفسرون فى هذا الفصل عدة مطالب منها:

١- ما سبب عدم سير يوحنا على حسب ما ذكره متى ولوقا فى الإخبار بولادة مُخلصّ الكل وتصرفاته البشرية؟

والجواب، لئلا تنجذب العقول- باجماعهم على ذلك- إلى إبطال الاعتقاد بإلوهيته ويظن فيه أنه إنسان فقط. فانفرد يوحنا عن الكلام فى اللاهوت بأدلة من أعماله الإلهية المعجزية.

وان كان ذلك يتجاوز القدرة الانسانية حتى لا يتقرر ما يشوب الاعتقادات فيه زلل وخطأ. ولا يتوهم أحد أن مّخلص الكل مجرد انسان. وأن الإله غير مُتجَّسد.

٢- هل أورَّد يوحنا، ما سجَّله من أعمال اللاهوت، عن علمٍ تحققه من قبل؟ أم القدرة الالهية لقنّته له فأورده؟: والجواب: أنه فى الوقت الذى نطق فٍيه بما نطق، لم يفّقه حقيقته، لكن من بعد البحث والتفتيش عرفه، وعلم أن ما قاله يتجاوز قدرة البشر.

٣- عن الفرق بين المتقدم والمتأخر، والمبدأ. والجواب: إن المتقدم والمتأخر هما كالمَضَاف والمُضَاف اليه، فمتى وُجِد المتقدم وُجِد المتأخر، ولا يُفهَم المتقدم، إلا ويُفهَم المتأخر.

أما المبدأ: وإن كان مبدأ الأمور هى عنه، فإنه يوجد من قبل وجودها مع وجوده. ولا يتعلق فهمه بفهمها. فكل مبدأ متقدم. وليس كل متقدم مبدأ. فإن اول حجر فى الحائط هو متقدم وليس هو مبدأ للحائط. فأقنوم الابن الأزلى، وإن كان علة ومبدا للموجودات، فلا يلزم من ذلك أن يكون وجودها مع وجوده. ولهذا قال يوحنا «**فى البدء كان الكلمة**». ولم يقل (تقدَّم الكلمة).

٤- ذكر السبب الذى من أجله قال«فى البدء كان الكلمة» ولم يقل«كان الابن». والجواب لئلا تنجذب الأوهام الى كونه مخلوقاً، وعلى ما جرت عليه العادة فى الولادة الانسانية. ولئلا يتسرَّب الشك الى عقلك فتظن بالابن، أنه ليس بمساوٍ للآب فى الوجود (وفى الجوهر).

٥- ذِكْر السبب الذى من أجله سُمَّى أقنوم الابن «**الكلمة**»: والجواب أن العادة جرت فى الأمور الإلهية ان تُسَّمى بالإسم المصطلح عليها. ويُستعار لها أسماً من اسماء الموجودات، ويُختَرَع لها أسماء غريبة،لئلا يصعب فهمها، إذا كانت غريبة من جهة المعنى واللفظ. كما قيل فى العهد القديم «**إن الرب إلهنا نارآكلة**». فسمى الرب باسم النار ليدل على عِظَم انتقامه.

والكلمة أيضاً إسم يدل على أقنوم الإبن الازلى، الذى هو الجوهر الأزلى، مع خاصية أنه وُلد من الآب قبل كل الدهور.

وقال قوم وليس قولهم بحق «سُمى كلمة لأنه يدل على إرادة الآب، كما تدل الكلمة على مراد النفس. والملائكة قد دلوا على ذلك. فينبغى أن يُسّمى بهذا الإسم».

وقال آخر«إن الكلمة تُقال على أنواع كثيرة: على اللفظة الملفوظة بالفم. وعلى الموجودة فى النفس، وعلى تصَّور المعانى المُدرَكة فى الطبع، الموجودة بوجود النفس، والتى هى غير مُفارِقَة لها. فسماه«كلمة» ليدل على وجوده، مساوٍ لوجود الآب فى أزليته، ولا فرق بينهما، لا فى الجوهر، ولا فى الوجود، لكن فى الخواص فقط.

فإن خاصية الآب أنه أساس ووالد، وخاصية الابن إنه «مولود» من الآب.

وقال آخر«إنه قال فى البدء كان الكلمة، ولم يقل كلمة الله، لأن كلمة الله هى أوامره ووصاياه، لا الإبن الازلى».

ويقول القديس يوحنا فم الذهب«إنه فى البدء كان الكلمة، ليدل على أزليته ومساواته للآب فى الجوهر والوجود. وليُعَّرفنا الفرق بينه وبين الخليقة. كما قيل «فى البدء خلق الله السموات والأرض». ولم يقل «فى البدء كانت السموات والأرض».

أما أنت ايها القارئ فلا تتعثّر من ذكر اسم الآب والإبن، والعلة والمعلول (السبب)، لأنه لا يلزم من ذلك أنه يجب لبعضهما التقدُّم على بعض فى الزمان. فإن العلة أقدم من المعلول بما أنها علة، ولكن ليست هى أقدم منه، لا فى الزمان ولا فى الوجود.

وتأمل ما أحسن تكميل الرسول يوحنا، لكاتبى الإنجيل، عن طبيعة سيد الكل. فقد قال متى: «إن روح القدس أعد الجسد المُتحد به، الابن الازلى». فعلمنا عن الولادة الجسدانية التى لها بدء.

أى كانت بعد أن لم تكن. ويوحنا قال«فى البدء كان الكلمة» فعلمّنا عن الولادة الالهية. وأنه أزلى سرمدي(خالد) غير مفعول ولا مُحدَث. فبقوله: «كان» لم يقصد أنه لم يكن هناك زمان، كان ابن الله غير موجود فيه. بل إنه كان مع الآب منذ الأزل، **أى أنه هو أزلى**؛ لأنه كما أنه لا يظهر أبداً شعاع (أشعة) الشمس بدون نور، هكذا لم يكن الآب أبداً بدون الابن، بل هما معاً. أى فى الوقت نفسه كان الآب مع الابن، كما يكون النور مع الشعاع. وكما أننا نضّل إذا قلنا أننا نعاين الشعاع أولاً وبعده النور. هكذا نضل أيضاً إذا اعتقدّنا أنه وُجد الآب أولاً ثم بعده بزمان وُلِدِ الابن. فالإنجيلى بقوله«كان» نفى تصور كل زمان سابق(١).

ويحق للمسيح ان يُسّمى «**كلمة الله**» لأن الله كلّمنا به (عب ١:١) ولأنه أعلن افكار الله ومشيئته: كما ان كلمة الانسان تعلن افكار الانسان وإرادته فالمسيح أعلن الله لنا بتعليمه وبسيرته وبأعماله. وتسمية ابن الله بكلمة الله تنفى كل نسبة جسدية بينهما كنسبة الابن للآب البشريين.

٢- «والكلمة كان عند الله:»

لما قال «فى البدء كان الكلمة» استدرك لئلا نظن أنه علة ومبدأ وليس بمعلول. فأخبر كيف كان حاله عند الله. فقال«والكلمة كان عند الله» والمعنى انه معلول وإبن لأبيه، ومولود منه. ولا يخطرُن ببالك أن الولادة زمنية وتحتاج إلى الانفعالات والآلام الجسمانية. إنما هى ولادة إلهية لا زمان فيها ولا تقدم للوالد عن المولود بالزمان. وأعلى من أن تخطُر بالأوهام والأفكار. أو تُدرّكِها العقول. ففى قوله «فى البدء كان الكلمة» أوجب لأقنوم الابن الازلية وفى قوله «والكلمة كان عندَ الله» أوجب انه معلول، وليس بعلة. «والكلمة» لفظة دالة على الابن الازلى لا اللفظة الخارجة بالصوت. ولهذا صارت الكلمة مذكراً فى العربية.

ومن هذا القول نستدل أن الإبن أقنُوم(٢) مُميَّز عن أقنوم الآب، وأنه مع هذا التمييز **بينهما اتحاد كامل واتفاق تام فى كل رأى وقضاء وعمل**. وما كان لأحدهما من المجد والكرامة والعظمة كان للآخر بالتساوى.

(١) لفظة «الكلمة» لا يُراد بها صفة كالحكمة أو قوة كالنطق، أو كتاب الله، لأنه لا يصح أن يُقال إن الكتاب المقدس صار جسداً، بل المراد أقنوم. واعتاد اليهود تسّمية المسيح المنتظر «بالكلمة» ولاسيما المتشتتون بين الأمم، الذين عرفوا الفلسفة اليونانية، والذين كتب إليهم يوحنا، يفهون أن الكلمة هو الأقنوم الثانى من الثالوث القدوس.

(٢) أقنوم كلمة سريانية (وفى اليونانية **Hypostasis**) وتعنى صفة ذاتية خاصة بالجوهر الإلهى.

(وفى قانون الإيمان للمجمع المسكونى الأول، فى نيقية سنة ٣٢٥م : «**مساوى الآب فى الجوهر**»، أو «**واحد مع الآب فى الجوهر**» حسب المجمع المسكونى الثانى سنة ٣٨١م).

❖❖❖

«وكان الكلمة الله ٢- هذا كان فى البدء عند الله ٣- كل شئ به كان وبغيره لم يكن شئ مما كان ٤- فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس ٥- والنور يُضئ فى الظلمة، والظلمة لم تُدركه».

أولاً: أوجَّب للكلمة الأزلية. **وثانياً:** أنه معلول وليس بعلة: ولئلا يظن به أنه ليس بإله لأنه معلول قال «وكان الكلمة الله» إذ كان أقنوم الآب وأقنوم الإبن وأقنوم الروح القدس جوهر واحد. واختلافهم هو فى الخواص. فالآب والابن واحد فى الجوهر، مع خاصيته أنه والد. والإبن والآب واحد فى الجوهر مع خاصيته أنه وُلِدِ من الآب قبل كل الدهور. وكذلك الروح القدس واحد معهما فى الجوهر، مع خاصيته أنه انبثق من الآب.

وقوله «**هذا كان فى البدء عند الله**» معناه أنه مساوٍ له فى الجوهر، والقدرة. وأن هذه المساواة (فى الزمن) ليست مُحَدثة بل منذ الأزل (راجع أم ٨: ٢٢-٣١) ولم يستطع أن يكون الابن «كلمة الله» ليعلن للناس أفكار الله، إلا إذا كان فى البدء عند الله، ويعرف أفكاره منذ الأزل.

وأكد الرسول ذلك بأن قال «**كل شئ به كان**». أى به تم خلق العالم وجميع الموجودات المادية والروحية. وقال هذا ليدل على أنه غير منفصل عن الآب، وأنه مساوٍ له فى الجوهر. فالمسيح خالق كالآب. فتبيَّن من أعماله أنه الله، لأن الخلق مما يختص بالله. وقوله «**كل شئ به كان**» لا لأنه يجرى فيه مجرى الآلة والشئ المستخدم، لكنه فاعل (عامل) جميع الموجودات، وخالقها من العدم. وقوله «**وبغيره لم يكن شئ مما كان**» أى لم ينفرد الآب بشئ دونه، إذ كان جوهرهّما واحد وفعلهما واحد. ومعنى هذه العبارة هو نفسه معنى العبارة السابقة، إلا أن ما جاء فى الأولى فى صورة الإيجاب، وجاء فى الثانية فى صورة السلْب. وكرر القول للتوكيد ولدفع كل شك فى أنه لا استثناء فى كل خلق الله فى السماء والأرض وتحت الأرض لشئ من أنه عمل المسيح. وقوله «**فيه كانت الحياة**» معناه أنه ليس له الحياة فى ذاته فقط، بل هو أيضاً معطى الحياة. أى مصدر

حياة سائر الأحياء المُحَدثة، سواء كانت عاقلة أو غير عاقلة، جسدية أو روحية. وقوله «**والحياة كانت نور الناس**» معناه أنها تُكسِب الناس علماً، وأفكاراً صحيحة. فالمسيح لم يخلقهم ويعطيهم الحياة فقط، بل أفادهم بالعلم والمعرفة. وأرشدهم الى طريق الحق والسلام.

وقوله «**والنور يضئ فى الظلمة**»: يُريد بالظلمة العالم المملوء من ظلام الجهل والخطية التى سقط العالم بأسره فيها، بسقوط الانسان الاول. فكما أن النور يزيل الظُلمات، هكذا المسيح يزيل ظلمات الجهالة والضلالة من عقول الذين يطلبون ويرغبون أن يدخل فى قلوبهم، لإنارتها لأنه نور العالم. وأما الجهلاء والأشرار فقد قال عنهم «**والظلمة لم تُدْركه**» اى أنهم يرفضون النور الذى فى المسيح، ولا يفهمون تعاليمه، ولا يقبلوُن أن يدخل نوره قلوبهم، فيظلون فى جهلهم لحقيقة ملكوت الله وطريق عبادته، لأنهم اختاروا أن يبقوا فى جهلهم، لأنهم لا يحبون النور. وكانوا جسدانيين، فأغمضوا عيونهم عمداً، وبإراداتهم وحدهم.

٦- «كان إنسان مُرسل من الله اسمه يوحنا»

لما فرغ الرسول من الكلام عن أزلية الإبن ومساواته للآب، انتقل الى الكلام عن سابقه، أى **يوحنا المعمدان**. وعلة ذكره هنا كونه سابق المسيح وكون تعليمه شهادة لابن الله. وقوله «مرسل من الله» يفيد أن شهادة يوحنا إلهية لا بشرية. لأنه مُرسل من الله، لا من الناس.

٧- «هذا جاء للشهادة، ليشهد للنور، لكى يؤمن الكل بواسطته»

وظيفة يوحنا المعمدان الخاصة هى (الشهادة) أى أنه جاء لكى يشهد أن يسوع هو المسيح، والنور فى قوله «يشهد للنور» **هو المسيح الذى هو النور** (يو١٢:٣٦ وإش٦٠:١) وشهد يوحنا للمسيح، ليس لأنه مُفتقر إلى شهادة، لأنه قال (فى يو٥:٣٤) «أنا لا أقبل شهادة من إنسان»، بل شهد للمسيح لاحتياج الناس (اليهود) إلى شهادته: «**لكى يؤمن الكل بواسطته**» أى لكى يُصدّقوا بواسطة شهادته أن يسوع هو المسيح، وكانت شهادته كافية لإقناعهم لو أرادوا.

٨- «لم يكن هو النور بل ليشهد للنور»

ظن اليهود أن يوحنا هو النور، أى «**المسيح**» لأنه ظهر نبياً عظيماً، بعد ختام النبوات بنحو أربعمائة سنة، ولكونهم تأثروُا من حوادث ولادته العجيبة، ومن جُرأته وقوة مواعظه. فدفع البشير ذلك الظن بقوله «لم يكن هو النور بل ليشهد للنور» (المسيح نور العالم).

٩- «كان النور الحقيقى الذى يُنير كل إنسانٍ آتياً إلى العالم»

سُمَّى المسيح «**النور الحقيقى**» لأنه هو النور الأدبى الأزلى والغير المخلوق، والمنير العقول. وأما يوحنا المعمدان والرسل وباقى القديسين فهم أنوار محدودة. لأن أنوارهم مستمدة من نور المسيح. فهو كالشمس وهم كالقمر والنجوم. وسُمىَّ أيضاً «**بالنور الحقيقى**» لأن تعاليمه تُضاد التعاليم الكاذبة، ولأنه يُنيرَنا بأكمل نوع. أكثر من النور المادى، ولأنه يبث نوره فى كل مكان.

وقوله «**الذى يُنير كل إنسان**» معناه كل من يؤمن به، ويعود إلى الله باختيار وحرية، لأن الفضيلةُ تكتَسب بالإرادة لا بالاضطرار. ولا تمنع نفسها عمن يحبها. فمن لا يستنير فلا يلوم إلا نفسه، فهو الذى رفض قبول نور الإيمان والنعمة. فالشمس تنير لكل من يريد أن يستنير بها. فمن أغلق الأبواب والطاقات، لئلا يدخل النور إليه، فعدم استنارته من فعله. وقوله «**آتياً إلى العالم**» معناه أن المسيح يُنير كل إنسانٍ بإتيانه إلى العالم. وكثيراً ما أشير إلى المسيح «**بالآتى**» وبالذى «**يأتى**».

١٠- «كان فى العالم وكُوِّن العالم به ولم يعرفه العالم»

الكلام فى هذه الآية على المسيح، قبل التجسد. فمعنى «**كان فى العالم**» أن الكلمة ابن الله كان فى العالم منذ البدء، بذاته وحضوره، وقدرته الحافظة والمُدبَّرة العالم. فهو الذى وعظ فى أيام نوح (١بط٣:١٩) وهو الملاك الذى سار مع بنى إسرائيل فى البرية (أع٧:٣٨) وقوله «**وكُوِّن العالم به**» معناه أن العالم خُلِق به، أى أن «**الكلمة**» هو خالق العالم، وحافظه بعنايته.

فإذاً هو لم يأتِ إلى العالم كغريبٍ عنه، بل كان فيه قبل أن يُخلَق الإنسان. فكان يجب على العالم أن يعرفه حين أتى علانيةً. ولكن مع كل وسائل معرفته «**لم يعرفه العالم**» أى أن أكثر العالم لم يعترفوا به، ولم يطيعوه. بل عبدوا الأوثان دونه وسموَّها آلهة. أما أهل الفضل فعرفوه قبل مجيئه بالجسد، وأولئك مثل إبراهيم واسحق ويعقوب وداود وباقى القديسين (الصدِّيقين) فى العهد القديم. وعرفوه بعد مجيئه. وهؤلاء مثل الرسل وكافة المؤمنين به فى العهد الجديد.

❖❖❖

١١- «إلى خاصته جاء، وخاصته لم تقّبله»

الكلام فى هذه الآية عن المسيح، بعد التجسد: فمعنى **«كان فى العالم»** أن الكلام فى هذه الآية عن الكلمة بعد التجسد: ويريد بقوله **«خاصته»** الأمة اليهودية وسميت خاصته لأن الله اختارها لنفسه (تث٧:٦ وإش٣١:٩) والمسيح هو الله الذى إختار أولاد إبراهيم (تث١٩:٥) وفداهم من أرض مصر. وأعطاهم أرض الميعاد. وأعطاهم الشريعة والعهود والأنبياء (مز٧٦:٢) وهم خاصته، لأن المسيح «يهوة العهد القديم» إعتنى بهم، وحفظهم فى كل طرقهم. وقصد بذلك إعدادهم لقبوله حين يأتي.

وقيل إنه يريد بقوله **«خاصته»** جميع الناس. وعليه يكون يوحنا قد كرر- فى هذه الآية- قوله السابق، وهو: **«أنه كان فى العالم، ولم يَعّرفه العالم»**. وقوله **«وخاصته لم تقبله»** لا يُفهم على إطلاقه، بل المُراد أن كثيرين من خاصته لم يقبلوه. وقد قَبلَه الرسل والأثنان والسبعون تلميذاً والخمسمائة أخ الذين ذكرهم الرسول بولس (فى ١كو١٥:٦) ولكن هؤلاء قليلون بالنظر إلى باقى اليهود الكثيرين الذين رفضوه.

١٢- «وأما كل الذين قبلوه، فأعطاهم سلطاناً، أن يصيروا أولاد الله، أى المؤمنون باسمه».

«وأما كل الذين قبلوه». أى اعترفوا بأنه الكلمة، والنور والحياة. «فأعطاهم» بلا استثناء، سواء كانوا من الصدّوقيين أو الفريسيين أو العشاّرين، علماءً وجهلاء، يهوداً كانوا أو أمماً، فقد منحهم **«سلطاناً»** أى نعمة خاصة. أو حقاً **«أن يصيروا أولاد الله»** أى أنه أزال كل الموانع من أن نكون أولاد الله، إذ رفع عنا جُرم الخطية وغضب الله، وأعطانا (ثمار+ مواهب) الروح القدس، لنكون أولاد الله، بالميلاد الجديد (بالمعمودية).

ويُستَّدل من هذه العبارة، أن الله لا يمنح مواهبه للناس جبراً عنهم بل يمنحها لمن يُريدَها، ويشترك بحريته بالسعى معها. وقوله **«أى المؤمنون باسمه»** تفسيراً لقوله «الذين قبلوه» فلا يستطيع الإنسان أن يكون إبناً لله، ما لم يؤمن به، كما هو مُعلن لنا.

١٣- «الذين وُلدوا ليس من دم ولا من مشيئة جسد ولا من مشيئة رجل، بل من الله».

إن نعمة البنَّوة ليست بالتسلسل من أب إلى ولد، من إبراهيم كان أو غيره، بل نعمة البنّوة هى من الله تعالى.

فالولادة البشرية تكون من الدم، أى من الزرع البشرى، ومن الجسد، أى من الشهوة الجسدية، ومن مشيئة رجل، أى من تزاوج رجل بإمرأة. وأما الولادة الروحية الإلهية فتكون من الله أى بإرادة الله واختياره ومحبته، أى من روحه القدوس ونعمته. وقيل إن الولادة من الله تكون بثلاثة وسائل: الأولى: الدعوة من الله. الثانية: الإيمان والمعمودية، والثالثة: الطاعة المستمرة لأوامره تعالى.

١٤- «والكلمة صار جسداً، وحل بيننا، ورأينا مجده، مجداًكما لوحيدٍ من الآب مملوءاً نعمة وحقاً».

يريد «**بالكلمة**» ابن الله. وقوله «**صار**» بمعنى أتخذ جسداً. «**والجسد**» يريد به شخص إنسانى. لأن العادة جرت بأن يُسمىّ الكل باسم الجزء. وبقوله «**حلَّ بيننا**» أبطَّل أن يكون ذات الكلمة تغيَّر، أى استحال فصار جسداً. فيصير معنى الكلام، أن ابن الله الأزلى أعَّد شخصَ إنسان، واتحد به، منذ ابتداء تكوينه، وظهر للخليقة لتخليصها من الخطية.

وقال مفسر آخر إنه قال ذلك للتأكيد على الناسوت، وحتى لا يظن قوم به أنه خيال، لأن الكلمة لا يُرى، وحتى لا يعتقد أحد أنه إنسان فقط، لا إلهَّية له. وليدل على تفضله، ولفظة (صار) تقال على نوعين، أولاً: على الشئ الذى يتحَّول عن شكل ذاته. كقولنا إن الماء صار هواءً بمعنى أن طبيعته تغيرت فصار بُخاراً غازياً، بمعنى «أتخذ» كما تقول إن فلاناً صار نحوياً، بمعنى أنه أقتنى صناعة النحو، وذاته باقية. وإستعماله الجسد بدل الإنسان، كما جرَت العادة أن يُسمَّى الكُل باسم الجزء. كقول داود «إليك يأتى كل ذى جسد». أى كل إنسان.

ويقول يوحنا فم الذهب: «لما قال «وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله» أفاد سبب ذلك، فقال «والكلمة صار جسداً وحل بيننا» لخلاصنا. وتنازله وأتخاذه الجسد لم يُخرِج طبيعته عن حالها، فإنها باقية بعد الاتحاد، كما كانت قبل الاتحاد. كالملك الذى يدنو إلى مخاطبة المسكين، فإن ذلك الأمرلا يُحِّد من قَدْرِه».

ويقول أيضاً «إن معنى قول الإنجيل: إن الكلمة صار جسداً، هو أنه أتخذ لحماً تجسد به، ومعنى حلَّ بيننا، هو أنه سكن فينا، كما حلّ فى آخر، وهذا بمنزلة قول الرسول بولس «إن المسيح أفتدانا من لعنة الناموس، إذ صار لعنة لأجلنا» (غل٣:١٣) لا، لأنه ذاته قد صار لعنة، لكنه تحمَّل اللعنة، بأن سلك طريقاً صعباً، لخلاصنا منها.

وقيل إن «**حلَّ بيننا**» معناه إن الكلمة، كما سكن روحياً خيمة الأجتماع فى وسط بنى إسرائيل فى البرية نحو أربعين سنة (أع٧:٣٨) سكن الفادى الأرض إنساناً، نحو ثلاث وثلاثين سنة. وفى ذلك تنازل عجيب من المسيح ومجد عظيم لأرضنا. وفرح وبركة للذين شاهدوه.

ولما قال إن «**الكلمة صار جسداً**» أراد أن ينبئ أن ذلك لم يُغيِّره عن حاله. فقال «**ورأينا مجده**» أى ونحن التلاميذ قد تحققنا مجده وعظمته الإلهية. وعندنا شواهد عديدة على ذلك، ظهرت لنا، باعتماده وتجلّيه، ومعجزاته وموته وقيامته وقداسة سيرته وعظمة تعليمه. وإحسانه واحتماله الآلام من أجل البشر. فإن هذه كلها بيان لصفاته المجيدة، كأشعة من شمس لاهوته.

وقوله «**مجداً كما لوحيد من الآب**» معناه أن ذلك لم نرَ مثله إلا فى هذا الوحيد من الآب، أى أننا تحقّقنا من هذا المجد أنه ليس مجرد إنسان بل هو ابن الله أيضاً، لأن هذا المجد لا يليق ولا يخص إلا بابن الله.

وسُمِّى المسيح وحيد الآب، تمييزاً له عن أولاد الله الذين ذُكروا فى عددى ١٢و١٣ من هذا الأصحاح وهم كثيرون. وقد نالوا ولادتهم الروحية بالوسائل التى ذكّرناها. وإنما هو واحد أزلى واجب الوجود، وابن الله، بمعنى لا يصْدُق على غيره وحرف الكاف الموجود فى قوله «كما لوحيد من الآب» لا يدل على التشبيه بل هو للدلالة على الحقيقة.

ويقول يوحنا فم الذهب إن قوله «**كما لوحيد من الآب**» هو كقولك عن الرجل الماهر فى القتال «كأنه كالشجاع البطل» ومعناه أنه بالحقيقة شجاع ولا يماثله آخر.

ولما كان المجد الإلهى لا يمكن مشاهدته، فإن وجه موسى - وهو إنسان - لما استنار بنور الله لم يستطع أحد النظر إليه إلا من وراء برقع ارتداه. فكم بالأوَّلى بالابن الوحيد. فلهذا اتخذ الناسوت واتحد، به لنستطيع مشاهدة المجد الإلهى.

وقوله «**مملوءاً نعمة وحقاً**»، معناه أن الذى كان قبل التجُسد خالقاً ونوراً وحياةً، ظهر عند تجسده مملوءًا نعمة وحقاً. وهذا جزء من المجد الذى رآه التلاميذ. والصفتان المذكورتان هنا هما من صفات الله المُميّزة له عن كل خليقة (خر ٣٤:٦).

فالمسيح باعتبار كونه «كلمة الله» أعلن هاتين الصفتين للناس. **فهو مملوء نعمة** أى أتى ببشارة النعمة، لإظهار المحبة الإلهية للخُطاة الهالكين، لغفران خطاياهم وخلاص نفوسهم. **ومملوء حقاً** أى أعلن حق الله الروحى غير المحجوب برموز وظلال العهد القديم.

١٥- «يوحنا شهد له ونادى قائلاً «هذا هو الذى قلت عنه أن الذى يأتى بعدى صار قُدامى، لأنه كان قبلى:»

إن يوحنا الإنجيلى ذكر شهادات يوحنا المعمدان عن المسيح دفعات كثيرة ليخُجِل اليهود، بمخالفتهم إياه، رغم شهادة يوحنا له، لأنه كان فى نفوسهم جليلاً عظيماً. فأما باقى التلاميذ فإنهم أوردوا شهادات (نبوات) الأنبياء فى أمره، مثل شهادة إشعيا عن مولده من عذراء وصلبه وآلامه وغيره، لأن أكثر كلامهم كان عن التجسد والشهادة القريبة أوقّع وأشّرف من الشهادات البعيدة. وكما أن بشارته أعظم من بشارة الباقين، كذلك أيضاً الشهادة التى استعملها أشرف من شهادات أنبياء العهد القديم كلهم.

والشهادة الواردة ليست ليستفيد المخلص منها هو نفسه، إذ أن الأعظم لا يحتاج إلى الأدنى، لكن لإقناع اليهود.

ولهذا السبب أيضاً أتحد ابن الله بالناسوت، وظهر للناس واحتاج إلى شهادة يوحنا، حتى لا يشهد هو أيضاً لنفسه، ولأن العادة جرت بأن يلجأ الإنسان إلى الشخص المناسب، والموافق له فى لغته، واليهود لأنشغالهم بالأرضيات، كان فعلهم أرضياً ويوحنا لتقشفه وزهده وفضائله السامية كان تعليمه سمائياً. ودليل ذلك قوله «إن الذى أرسلنى لأُعمِّد بالماء، ذاك قال لى إن الذى ترى الروح نازلاً ومستقراً عليه، فهذا هو الذى يُعّمِد بالروح القدس» (يو ١:٣٣) ويقال «لماذا لم يقُل يوحنا المعمدان إن الذى يأتى بعدى هو ابن الله». وقال فقط (صار قدامى)؟! والجواب أن الطبيب الحاذق ينبغى أن يستدّرج المريض أولاً، ولا يفاجئه بالأدوية الصعبة.

ولما كان اليهود ميالين للأرضيات ونفوسهم لم تشعر بالسمائيات، لم يرَ من المناسب أن يفاجئهم بغاية الاعتقاد فى مُخَلِص الكل، بل أكتفى أنه قاسه إلى نفسه وهو أجَّل الناس عندهم وأفضلهم. وبقوله «الذى قلت عنه إن الذى يأتى بعدى» دلّ على أن معرفته إياه كانت قديماً، سواء من الله أو من النبوات والرموز، لا بالشهادة بالكلام فقط.

ولماذا لم يصرح المعمدان بهذا القول قبل حضور مخلص الكل؟ والجواب إنه لو قاله قبل حضوره، لكان يزدرى به اليهود، وتمتهن الشهادة. فلما حضر وشاهدته الناس حينئذ أبرز الشهادة، حتى تخرج من نفوسهم بصورة الحال الظاهرة التى هو عليها. وقوله «**يأتى بعدى**» معناه أنه يظهر للدعوة بعد دعوتى له. وقوله «**لأنه كان قبلى**» أى أنه أزلى. وقيل إن معناه إنه «أشرف منى، ومُقَدَّم علىَّ، وهو أعظم منى» كما أن الملك أعظم من وزيره.

١٦- «ومن ملئه نحن جميعاً أخذنا نعمة فوق نعمة»

بعدما أورد البشير شهادة يوحنا المعمدان، عاد الى الكلام فقال «**ومن ملئه**» أى من كمال النعمة الموجودة لناسوته، لاتحاده بالطبيعة الإلهية. وأشار بقوله «**نحن**» الى نفسه وسائر المؤمنين، كما نفهم من عدد١٤. وأشار بقوله «**أخذّنا**» اى أننا جميعاً نلنا من غِنَى نعمة المسيح التى لا تُحدّ. ومن تلك النِعَم الإلهية: مثل التبنِّى ومواهب الكهنوت والنبُّوة وعمل المعجزات وتفسير الكُتب المقدسة.

وقوله «**ونعمة فوق نعمة**» معناه أنه كما أن بنى اسرائيل كانوا يجمعون ما يحتاجون إليه **لأجسادهم** من المن يوماً فيوماً، كذلك المؤمنون يأخذون من نعمة المسيح ما يحتاجون إليه لنفوسهم، يوماً فيوماً. غير أن المؤمنين يزيد ما يأخذونه - من نعمة- على توالى الأيام. وهذه العبارة «ونعمة فوق نعمة» وردت فى بعض الترجمات هكذا «نعمة عِوضَ نعمة».

وعلى هذا يكون المعنى: «إننا قد أخذنا نعمة عِوض النعمة التى فقدّناها بالخطية الجدية. فحصُلنا اللآن على نعمة المُخلّص، التى بها نلنا التّبني. وقد أخذنا النعمة (والتعاليم) الإنجيلية» بدل نعمة الناموس. أى النعمة الكبرى والعُظَمى بدل الصغرى والادنى (روحياً).

ويقول يوحنا فم الذهب والقديس كيرلس الاسكندرى إن المعنى: أننا أخذنا عوِضَ نعمة المسيح نعمة تُشابهها، لأننا خلفلؤه وبنوه. فكما أن نعمة المسيح جعلته مُرَّضِياً لله وقدوساً وابناً له بالطبيعة، هكذا تجعَلنا النعمة التى ننالها عوضها، مَرضَّيين لله، وقديسين ، وأبناءً له بالتناول من السر الأقدس.

وقيل إن «عِوَض» معناها «من أجل». وعليه يكون المعنى أننا أخذّنا نعمة، من أجل نعمة المسيح، التى هى بمنزلة ينبوع يجرى منه إلينا النعمة. واليك بيان الاسباب التى لأجلها نعمة الانجيل تفوق نعمة الناموس - بما لا يُقّدر- قال البشير:

١٧- «الناموس بموسى أُعطِىَ. أما النعمة والحق فبيسوع المسيح صَارَا»

إن الموهوب من الله على يديَّ موسِى، هو فقط «**الناموس**» الذى يتضمَّن الأوامروالنوَاهي. وهو نعمة لأن الله أعطاه للبَشر، ليقودهم به الى الفضيلة. ويُهيِّئهم لقبول الانجيل: «**أما النعمة والحق فبيسوع المسيح صَارَا**». معناه إن موهبة البنوة، والميلاد الثانى، والشريعة الجديدة، والقُرب من الله، ورجاء القيامة، من الأموات، وغفران الخطايا، قد نلنَّاها بتوسُّط (بشفاعة) يسوع المسيح. أى وهبها لنا سيد الكل نفسه ربنا وإلهنا يسوع المسيح.

فالناموس (شريعة موسى) هو نعمة، لكنها غير كاملة، ولا تقدر أن تُخلِّص الذين يُقبلون إليها (عب١٠:١١) والإنجيل هو إحدى وسائط النعمة فائقة الكمال، وتُخَلِّص المؤمنين. والناموس نعمة مُعَطاة بواسطة العبد (موسى) والإنجيل نعمة صائرة بواسطة سيد الكل ربنا يسوع المسيح.

فالنعمة الانجيلية تمتاز عن نعمة الناموس بما يمتاز: السيد عن العبد، والله عن البشير. وإن وصايا الناموس تتعلَّق بالظاهر الجسماني، والايمان بالتوحيد لله وتعليم تقديم الذبائح الحيوانية. أما الانجيل فيتعلَّق بخلاص النفس. ويُعلمنا التوحيد والتثليث معاً، ويختص بالذبيحة الغير دموية، التى بها غفران الخطايا. وصاحبها قرَّب دم نفسه عوضاً عن الحمَلَ الذى ذُبح بمصر، وُرَّش دمه على عتبة الابواب العُلْيا، رمزاُ لدم الفادى الكريم.

قال يوحنا فم الذهب: «ما أحسن ما فعل يوحنا البشير. فإنه لم يقارن ما بين شخصيَّ موسى والمسيح، بل ما بين الامور التى اسُتفِيدَت من كليّهما. فالذى استفدناه من موسى كان عبارة عن الأمور والنواهى. أما الذى استفدناه من سيد الكل، فكان موهبة البنوة وغفران الخطايا».

وفضل الانجيل على الناموس، يتضح لنا مما قيل (فى رو ص٧ وص٨ و٢ كو٣: ٧-٩ وغل ص٣ وص٤ وعب ص٧ وص١٠).

١٨- «الله لم يَّره أحد قط. الإبن الوحيد الذى هو فى حضن الآب هو خَّبر»

لا أحد من الناس، أو الملائكة، عرف الله حق المعرفة. ليستطيع أن يُعلن صفاته بلا خطأ، لأن رؤية الله ضرورية لكمال معرفته. ولما كان ظهور الله غير ممكن، لأنه ليس له جسماً ولا مُدَركاً ولا محسوساً، أفصح البشير عن الذى ظهر لنا فقال «**الابن الوحيد الذى هو فى حضن الآب هو خبَّر**».

ومعنى ذلك أن ابن الله الأزلى هو الذى ظهر لنا. بأن أخذ جسداً منا، وخاطبنا به. وعلَّمنا الحق، وقال إنه «**الوحيد**» لأنه كذلك. وقوله «**فى حضن الآب**» معناه المساوى لأبيه فى الجوهر والسلطان والقدرة، والذى هو غير مُفِارق له، أى مع أن المسيح كان بناسوته على الأرض لكنه كان بلاهوته فى حضن الآب، كما هو منذ الأزل وإلى الأبد.

ويقول يوحنا فم الذهب: «وربَّ معترضٍ يقول كيف يُقال «**الله لم يَره أحد قط**» مع أن، إشعياء يقول «**إنى رأيت الله جالساً على كرسى عظيم**». ويقول حزقيال «**إنى رأيته جالساً على الكاروبيم**» ودانيال وغيره قد نظروه. والانجيل يقول «**إن ملائكتهم كل حين ينظرون وجه أبى الذى فى السموات**» وأيضاً يقول «**طوبى للأنقياء القلب، لأنهم يعاينون الله**».

والجواب إن الله ليس بجسم ولا يظهر للحواس ولا يجلس، إنما هو لفضل العناية إذا أراد الظهور، يظهر للناس، بأن يأخذ شكلاً ما، ويظهر به، كما يشاء (وكذلك الحال بالنسبة للملائكة) ولا يظهر بنفس جوهره (لاهوته). إذ أنه غير محسوس أو ملموس. والأنقياء القلب ينظرونه من خلال أعماله العالية. وهذا هو الذى تنظره الملائكة والأنبياء والصِدِّيقون.

واعلم أن ماأعلّنه إبراهيم وإسحق ويعقوب وموسى ويشوع وإشعياء وإرميا ودانيال-وكافة رجال الله الاُمناء- لم يكن إلا ماأعلِن لهم بطريق الوحى- أو الرؤيا- وجميعه من ظهورات الأقنوم الثانى (المسيح الابن) من اللاهوت، والذى هو القادر أن يعلن الله، لأنه «**كلمة الله**» وكان عند الله منذ الازل ويعرف أفكار الله ومقاصده، لأن له ولأبيه طبيعة واحدة. وبينه وبين اللآب محبة تامة، «**وهو والآب واحد**» كما أعلنه لتلاميذه (يو ١٤).

١٩- وهذه هى شهادة يوحنا حين أرسل اليهود من أورشليم كهنة ولاويين ليسألوه: «منْ أنت؟!»

إن يوحنا المعمدان شهد ليسوع مرات عديدة، ذكرها البشيرون الآخرون. ولم يذكر يوحنا البشير إلا شهاداته،بعد عماد سيد الكل. وسبب هذا السؤال إن رؤساء الكهنة كانوا قد رأوا يوحنا يسير سيرة ملائكية، ويصنع ما لم يصنعه غيره من الأنبياء.

فافترضوا أن وظيفتهم توجب عليهم هذا السؤال، وخاصة لعلمهم أنه قد زال القضيب من يهوذا (خضعوا للرومان) وانقضَت أسابيع دانيال (المحددة لموعد مجئ المسيح) فلابُد من ظهور المسيح. وقد عرّفنا (من لو٣:١٥) أنهم كانوا يظنون أن يوحنا هو المسيح. ولكوّن الأمر دينى وهام لم يرسلوا إليه إلا كهنة ولاويين، أى من خُدَّام الدين.

فسألوه قائلين «منْ أنت»؟. ويظهر من جوابه أنهم قصدوا بهذا السؤال هل هو المسيح؟ وكان السؤال له هدفه، لأننا قد علمنًا (من لو٣:١٥) أن «الشعب كان ينتظر والجميع يفكرون فى قلوبهم عن يوحنا لعله المسيح».

ومع أنهم كانوا يعرفون أنه لاوى وابن الكاهن زكريا. وأن المسيح يجب ان يكون من سبط يهوذا، ومن بيت داود إلا أن بُغضهم للمسيح واحتقارهم لفقره، ونسبته الى يوسف النجار، حملهم أن يُرسلوا الوفد الى يوحنا، حتى إذا قال إنه المسيح ينصرفون عن إكرام الرب يسوع، اعتَماداً على ذلك الإدّعاء من يوحنا. ولذلك أرسلوا اليه كهنة ولاويين، لتكون الشهادة أمامهم أوثق.

ولما كان المعمدان عارفاً بمكرهم، أجاب كما ترى فى العدد اللآتى:

٢٠- فاعتَّرف ولم يُنكر وأقرَّ «إنى لستُ أنا المسيح»

كان من اصطلاح العبرانيين إذا أرادوا تأكيد أمرٍ كررُوا الالفاظ الدالة على معنى واحد، كقول الرسول: «**اعترف. ولم ينكر. وأقر**». فإن هذه الألفاظ الثلاث معناها واحد. وهو أن المعمدان رفض كل دعوى، فى أنه هو المسيح. ورفض الإكرام الذى استعد الناس أن يُقدُموه له، باعتبار كونه «المسيح» فلما رأى الوفد أعترافه سألوه الأسئلة الآتية:

٢١- فسألوهُ إذاً ماذا: إيليا أنت؟ فقال «لست أنا» النبى أنت؟ فأجاب «لا»

كان اليهود يتوقعون مجئ النبى إيليا بذاته من السماء، قبل مجئ المسيح، وأنه يسيرمع المسيح فى الأرض، وتعميد الناس أيضاً، وفقاً لقول الله فى العهد القديم (فى حز٢٥:٣٦ و ٢٦ وفى زك١:١٢) فسألوا المعمدان قائلين: «هل إيليا أنت» فأجاب «لست أنا» أى أنى لست أنا إيليا حقيقة، كما تزعمون.

نعم إن يوحنا أتى بروح «بشجاعة» إيليا وقُوتّه (لو١٧:١) وشَبَهه (فى البتولية) وهو الذى قصده ملاخى فى نبوته (مل١:٣) فسألوه قائلين هل «النبى أنت»؟ أى النبى الذى أشار إليه موسى (فى تث١٥:١٨).

فإن بعض اليهود فسروا تلك النبوة بأنها إشارة إلى المسيح، وبعضهم فسرَّها بأنها إشارة إلى واحد آخر من الأنبياء، يقترن مجيئه بمجئ المسيح.

وقد رأينا فى (متّ١٤:١٦ ومر١٥:٦) أن بعض اليهود ظنه إرميا أو أحد الأنبياء القدماء قد قام من الأموات. فاعترف يوحنا المعمدان بأنه ليس هو النبى المقصود فى نبوة موسى، على أى تفسيرٍ كان، أى أنه ليس المسيح ولا أحد الأنبياء القدماء، الذى قام من الأموات.

٢٢- فقالوا له «منْ أنتَ لنعطِى جواباً للذين أرسلونا؟ ماذا تقول عن نفسك»؟
٢٣- قال «أنا صوت صارخ فى البرّية قَوّمُوا طريق الرب، كما قال إشعياء النبى».

لما رأى أعضاء الوفد أن المعمدان نفى الفروض الثلاثة التى فرضوها، إلتمسوا منه أن يُصّرح بحقيقة أمره. فقال «أنا صوت صارخ... ألخ» فأظهرّ بجوابه هذا أنه أتى لإتمام النبوة المذكورة فى سفر (إش٣:٤٠) فقد أشار إشعياء إلى مجئ المسيح بإنبائه عنه (ص٤٠ إلى ص٤٦).

فأتخذْ المعمدان مجئ نفسه وتبشيره ومناداته، إتماماً لأول ذلك الإنباء، وأشار بذلك إلى أنه قد اقترب قدوم الملك المنتظر - أو الموعود به - وأنه هو نفسه يُعِد الطريق قُدامه. فكأنه قال «أنا سابق المسيح، وظهورذلك المسبوق قريب جداً».

٢٤- «المُرسَلوُن من الفريسيين»

ذكر البشير إن المرسلين من قِبلَ رؤساء الكهنة فريسيون، بياناً لسبب سؤالهم الآتى. أى أنه لم تكن غايتهم الوقوف على الحقيقة، بل قصدهم المقاومة كعادتهم (لو٧: ٣٠).

٢٥- فسألوه وقالوا له «فما بالك تُعمّد إن كنتَ لستَ المسيح ولا إيليا ولا النبى»؟

أى لو كنتَ أحد هؤلاء الثلاثة لحَق لك أن تُعمِّد بناءً على قول حزقيال (٣٦: ٥و٢٦) وقول (زكريا١٣: ١) فأنظر إلى الحّسد كيف يُخّرِج صاحبه عن العقل والفضل والأخلاق الكريمة، ويجعله يخلط الأمور، ويُخبِّط فى كلامه.

وأما يوحنا المعمدان فأجابهم بكل تواضع:

٢٦- أجابهم يوحنا قائلاً: «أنا أُعمد بماء، ولكن فى وسطكم قائم الذى لستم تعرفونه.
٢٧- هو الذى يأتى بعدى الذى صار قُدّامِي، الذى لستُ بمستحقٍ أن أحُلَّ سيور حذائه».

كأنه يقول «إن الله أرسلنى لأعمّد بالماء. وأستحثكم على التوبة. وأجعلكم تستعدون لمعمودية المسيح، الذى هو الآن بينكم، ولا تعرفونه المعرفة الصحيحة، بل تظنون إنه مجرد إنسان وضيع، مع أنه الإله الازلي. وأنا لا استحق أن أخدمه أحقر خدمة. وكان يؤديها العبيد.

٢٨- «هذا كان فى بيت عَبرَة فى عبر الاردن حيث كان يوحنا يُعمد»:

أى أن الشهادة التى أقرّ بها المعمدان لم تكن خفية، ولا فى زاوية، بل على مرأى من كل الناس. بجانب الأردن، قريباً من أورشليم. وبيت «عبرة» معناه محل العبور، ومن هناك عبر بنو اسرائيل الأردن عند مجيئهم الى أرض كنعان مع يشوع.

واختار يوحنا المعمدان هذا المكان للتعميد، لكثرة الماء فيه، ولأنه عُرّضه لاجتماع الناس فيه، وإحياءً لذكرى عبور بنى اسرائيل الى أرض الميعاد.

٢٩- وفى الغد نظر يوحنا يسوع مُقبِلاً إليه، فقال «هوَّذا حَمَل الله الذى يرفع خطية العالم»

«**فى الغد**» أى غد اليوم الذى أدَّى فيه الشهادة قدَّام الوفد المرسل من أورشليم كما عرفنا. «**نظر يوحنا يسوع مُقبِلاً إليه**» علماً إن الرب يسوع بعد ما اعتمد ذهب الى البَّرية، لكى يُجرَّب من إبليس. فصام أربعين يوماً وأربعين ليلة.

والوقت المذكور هنا هو الزمن الذى رجع فيه يسوع من البرية أو بعده بقليل. وكان مجئ يسوع وقتئذٍ، القصد منه أن يعطى يوحنا المعمدان فرصة ليشهد له «فقال» المعمدان على مسمع من الجماهير المحتشدة لسماع وعظه، وللإعتماد منه: «**هوذا حَمَل الله**» وتشير تسمية المسيح «**حَمَلاً**» إلى كونه ذبيحة الخطية، وأنه المرموز اليه بكل الذبائح التى قُدِّمت فى العهد القديم، كفارةً عن الإثم. فإن الحملان كانت تُقَّدم لذلك الغَرض (لا٥:٦) والمسيح هو الحَمَل الحقيقى المُشَار اليه بخروف الفصح (١كو٥:٧) وهو تمم نبوة إشعيا، المذكورة (فى ص ٥٣) بقوله «كشاةٍ تُساق إلى الذبح» (إش٥٣:٧) وهو الحَمَل الذى بلا عيب (١بط١:١٩) وسُميَ أيضاً «**حَمَل الله**» لأنه تعَّين من الله - منذ الأزل- لكى يُذبح فداءً عن الناس. ولأنه قدَّم نفسه ذبيحة عن خطايا العالم، ولأن الله وعد بأن يكون كذلك فى النبوات والرموز التى هو عيّنها. وُسمىَ أيضاً حَمَل الله تميزاً عن سائر الحملان التى هى حملان الناس، كما أنه يمتاز بوداعته وهدوئه مثل الحملان. وقوله: «**الذى يرفع خطية العالم**» يفيد أنه مات لخلاص جميع البشر، وليس عن اليهود فقط.

٣٠-«هذا هو الذى قلتُ عنه يأتى بعدي، رجل صار قُدامِى، لأنه كان قَبْلى»

أشار المعمدان بهذا الكلام الى الشهادة التى أداها قبلاً (فى ع١٥من هذا الاصحاح) (فراجع التفسير هناك). وكان قد أشار اليه «**أنه الآتي**». وهنا عيّنه حسياً. وهو موجود فعلاً فى ذلك الوقت بقوله «**هذا هو**» (المسيح).

٣١- «وأنا لم أكن أعرَفه. لكن ليظهر لإسرائيل، لذلك جئتُ أعمد بالماء»

«**وانا لم أكن أعرفه**» اى لا تظنوا أيها اليهود أن شهادتى بأن يسوع هو المسيح صادرة عن صداقة أو قرابة. فأحقّقِ لكم إنى لم أكن أعرفه ولا رأيته، ولا خاطبته. قبل أن يأتى ليعتمد. ولما رأيته عرفته بإلهام من الله.

«**ولكن ليظهر لإسرائيل، لذلك جئتُ لأعَمد بالماء**». أى أن الله عرّفنى - بوحى منه- أن أعرف المسيح، لكى أُظهِره (أشهد له) لبنى اسرائيل، الذين وعدهم الله به ليُخلّصهم كلهم.

٣٢- وشهد يوحنا قائلاً: «إنى قد رأيتُ الروح (القدس) نازلاً مثل حمامة من السماء فاستقَّر عليه».

(راجع : مت ٣:١٦ ومر١: ١٠و١١) وقوله «**فاستقر عليه**» يفيد أنه يخص المسيح أن يحصل على نعمة الروح القدس كلها حصولاً مستمراً، لا فى وقتٍ دون وقت. وأما الباقون فتحل فيهم المواهب الضرورية لتقديسهم، كما قال القديس إيرنيموس (جيروم).

٣٣- «وأنا لم أكن أعرفه. لكن الذى أرسلنى لأُعمّد بالماء ذاك قال لى «الذى ترى الروح نازلاً ومستقراً عليه، فهذا هو الذى يُعمّد بالروح القدس»

كيف يقول المعمدان «**وأنا لم أكن أعرفه**» وهو القائل للمسيح عندما جاء ليعتمد منه «**أنا محتاج أن أعتمد منك وأنت تأتى إلىّ**»؟ (مت٣:١٤).

والجواب إنه لم يكن يعرفه فى الوقت الذى كان فيه يعيش فى البرية، ولكن عندما جاء الى الأردن لُيعَمِد، وجاء الرب يسوع ليعتمد منه، عرفه بإلهام الله.

ونستفيد من قوله «لكن الذى ارسلنى لأُعمّد بالماء ذاك قال لى الذى ترى الروح نازلاً ومستقراً عليه، فهذا هو الذى يُعّمد بالروح القدس»، إن الله أمر يوحنا بأن يعُمد وأنه تعالى وعد يوحنا بأن يُعّرفه بالمسيح، وأن يوضحه له بالعلامة المذكورة، وأنه تعالى أمره بالشهادة للمسيح.

ونتعلم من قوله عن المسيح إنه «**يُعمّد بالروح القدس**» أنه له المجد - بهذه المعمودية- يهب **المؤمن به حياة روحية**، لتجديده. وهو مايؤكد ضرورة إستفادة المعتمد بسر الميرون **(التثبيت) فور العماد** (كالطقس القبطى الأرثوذكسى).

ويسأل سائل ويقول «كيف مع حلول الروح القدس على المسيح، ورؤية اليهود ذلك، وشهادة **يوحنا المعمدان، لم يؤمنوا به**»؟ والجواب إن اليهود لم يشاهدوا فقط حلول الروح نازلاً ومستقراً (مثل حمامة) على المسيح، بل رأوا معجزاته الفائقة وإقامته للموتى، ولم يؤمنوا به، وذلك من فرط الحسد الذى طمس عيون الذين قاوموه وحاكموه وتسببُوا فى صلبه وموته.

٣٤- «وأنا قد رأيتُ وشهدتُ أن هذا هو ابن الله»:

وكأنه قال قد رأيتُ بوضوح وتأكدتُ تماماً أن يسوع هو «**الكلمة**» المُتجَّسد. وتحققتُ ذلك من أنه لا أحد يُعِمّد بالروح القدس، ويهب الناس المواهب الروحية، مالم يكن هو الله نفسه.

٣٥- «وفى الغد أيضاً كان يوحنا واقفاً هو وإثنان من تلاميذه»

ذكر الانجيلى يوحنا ثلاث شهادات أداها يوحنا المعمدان فى ثلاثة أيام متتابعة. الأولى أمام الوفد الفريسى المرسل من أورشليم. والثانية بحضرة المسيح أمام الجمع. والثالثة هذه. فقوله «**فى الغد أيضاً**» أى غد اليوم الذى أدى فيه الشهادة الثانية. وقوله «**كان واقفاً**» والأرجح أنه وقف فى بيت عَبَرة، حيث اعتاد أن يقِف ويبشر قبل العِماد، وكان أحد «الاثنين من تلاميذه» هو «**اندراوس**» كما فهمنا من ع ٤٠ من هذا الاصحاح، ولاشك أن الآخر هو «**يوحنا**» كاتب هذه البشارة. ولم يذكر إسمه جرياً على عادته، فإنه يُنكِر ذاته، ولا يتحدث مباشرةً عما يخص نفسه.

٣٦- فنظر الى يسوع ماشياً وقال «هوذا حَمل الله»:

إن هذا القول، ليس مجرد شهادة ليسوع، بل هو أيضاً للتلميذين أن يتبعا المسيح. فكأنه يقول لهما: «لماذا تتبعانى؟ وأنا لستُ المسيح. هوذا حمَل الله فاتبَعاه» وقد تم ذلك فعلاً. فإن التلميذين أثّر فيهما كلام يوحنا المعمدان، وحَملهَما على أن يتبعا يسوع. كما قيل:

٣٧- «فسمعه التلميذان يتكلَّم فتبعا يسوع»:

أن إتبَّاع التلميذين للرب يسوع- هذه المرة- لِيس بمعنى أنهما تركا كل شئ وصارا له تلميذين، كما فَعَلا بعد ذلك (لو٥ :١٠و١١) بل اقتفيا أثره، لأنهما لم يكونا بعد دُعيا منه للتكريس العام للخدمة معه.

٣٨- فالتفَتَ يسوع ونظرَهَما يتبعان. فقال لهما: «ماذا تطلبان؟»
فقالا «رَبِى الذى تفسيره يا معلم، أين تمكث؟»:

إن سؤال يسوع لهما بقوله «**ماذا تطلبان**» ليس لأنه ليس عالماً بأفكارهما ومقاصدهما أحسن معرفة. بل ليُشجعَّهما ويُمِهّد لهما طريق المعرفة أو المحادثة معه، لأنه لو لم يسألهما لَماَ

تجاَسَرا على مُخاطبته. «فقالا رَبِى» وقد فسر البشير لفظة (رَبِى) بالمعلم. فدعوة التلميذين يسوع «بالمعلم» دليل على إرادتهما أن يكون المسيح مُعلِّمهما وحده، وأن يكونا من تلاميذه.

وبقولهما «**أين تمكث**»؟ أظهرَا أنهما يرغبان أن يقابلاه على إنفرادٍ، لكى يخاطباه سراً للإسترشاد منه عن الأمور الالهية والحياة الأبدية.

٣٩- فقال لهما «تعاليا وانظَرَا». فأتيَا ونظرا أين كان يمكث. ومكثَا عنده ذلك اليوم. وكان نحو الساعة العاشرة (٤ عصراً).

لم يقل المسيح للتلميذين - كما قال لغيرَهما- أنه ليس له مكان يسند رأسه. ولم يقل لهما إنه قد «أدرككما المساء. انصرفا الى الغد» بل «قال لهما تعاليا وأنظَرَا». وبذلك دعاهما أن يتبعاه فى الحال. «فأتَياَ ونظَرَا أين كان يمكث» أى فأطاعا نعمة دعوته لهما.

أما المكان الذى كان يُقيم فيه، فيرجِّحُ انه كان وقتئذ فى بيت عبَرة. وقوله «نحو الساعة العاشرة» معناه أنه كان مضى من النهار عشر ساعات، وكان باقياً على المغيب ساعتان. وذكر الانجيلى ذلك ليُشِير الى محبة المسيح لهما. إذ لم يؤجل إجابة طلبِّهما الى اليوم التالى. وإلى غيرة التلميذين الحارة إلى سماع تعليمه. إذ آثَرا السهر مع المسيح، والمفاوضة بأمر الخلاص على الراحة فى النوم.

وعليه كان معنى قوله «**ومكثا عنده ذلك اليوم**» أنهما استمَّرا معه اليوم الطبيعى كله، والمنطوى على الليل أيضاً.

٤٠- «كان اندراوس أخو سمعان بطرس واحداً من الأثنين اللذَّين سمَعا يوحنا وتبعاه»:

ذكر البشير اسم أحد التلميذين اللذين تبعا الرب يسوع، بناءً على كلام المعمدان. وقال إنه «**اندراوس**» الذى تبع المسيح قبل بطرس. وأما التلميذ الثانى فقد أجمَّع المفسرون أنه **يوحنا الرسول** الذى لم يذكر اسمه قط فى إنجيله. وقد فعل لك تواضعاً منه كعادته.

ومن أهم صفات خادم الرب الحكيم اقتداؤه بالرب يسوع، ويوحنا المعمدان، ويوحنا الحبيب، ورفض المجد الباطل (محبة المديح) وإنكار الذات بإتضاع عملى.

٤١- هذا وجد أولاً أخاه سمعان (بطرس) فقال له « قد وجدنا مسَّيا، الذى تفسيره المسيح».

اختلف المفسرون فى المقصود من قوله «**أولاً**» فقيل إن التلميذين ترَكا المسيح وقتاً قصيراً. ووجدا بطرس. ثم رجعا معه الى المسيح. وقيل إن اندراوس ويوحنا ذهبا ليُفتشَّا عن بطرس، فى طريقين مختلفين. وأن اندراوس وجده أولاً.

وقيل إن كل واحد منهما ذهب لكى يفتش عن أخيه. فنجح اندراوس فى مقصده أولاً. ونستفيد من قوله لأخيه: «**قد وجدّنا مسَّيا الذى تفسيرَه المسيح**» أنهم كانوا يتوقعون مجئ المسيح ويترقبُّونه. وأنهم كانوا يفحصون بانتباه نبوات العهد القديم - المتعلقة بالمسيح- ليعرفوا على منْ تنطبق؟

ويُستدّل من تفسير الانجيلى لكلمة (مسَّيا) انه لم يكتب إنجيله لمجرد إفادة اليهود، الذين لم يكونوا فى حاجة الى هذا التفسير. ومعنى «**المسيح**» الممسوح من الروح القدس، ليكون نبياً وكاهناً وملكاً (أع ١٠:٣٨).

ويتعجب فم الذهب من الدرجة التى وصل إليها اندراوس من الفضيلة، فى ليلة واحدة اجتمع فيها مع المُخلِّص، حتى أنه بمجرد معرفته بالمسيح أحب اشتراك أخيه فى النعمة التى وصل إليها. فعلينا جميعاً ان نقتدى باندراوس، ونجتهد فى إرشاد غيرنا إلى المسيح، لنفع نفوسهم روحياً.

٤٢- فجاء به الى يسوع. فنظر إليه وقال «أنت سمعان بن يونا. أنت تُدعى صفا الذى تفسيره بطرس».

لابُد أن سمعان واندراوس كانا قد تكلما كثيراً فى شأن المسيح المنتظر. وأنهما كانا مثل سمعان الشيخ ينتظَران تعزَّية اسرائيل، حتى أن بطرس بمجرد ماسمع كلام أخيه، جاء معه الى المسيح.

وقبل أن يتكلم سمعان أو يقترب، عرف المسيح منْ هو؟ وابن منْ هو؟ وما اسمه؟ وما سوف يُدعَى؟ وهذا برهان على لاهوته. لأنه لا يعرف خفايا القلوب، وماسيكون فى المستقبل، إلا الله. وكلمة (صفا) سريانية معناها صخر، إشارة الى شجاعة بطرس وثباته فى الإيمان. فهى نبوة من المسيح، بصفات بطرس، فى المستقبل.

٤٣- فى الغد أراد يسوع أن يخرج (يسافر) الى الجليل. فوجد فيلبس، فقال له «إتبّعني».

«**فى الغد**» أى فى اليوم الرابع من شهادة المعمدان أمام الوفد المرسل من أورشليم: وفى اليوم التالى لقبول المسيح اندراوس ورفيقه. فى ذلك اليوم قصد الرب يسوع أن يذهب الى ولاية الجليل فى الشمال. وبينما هو متأهب «وجد فيلبس فقال له اتبعني» ولابُد أن يسوع رأى فى قلب فيلبس استعداداً لتلبية هذه الدعوة للتكريس،قبل أن دعاه. وقال اكليمنضس الإسكندرى إن فيلبس هو الذى قال للمسيح «إئذن لى يا سيد أن أمضى وأدفِن ابى» فقال له يسوع «اتبعني، ودع الموتى يدفنون موتاهم» (راجع متى ٨: ٢٢و٤٤).

٤٤- «وكان فيلبس من بيت صيدا من مدينة إندراوس وبطرس»:

قال يوحنا فم الذهب: إن سكان بيت صيدا كانوا فظى الأخلاق (الطباع) همجيّين حتى قال عنها المسيح «الويل لكِ يا كورزين. الويل لكِ يا بيت صيدا مت١١» فأراد الإنجيلى أن يمتدح إيمان فيلبس واندراوس وبطرس على اتباعّهم المسيح، قبل الجميع، مع أنهم من هذه المدينة القاسية القلب (راجع مر٦:٤٥ ولو٩:١٠). ولا يجب أن يُقّلد المسيحى أهل العالم فى قسوتهم.

٤٥- فيلبس وجد نثنائيل وقال له «وجدنا الذى كتب عنه موسى فى الناموس والأنبياء. يسوع ابن يوسف، الذى من الناصرة».

«**فيلبس وجد نثنائيل**» ولم يجده صدفة، بل سعى فى طلبه، لأنه كان صديقه ونسيبه، فوجده. ونثنائيل لفظة عبرانية معناها (عطية الله) **والأرجح أنه برثلماوس الرسول**. واستدل المفسرون على ذلك بأن الإنجيليين ذكروا دائماً برثلماوس بعد فيلبس، كما ذكره يوحنا هنا بعده، وأنه لا توجد لبرثلماوس فى إنجيل يوحنا إلا دعوة نثنائيل هذه. وأن باقى الإنجيليين ذكروا برثلماوس، ولم يذكروا نثنائيل. ويوحنا ذكر نثنائيل ولم يذكر برثلماوس. ولا وجه لذلك إلا كونهما واحداً. فنثنائيل اسمه وبرثلماوس كُنيّته.

وقوله «**وجدنا الذى كتب عنه موسى والأنبياء**» يدل على أن نثنائيل كان رجلاً حكيماً عارفاً بالكُتب المقدسة ولا يقبل إلا ما تأكدت براهينه من الكتاب. وأشار فيلبس بقوله: «**الذى كتب عنه**

موسى» إلى وعد الله لإبراهيم (تك١٧:٧) وليعقوب (تك٥٩:١٠) والرموز والطقوس والذبائح، ولاسيما ماكُتِب فى (تث١٨:١٥).

وبقوله «**والأنبياء**» أشار إلى النبوات العديدة عن المسيح، وهى لا تُحصى. وقوله «يسوع ابن يوسف الذى من الناصرة» تكلم به حسب رأى العامة إذ كانوا يظنون أنه كذلك (لو٣:٢٣).

ويظهر من هذا الكلام أن فيلبس لم يكن عرف حينئذ إلا بعض الحق من جهة المسيح. فذكر البشير الذى قاله فيلبس، لا الذى كان يجب أن يعرفه من أمره ويقوله عنه لصديقه.

٤٦- فقال له نثنائيل «أمن الناصرة يمكن أن يكون شئ صالح؟» فقال له فيلبس «تعال وانظُر».

كانت الناصرة قرية حقيرة فى الجليل. وكانت منطقة الجليل أقل اعتباراً من أرض فلسطين. وكان يسكنها أجانب كثيرون. واستفهام نثنائيل يُراد به التعجُّب والشك، لا الاستخبار، لأنه كان مُتحقِقاً أن مولد المسيح يكون فى بيت لحم لا فى الناصرة كما قال ميخا النبى.

فكأنه قال «إن الناصرة مكان دنئ فى الجليل، وقد كُتب أن المسيح يأتى من يهوذا وعشيرة داود، ويولد فى بيت لحم، فكيف تقول إنه من الناصرة؟».

ولقد أحسن فيلبس. وسلك أفضل طريق، لإزالة شكوك نثنائيل، بقوله: «**تعال وأنظر**». فلم يُجادله، لأنه لم يكن قد عرف إن المسيح وُلِدَ حقاً فى بيت لحم وتَّربى فقط فى الناصرة. فكأنه قال «أنا أتيت ونظرت وصدقت إنه المسيح فتعالَ أنتَ وافعل كما فعلت». ولا يكتفى الإنسان بالسماع بل التأكد بالنظر.

٤٧- ورأى يسوع نثنائيل مُقبلاً إليه، فقال عنه «هوذا إسرائيلى حقاً لا غِشْ فيه».

«**ورأى يسوع نثنائيل مُقبلاً إليه**» لم ينظر يسوع وجهه فقط، بل رأى قلبه، وما يُكّنه ضميُّره. فوجهَّ المسيح كلامه إلى الواقفين حوله بحيث يتمكن نثنائيل من سماعه وقال «**هوذا شخص إسرائيلى حقاً، لا غش فيه**».

أى أنه صادق نقى، وسالك حسب سلوك بنى إسرائيل الأتقياء فى القداسة. ولم يقصد المسيح بذلك أن نثنائيل كان بلا خطية. لأنه ليس كذلك إلا واحد وهو الله (٢بط٢:٢).

٤٨- قال نثنائيل «من أين تعرفنى؟» أجاب يسوع وقال له: «قبل أن دعاك فيلبس وأنت تحت التينة رأيتُك»

شعر نثنائيل بأن قول المسيح عنه حق، فتعجَّب وتحيَّر. وقال له «**من أين تعَرفنى**» وأنت لم تواجهنى إلا فى هذه الدقيقة. فأظهر له يسوع من جوابه قوته الفائقة لمعرفة خفايا القلوب فقال: «**وأنت تحت التينة رأيَّتك**». فكأنه يقول له إنك يانثنائيل لما كنتَ تحت التينة تظن أن لا أحد يراك، رأيتك أنا، لا بالعين الجسدية، بل بالعين التى أعلم بها كل ما فى السماء وما على الأرض.

ونرى من هذا الموضوع أنه حدث لنثنائيل تحت التينة حادثة ذات شأن حتى خصها السيد المسيح بالذكر. فقيل إنه كان يصلى هناك معترفاً بأثم عظيم. وقيل إن نثنائيل قتَل وهو صبى إنساناً ودفنه تحت التينة. ولم يَره وقتئذ أحد، فذكّره السيد المسيح بالأمر الخفى، لُيعَّرفه إنه عالم بالخفياَّت.

وقال بعض المفسرين، بأن أمه أخفته فى سلة ووضعته فوق شجرة بحديقة البيت، عندما جاء جنود هيرودس لقتل الأطفال فى كل بيت لحم وماحولها، وأن أمه قد أعلَّمته وحده بهذا السر.

٤٩- أجاب نثنائيل وقال له: «يامُعلم أنت ابن الله، أنت ملك إسرائيل»

تحقق نثنائيل إن الذى يعرف ماعرفه يسوع، لا يكون إلا إلهاً. فانقاد بمعجزة الرب يسوع هذه واعترف وقال له «**أنت ابن الله**» أى المساوى للآب فى الجوهر.

وقال فم الذهب وأورينيموس وغيرهما أن نثنائيل لم يعرف حينئذ أن المسيح إله بل ابن الله بالتبنِّى لفضل النعمة التى حازها أكثر من باقى الأنبياء والقديسين. فالأنبياء أيضاً يستطيعون أن يكشفوا ما فى القلوب، كما كشف أليشع عن ذنب جيحَزى الخفى.

والأرجح أن نثنائيل آمن فى الحال، إيماناً وطيداً بأنه الله المساوى للآب فى الجوهر، بدليل قوله التالى وهو «**أنت ملك إسرائيل**» لأن اليهود كانوا يعرفون أن المسيح المنتظر هو ابن الله، باعتبار نسبته إلى الآب، وهو سيكون ملك إسرائيل باعتبار نسبته إلى شعب الله المختار، وباعتبار أنه ابن داود، الوارث لكرسيه الأبدي (كما سجلتَّه مزامير عديدة، ونبوَّات كثيرة، فى العهد القديم).

٥٠- أجاب يسوع وقال له «هل آمنت لإنى قُلت لكِ إنى رأيتك تحت التينة. سوف ترى أعظم من هذا»:

ومعناه إنك «يانثنائيل قد آمنت بمجرد برهان واحد، وهو إنى عرفت حادثتك التى وقعت لك تحت التينة، فجزاء لك على ماأظهَّرته من الإيمان، سوف ترى أعظم من هذا». أى معجزاتى الكثيرة لكى تزيد ثقتك بأن يسوع هو المسيح ابن الله الموعود به لخلاص البشر».

٥١- وقال لهم «الحق الحق أقول لكم من الآن ترون السماء مفتوحة وملائكة الله يصعدون وينزلون على ابن الإنسان».

إن إنفتاح السماء ليس معناه إنشقاقها حرَّفياً، وظهور باب فيها، بل المعنى الرمزى أنه من انحدار الملائكة وصعودهم يظهر كأن السماء مفتوحة. وقال مفسرون إن كلام المسيح عن نزول الملائكة وصعودهم مبنى على ما رآه يعقوب فى الحلم (تك ٢٨: ١-١٧) ومعناه أيضاً إنه يصير - بواسطة المسيح - اتصال دائم بين السماء والأرض، ليحصل الإنسان على النعمة والمعونة والإرشاد. وورد انفتاح السماء بهذا المعنى فى العهد القديم (إش ٦: ١و٦٤ وحز١:١ ومل٣:١٠).

وقال آخرون إن المسيح أعلن بذلك أنه ليس رئيس إسرائيل والناس فقط، بل هو أيضاً رئيس سكان السماء من الملائكة. أى أنه إله تخدمه الملائكة. وقد حدث كذلك بعد تجربته على الجبل. وعندما كان عرقُه نازلاً كقطرات دم (لو٢٢:٤٤)، ولما ظهرت الملائكة للنساء عند قيامته. وحدث - قبل كل شئ - وقت ميلاده ووقت عماده.

وقال آخرون لعلَّ المسيح أشار بهذا أيضاً إلى مجيئه بالمجد فى اليوم الأخير، الذى سيكون أعظم برهان على لاهوته (كما ذكر فى مت ٢٦:٥٤ وأع ٧:٥٦) ولكن الرأى الأول أرجح فى نظرنا.

وكُنَى المسيح (ابن الإنسان) لأنه **الكلمة المتجسد**، ولأنه نسل المرأة الذى يسحق رأس الحية (تك٣:١٥) وهذه الكنية مبنية على ماقيل فى (دا ٧:١٣).

❖❖❖

الإصحاح الثانى

١- «وفى اليوم الثالث كان عُرس فى قانا الجليل وكانت أم يسوع هناك»:

يريد بقوله «اليوم الثالث» من ذهاب يسوع إلى الجليل ودعوته فيلبس كما مرّ (فى ص١: ٤٣-٥١) وهو اليوم السادس من شهادة المعمدان عنه. ففى هذا اليوم «كان عرس» لم يذكر الإنجيلى لمن كان هذا العُرس، ولكن تُدل قرائن الحال أنه كان لأحد أقارب السيدة العذراء (من أبناء أختها زوجة كلوبا)، ويظهر ذلك واضحاً، من تصرّفات أم النور، خلال هذا الإحتفال، ولأنها أظهرت اهتمامها فى بعض أمور العرس، واطلعت على ما لم يطلع عليه غريب من أسرار ذلك البيت.

وأضاف قانا إلى ولاية الجليل تمييزاً لها عن قانا التى فى سبط أشير. وكان نثنائيل من قانا الجليل (المذكورة ص٢١: ٢) «**وكانت أم يسوع هناك**» بناء لدعوة أصحاب العرس لها، ولكونها من أقاربهم، على أرجح الآراء.

٢- «ودُعَى ايضاً يسوع وتلاميذه الى العُرس»:

أجاب يسوع الدعوة فى هذا العرس إكراماً لأقارب أمه. وتقديساً للعُرس، ورغبةً فى إعطاء مثال للتواضع بحضور زيجة الفقراء، وتكريما للزواج، وإثباتاً له بأنه سر عظيم. وسداً لاحتياج العريس بإحالة الماء خمراً (شراب العرُس)، وأيضاً ليْظِهر مجدَه، ويُقوّى إيمان تلاميذه الجدُد. وأيضاً ليبيح لنا المسرات التى ليس فيها خطية.

أما التلاميذ الذين دُعوا معه، فهم على الأرجح اندراوس وبطرس أخوه، وفيلبس ونثنائيل، الذى هو برثلماوس. ويوحنا كاتب هذه البشارة وأخوه يعقوب. أما بقية الإثنى عشر فدُعُوا للتلمذة بعد ذلك.

٣- ولما فرغت الخمْر قالت أم يسوع له: «ليس لهم خمر»

إن فراغ الخمر قبل نهاية مدة حفل العرس، يدل على أن الحاضرين كانوا أكثر مما توقعوا، أو أن أصحاب العُرس - لفقرهم - لم يستحضروا الكمية الكافية. أما قول السيدة العذراء لإبنها

«**ليس لهم خمْر**». فهو طلب فى صورة خبر، فكأنها تقول له «أشفِق يا إبنى على أقربائنا هؤلاء لئلا يعتريهم الخجل، اذ لم يُعدَّوا خمراً (شراب العُرْس) بكمية كافية، وأنا أعلم أنك على ذلك قدير، لكونك ابن الله، ويليق بمحبتك وعنايتك هذا الصنيع».

ولاشك إن السيدة العذراء حفظت فى قلبها كل علامات عظمة إبنها منذ الحَبَل المقدس والمواعيد بشأنه، واعتقدت يقيناً أن له قوة يستطيع أن يُظهرَّها فى أوقاتها، وتقول التقاليد القديمة أنه عمل معجزات كثيرة أمامها، فى صغره، سواء فى مصر، أو فى الناصرة.

٤- قال لها يسوع «مالى ولكِ يا إمرأة؟ لم تأتِ ساعتى بعد»!!

ظن قوم إن قول يسوع لأمه «**مالى ولكِ يا إمرأة**» **(Lady)** فيه بعض التوبيخ لها. والحقيقة أنه ليس فيه ولا صورة توبيخ، بل معناه «ماذا يُهمنِى ويُهمّك من أمر الخمر؟» وقد طلبَتْ العذراء تلك المعجزة لا للتفاخُر، أو بدون تمييز، بل لأجل المحبة العملية، والمُشاركة الوجّدانية.

ولو كانت العذراء ملومةً فى هذا الطلب، لَمَا صنع السيد المسيح الأعجوبة. فقد قرأنا مرات أن المسيح لم يفعل معجزات طلبها فضوليون. فقد طلب هيرودس آية. وطلب اليهود كذلك آية، فلم يُجِب طلب ذاك ولا هؤلاء.

وقوله «**لم تأتِ ساعتى بعد**» معناه لم يحن الأوان المناسب، لصنع المعجزة. أو أن الخمر لم تنفد كل النفاد. فإن صُنعت المعجزة الآن شك الناس فى صحتها لتوهمهم إنه مَزَج بها ما بقى من الخمر بالماء. وفى ذلك إشارة الى أن تلك الساعة ستأتي، والأرجح أن الرب قد رتب كل شئ فى حينه الحسن، أى فى وقته المناسب تماماً.

٥- قالت أمه للخُدَّام «مهما قال لكم فافعلوه»

يدل كلاهما هذا أن المسيح لم يوّبخها، كما توهم البعض، وأنها فهمت من كلامه وآمنت أيضاً أنه سيصَنع المعجزة، فى الوقت المناسب، **ولأن شفاعتها مقبولة لديه تماماً**. ولذلك أمرَت الخُدَّام بدون تردُّد، ان يستعدوا لطاعة أمره، عندما يأمرهم.

فعلينا إذن ألاَّ نتردَّد أبداً فى طلب شفاعة أم النور بإستمرار.

٦- «وكانت ستة أجرَان من حجارة موضوعة هناك، حسب تطهير اليهود، يسع كل واحد مطرين أو ثلاثة»:

الأجرَّان أوعية للماء، وقد استخدمها المسيح، ليتضح أنها لا تحوّى أى أثرٍ للخمر، فيزداد وضوح الأعجوبة. وقوله «**موضوعة هناك حسب تطهير اليهود**» معناه على مقتضى تقاليد الفريسيين، لأنهم كانوا يغسلون أيديهم قبل الأكل (مت ١٥: ٢ ومر٧: ١-٤ ولو١١: ٣٨) أو قبل الصلاة. وقوله «يسع كل واحد مطرين أو ثلاثة» معناه أن كل جرن يسع أكثر من مطرين وأقل من ثلاثة[1].

٧- قال لهم يسوع «املأوا الأجران ماءً. فملأوها الى فوق».
٨- ثم قال لهم «استقوا الآن. وقدُّموا إلى رئيس المُتّكأ». فقدمَّوا.

أمر المسيح الخُدَّام أن يملأوا الأجران ماءً ليكونوا هم شهوداً للمعجزة، لئلا يتوَّهم البعض ان فى ذلك خِدَاعاً أو سحراً كما فسره القديس يوحنا فم الذهب. وملؤوها الى فوق منعاً للظن بأن المسيح صبَّ فوقها خمراً ولم يحول الماء خمراً.

ثم قال لهم «استقوا الآن». وهذا يدل على ان الماء استحال خمراً خلال وقت ملء الأجران. وأمر المسيح بالاستقاء، فكان التحّويل بمجرد إرادته بلا توُّسط شئ آخر.

«وقدمَّوا الى رئيس المتكأ»إذ كان من عادة اليهود أن يكون فى ولائم العُرس رئيس يهتم بترتيبها ونظامها. ويأمر الخُدَّام بما يلزم. ويسمونه (رئيس المتكأ) فأمر المسيح أن يقدموا الخمر لرئيس المتكأ، لأن من وظيفته أن يذوق ذلك المشروب قبل تقديمه للضيوف، ولأنه كان يجب عليه أن يكون صاحياً غير سكران، وأوفر خبرة من الباقين بالخمر، فيمكنه أن يميّز بين جيدها ورديئها.

هذا فعله المخلص، حتى لا يقول قائل إن حواس القوم كانت قد اضطربت ولم تكن واعية وتفكر تفكيراً صحيحاً، لكن الذى شهد هو رئيس المتكأ فشهادته لا شُبهة فيها، لأنه ضابط لنفسه وحافظ لحواسه.

[1] المطر مكيال يسع نحو عشرين رطلاً فتكون سعة الكل مئة وعشرين رطلاً، وهو مقدار وافر، فكل عطايا المسيح بسخاء (مر٩: ٥٦).

قال فم الذهب «لماذا لم يصنع المسيح الأعجوبة بأن خلق الخمر من العدم، ولماذا يحوّلها من الماء؟ فإن خلقها من العدم كان أعجب؟ والجواب إن تحويل الماء خمراً أسهل للتصدّيق وأقرب للإيمان بالأعجوبة من خلقها من العدم».

❖❖❖

٩- «فلما ذاق رئيس المتكأ الماء المُتحَّول خمراً، ولم يكن يعلم من أين هي؟ لكن الخُدَام الذين كانوا قد استقوا الماء علموا. دعا رئيس المتكأ العريس».
١٠- وقال له «كل انسان إنما يضع الخمر الجيدة أولاً، ومتى سكروا فحينئذ الدُون. أما أنت فقد أبقيّتَ الخمر الجيدة الى الآن؟»

«فلما ذاق رئيس المتكأ الماء المتحول خمراً»، بفعل إلهى «ولم يكن يعلم من أين هي». اى لم يعلم أنها من أجرَّان الماء. وهذا دليل على أنه لم يشاهد الخُدّام حين ملأوا الأجران ماءً الى فوق واستقوا منها خمراً.

فاندهش رئيس المتكأ: «ودَعا العريس». وهذا يدل على أنه ليس بخادم بل من أمثال العريس فى المقام: «وقال كل إنسان إنما يضع الخمر الجيدة أولاً ومتى سكروا».

إن كلام رئيس المتكأ، على عادة الناس فى الولائم، ولا يلزم من ذلك أنه حدثَ مثله فى هذا العرس إذ ليس من دليل على أن المدعوين وقتئذٍ سكروا وخرجوا بشربّهم الخمر عن جادة الصواب. والقانون الذى ذكره رئيس المتكأ مأخوذ من الاختبار. فالذوق يعجز عن التمييز ما بين الخمر الجيدة والدون (الرديئة) بعد استمرار الشُرب، خلافاً لما فى أوله.

وقوله «**أما أنت فقد أبقيّتَ الخمر الجيدة الى الآن**» فيظهر منه أن تلك الخمر كانت جيدة (فى الطعم) الى الغاية العظمى، لأنها من صُنع المسيح. فهى كاملة، لأن أفعال الله كاملة. وكذلك كل مواهب المسيح العظيمة تليق به.

١١- «هذه بداية الآيات، التى فعلها يسوع فى قانا الجليل، وأظهر مجدُه، فآمن به تلاميذه»:

أجمع علماء البيعة أن هذه أول آيات المسيح على الإطلاق. وقوله «**وأظهر مجده**» معناه أظهر

قُدرته على كل شيء. فإن الآيات التى فعلها موسى وإيليا وسائر الأنبياء، قد أظهرت مجد الله. وأما آيات المسيح فأظهرت مجد نفسه، ذلك المجد الذى كان محجوباً عن الناس مدة ثلاثين سنة، وهو ساكن بينهم، يظهر فى الهيئة كباقى الناس.

وفعله هذه المعجزة، لإظهار مجده لا يُنافى أنه فعّلها أيضاً لإظهار لُطفه ومحبته لبيت العرس. فلما ظهر بها مجده «**آمن به تلاميذه**» أى ازدادوا إيماناً به، كما قالوا «يارب زد ايماننا» (لو١٧:٥) فإنهم لو لم يكونوا آمنوا به قبلاً، لما تبعوه من البداية.

١٢- «وبعد هذا انحدر الى كفر ناحوم، هو وأمه وإخوته، وتلاميذه وأقاموا هناك أياماً ليست كثيرة»:

كانت كفر ناحوم على شاطئ بحر الجليل (بحيرة طبرية) ولذلك كانت أوطأ من قانا. ولذا عبَّر يوحنا عن ذهابه إليها بقوله «**انحدر**». وقد اختار المسيح كفر ناحوم مسكناً بدل الناصرة لأنها على البحر، وشهيرة بالتجارة، ويتقاطر إليها الناس من سائر الجهات، ولأن سكان الناصرة كانوا أشراراً، ورفضوا أن يسمعوا له وطردوه من مجمعهم أما «**اخوته**» فيُراد بهم اخوته من أبيه يوسف النجار، الذين رُزق بهم من زوجته التى كانت قبل السيدة العذراء (وهو الرأى السريانى، أما الرَأى القبطى الأرثوذكسى أنهم **كانوا أبناء مريم أخت أم النور وزوجة كلوبا**. وهم يعقوب ويوسى وسمعان ويهوذا وعدة بنات). وقيل إنهم انتظروا أنه يُعلِن كَونِه ملكاً أرضياً، فلما رفض ذلك ابتعدوا عنه، لأن البشير صرَّح بعد ذلك: «بأن إخوته أيضاً لم يكونوا يؤمنون به»(يو٧:٥) (ثم آمنوا خاصة بعد القيامة، وصاروا من الرسل والتلاميذ السبعين).

١٣- «وكان (عيد) فصح اليهود قريباً. فصعد يسوع الى أورشليم»:

لم يذكر أحد من البشيرين الثلاثة سوى يوحنا، عدد أعياد الفصح التى إنقضت على المسيح، مدة خدمته، والتى ذكرها **أربعة**. والأول المذكور هنا. والثانى فى (ص٥:١) والثالث (فى ص٦:٤) والرابع (ص١١:٥٥).

ويتضح من هذا أن النظام اليهودى بقى مدة حياة المسيح على الأرض. وأن المسيح أكرمه كل الإكرام، بعدم تركه شيئاً من فرائضه. وهو يعلمنا أيضا بضرورة التواجد فى الكنيسة فى الأعياد الدينية والمواسم الروحية الدورية.

١٤- «ووجُد فى الهيكل الذين كانوا يبيعون بقراً وغنماً وحماماً والصيارف جلوساً. ١٥- فصنع سوَّطاً (كرباجاً) من حبال. وطرد الجميع من الهيكل، الغنم والبقر، وكب دراهم الصيارف، وقَلبَ موائدهم. ١٦- وقال لباعة الحمام «ارفعوا هذه من هنا، لا تجعلوا بيت أبى بيت تجارة. ١٧- فتذَّكر تلاميذه، إنه مكتوب «غِيَرة بيتك أكلتَّني» (مزمور٦٩:٩). (راجع مت٢١:١٢ مر١١:١٥-١٧ ولو١٩: ٤٥و٤٦).

ومن الضرورى التمييز بين تطهير الهيكل، الذى ذكَره يوحنا وما بين الذى ذكره سائر البشيرين، لأن الأول أى الذى ذكَره يوحنا كان فى أول خدمته وأما الثانى أى الذى ذكره البشيرون الثلاثة، فكان فى نهاية خدمته، أى قبل صلبه بأربعة أيام. والفرق بينهما أيضاً أن المسيح صنع هنا سوطاً من الحبال ولم يفعل ذلك فى المرة الثانية. وايضاً كلمات التوبيخ مختلفة بينهما. فوبخهم هنا على مجرد التجارة، وفى المرة الثانية وبخهم على الزور والخطْف، والغش الذى كان يفعله الكهنة بإعادة بيع الحيوانات التى كان يهّبها الناس للهيكل، لحسابهم الخاص.

١٨- فأجاب اليهود وقالوا له «أية آية تُرينا حتى تفعل هذا؟»

ومعناه ما هى المعجزة التى تفعلها حتى يكون لك السُلطان على طرد الباعة والصيارف من الهيكل؟ لأنك لستَ بكاهنٍ، ولا حتى لاوي. وذاك العمل من اختصاص الكهنة واللاويين. «فاصنع آية، كما صنع موسى أمام فرعون إثباتاً لدعَّواك إنك نبي».

ويظهر من هذا الكلام إنهم لم يفهموا من قوله «**بيت أَبي**» أنه ابن الله، لأنهم لو فهموا وسلَّموا بذلك، ما سألوه آية (معجزة).

١٩- أجاب يسوع، وقال لهم «انقضوا هذا الهيكل وفى ثلاثة أيام أُقيمه».

إن معنى هذا القول، لم يظهر إلا بعد ذلك، لأن المسيح لم يقصد البناء (الهيكل) المعروف **بل قصد جسدَه**. فكأنه قال «إنكم بعد أن تقتلوا جسدى أُقيمه فى اليوم الثالث. وإن قمتُ فصدقوني، ولكن إن قمتُ ولم تصدقوا لم يبقَّ لكمُ عذر» (وفى العبرية كلمة «هيكل» أى جسد الإنسان، أو «هيكل المبّنى، أى تعنى معبد أو كنيسة، مثل هيكل سليمان).

٢٠- فقال اليهود «فى ستٍ وأربعين سنةً بُنيَ هذا الهيكل، أفانت فى ثلاثة أيام تقُيمه؟!».

معروف إن الهيكل بُنيَ ثلاث مرات: الأولى فى أيام سليمان، ودام تشييده سبع سنين. وهذا المعبد قد هَدمَه وحَرقَه الكلدانيون. والثانية: جدد بناءَة زربابل بعد الرجوع من سبى بابل، والمرة الثالثة جدده وأصلحه الملك هيرودس الكبير. وعلى هذا الهيكل (الثالث) تكلم اليهود مع المُخّلص يسوع.

وقد ابتدأ هيرودس الكبير يُصلِح الهيكل توطيداً لحُكمه على اليهود قبل ميلاد المسيح بنحو ست عشرة سنة. وكان المسيح - عندما قال ذلك الكلام- فى سن الثلاثين سنة، فيكون قد مرّ على الهيكل وهو يُصلح ويُزخّرف ويُزيّن من داخله وخارجه ستٍ وأربعون سنة. ومع ذلك لم يكن وقتئذ قد كُمُل، لأن المؤرخ اليهودى يوسيفوس بن كريون قال إن الترميم والتجديد استمر جارياً الى سنة ٦٤ب.م. ولم يتم إلا فى أيام هيرودس أغريباس الثانى.

فكأن اليهود قالوا: كيف يقدر هذا الجليلى الفقير، أن يصنع فى ثلاثة أيام ما لم يستطع الملوك الأغنياء القادرون أن يُكملوه فى ست وأربعين سنة؟ فدعوّاه إذاً عندهم مستحيلة وباطلة ومُضحِكة، لأنهم فهموا كلامه حرفياً، وليس مجازياً، كما يلى:

٢١- «وأما هو فكان يقول عن هيكل جسده»:

قال يوحنا فم الذهب «لماذا لم يكشف المسيح للمُرتّابين، أنه كان يتكلم عن هيكل جسده؟» وأجاب: «لأنهم لم يكونوا يؤمنون بكلامه، بل لو كشفه لهم لعامله اليهود أشرَّ المعاملة».

٢٢- «فلما قام من الأموات تذكّر تلاميذه أنه قال هذا. فآمنوا بالكتاب، والكلام الذى قاله يسوع».

ونفهم من قوله «فلما قام من الأموات تذكّر تلاميذه أنه قال هذا» أن التلاميذ لم يفهموا مُراد المسيح حين قال ذلك القول، ولكنهم حفظوه فى قلوبهم وتأملوا فيه. ثم فهموا معناه عند تمام النبّوة فثَبت إيمانهم «بالكلام الذى قال يسوع» لما رأوه قام حقاً وثبت إيمانهم أيضاً «بالكتاب» أى

بكل ما ذُكِرَ فى العهد القديم فى أمر موته وقيامته (مثل الذى ورد فى مز١٦ و ١٧ و ٧٣ وإش ٥٣ وهو ٦).[1]

٢٣- «ولما كان فى أورشليم فى عيد الفصح، آمن كثيرون باسمه إذ رأو الآيات التى صنع»:

رغماً عن بُغْض الرؤساء وأكثر الشعب للمسيح، فقد «**آمن كثيرون باسمه**»، ولكن ليس إيماناً صحيحاً كاملاً، لأنهم عندما تحيُّروا واندهشوا «من الآيات التى صنع» آمنوا أن هذه الآيات قد صُنِعَت بقوة فائقة. ولم يذكر الإنجيلى تلك الآيات، وكم هى؟ ولابُد أنها كانت كثيرة ومشهورة، حتى حملت الكثيرين على الإيمان به (بقدرته الخارقة).

٢٤- «لكن يسوع لم يأتمنَّهم على نفسه، لأنه كان يعرف الجميع»:

إن يسوع وإن عرف أنهم قد آمنوا به إلا أنه «**لم يأتمنّهم على نفسه**» أى لم يحسبهم تلاميذه حقا. فإن إيمانهم لم يكن ثابتاً فى قلوبهم. وكان يعلم أيضاً أنهم متغيرون، وسهلو الإنقياد لمكر الكتبة والفريسيين.وأنهم سوف يرتدون ويتركونه وقت الخوف «**لأنه كان يعرف الجميع**». أى لأنه فاحص القلوب والكُلى وعِالم بالخفيات والنيات.

٢٥- «ولأنه لم يكن مُحتاجاً أن يشهد أحد عن الانسان، لأنه علم ماكان فى الانسان»:

معنى هذا العدد مثل معنى قوله «**لأنه كان يعرف الجميع**» فى العدد السابق. أى بما أنه خالق الانسان، فهو يعرف نيته (قصده الصالح أو الطالح)، وماسيفعله فى مستقبله. ولا يحتاج الى الوسائل التى يتخذها الناس ليعرفوا بعضهم بعضاً.

وواضح من كلام الرسول يوحنا أن الرب يسوع لم يكن فى حاجة إلى أن يشهد له أحد، بأنه «**ابن الله**»، وقد كرَّر القول بأنه يكفى شهادة معجزاته الخارقة. ومع ذلك لم يُصّدقوا دعوته، رغم شهادة نصوص العهد القديم الكثيرة والواضحة.

❖❖❖

[1] راجع كتابنا «نبوات العهد القديم عن المسيح»، طبع مكتبة المحبة.

الإصحاح الثالث

١- كان إنسان من الفريسيين اسمه «نيقوديموس» رئيس لليهود.

(نيقوديموس) كلمة يونانية معناها الظافر (الرابح) وقوله «**كان من الفريسيين**» أى من الذين ادعُّوا زيادة تقوَّاهم على تقوى سائر الناس. وقوله «**رئيس لليهود**» يفيد أنه كان من مجلس السبعين (السنهدريم) أو أنه كان من المتُقدّمين ورجال الحكومة. وقد علمنا (من ص ١٩:٣٩) من هذه البشارة، أن نيقوديموس اشترك فى دفن يسوع مع صديقه يوسف الرامى (أى أنهما آمنا به).

٢- هذا جاء الى يسوع ليلاً. وقال له «يا معلم نعلم أنك قد أتيت من الله مُعلِماً، لأن ليس أحد يقدر أن يعمل هذه الآيات التى أنت تعمل، إن لم يكن الله معه».

إن إتيان نيقوديموس ليلاً يفيد أنه كان متعمقاً فى الديانة اليهودية. وأنه كان يريد أن يعرف المزيد، من رب المجد، على انفراد، وأنه كان يخاف من غضب الفريسيين ومن غضب أصحابه فى مجلس السبعين، لئَّلا يعتبروه من تلاميذ المسيح ويُخرجوه من عضوية المجلس الأعلى. وقوله «يا مُعلم نعلم إنك قد أتيتَ من الله» يدل انه عند مجيئه للقاء المسيح هذه المرة لم يكن مؤمناً بأن المسيح إله، بل هو فقط مجرد نبي، يقدر أن يجيبه على مسائل كثيرة عَسُرَت عليه فى الدين.

وقوله «لأن ليس احد يقدر أن يعمل هذه الآيات التى أنت تعمل إن لم يكن الله معه» صواب، لأن الله لا يسمح لمخادع بقوة على صنع معجزة، لإثبات كذبه بها. ومُراد نيقوديموس من قوله «**إن لم يكن الله معه**» أن الله كان مع يسوع كما كان مع **إبراهيم وإسحق** ويعقوب ويوسف ودانيال. وهذا الفِكْر دون مايستحقه يسوع. وهذا القول من نيقوديموس يدل أيضا على أنه لم يكن بعد قد عرف المسيح حق المعرفة (إنه هو الله).

+ ولو أننا سنرى فيما بعد، أنه قد زاد إيمان نيقوديموس بالرب يسوع، ودافع عنه في مجمع السنهدّريم، كما شارك يوسف الرامى في تكفَّينه ودفنه.

٣- أجاب يسوع وقال له «الحق الحق أقول لك إن كان أحد لا يُولَد من فوق، لا يقدر أن يرى ملكوت الله»:

«أجاب يسوع» على فكر نقيوديموس وعلى قصده الذى كان نوى أن يسأله إياه. وقال له «الحق الحق أقول لكم» أى بسلطاني. واعلّم أن الكلام يقيني، أى لا ريِّب فيه «إن كان أحد» يهودياً كان او غير يهودى «**لا يولد من فوق**» الولادة الثانية الروحية، ويتجدَّد قلبه تجديداً كلياً. وذلك يحصل عند إيمان الإنسان وعماده. والذى لا يولد من فوق «**لا يقدر أن يرى ملكوت الله**» أى لا يقدر أن يدخل ذلك الملكوت، ويتنَّعم به، مالم يولد ولادة روحية، لأن ملكوت الله روحي. فكل الذين يدخلونه محتاجون الى الولادة الروحية (بالمعمودية).

٤- قال له نيقوديموس: «كيف يمكن للإنسان أن يولد وهو شيخ؟ ألعله يقدر أن يدخل بطن أمه ثانيةً ويولد؟!»:

إن جواب نيقوديموس يدل على حيَرته وتعجُّبه. وعلى أنه أخذ الكلام على ظاهره (حرفياً) ولم يفهمه روحياً. أى لم يعرف إلا مولداً واحداً من آدم وحواء، أى من رجل وإمرأة. أى فهم نيقوديموس- من كلام المسيح - الولادة الجسدية، لأنه كان جسدياً بعد. ومن العجيب أن نيقوديموس يغفل عن المعنى الروحى الذى قصده المسيح، مع أنه معلم للناموس (عالم دينى) وهذا يدلنا على أنه يصعُب على القلب الطبيعى (العالمى) أن يُدرِك الحقائق الروحية (اللاهوتية) العالية.

٥- أجاب يسوع «الحق الحق، أقول لك إن كان أحد لا يُولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله».

إن المخلص أراد أن يُبيِّن لنيقوديموس الشيخ أن الميلاد الروحى هو على سبيل التشبيه بالميلاد الطبيعي، الذى يقتضى أباً وأماً. فشّبه الماء فى المعمودية بالأم، والروح القدس بالأب، لأنه الفاعل الاول والمانح النعمة، والقداسة التى يولد بها أبناء الله بالمعمودية. فالماء يجرى مجرى الآلة والمادة، والروح القدس هو الذى يهب موهبة البُنُّوة. ويُضَاف اليه إسم الآب والابن، لأن الثلاثة أقانيم هى جوهر واحد.

وهو تأكيد شديد على أنه لن يعاين غير المُعَّمد ملكوت السموات، وأنه ينال جزاء خيراته، فى حياته بالدنيا فقط (لو ١٦:٢٥).

إن المعمودية بالماء هى سر الموت والقيامة. فإن التغطيس فى الماء يجرى مجرى الدفن فى الأرض، والارتفاع منه، يُشبه القيامة من الموت. فالميلاد الثانى يختص بالنفس، لأنه يُنبهّها ويُرّشدها الى الإنصرَاف عن محبة الجسديات، ويُحَثها أن يكون تصرَّفها سمائياً.

وقال بعض العلماء إن فائدة تغطيسنا فى المعمودية - ثلاث مرات- هى لنشعر أنه يجب أن نعتقد بالثالوث القدوس، وأنه بقدرة هذا الثالوث ننال نعمة التجديد والتبّني.

٦- «المولود من الجسد هو جسد والمولود من الروح هو روح»:

أبان المسيح بهذا القول لزوم الولادة الثانية وضرورتها. وخُلاصَة معناه إن الجسد والدم لا يرثان ملكوت الله، لأن ملكوت الله روحي، والذى يُولَد من الجسد يكون جسدياً فاسداً بالخطية ومائلاً إليها، لأن الانسان الخاطئ الفاسد لا يستطيع أن يلد إلاَّ مَنْ كان مثله فى الخطية والفساد.

فإذن كل الذين وُلِدُوا من البشر فاسدون، ولا يستحقُّون أن يدخلوا ملكوت الله. فلكى يدخل الانسان ملكوت الله الروحي، يلزَمه أن يُولَد ولادة روحية من الماء والروح القدس، لأن «**المولود من الروح هو روح**». فالإنسان الذى يستمد الحياة الروحية من الروح القدس، هو روحي، ويستطيع أن يشترك فى البركات الروحية (فى الأرض، وفى عالم المجد).

٧- «لا تتعجب أنى قُلتُ لك ينبغى أن تولدوا من فوق ٨- الريح تهب حيث تشاء وتسمع صوتها، لكنك لا تعلم من أين تأتي؟ والى أين تذهب؟هكذا كل من وُلِد من الروح»:

إن الولادة من فوق، أى من الروح القدس، تكون بإفاضته على المتعمدين نعمته ومواهبه السماوية، فتجعلهم روحيين وقديسين وسماويين. وقد عرف المسيح تشكُّك نيقوديموس فى هذه الولادة. فأخذ يُبيّن له أنه توجد فى العالم أمور عسرة الفهم، ومع ذلك هم يُصدُّقون بها. فقال «الريح تهب حيث تشاء وتسمع صوتها ولكنك لا تعلم من أين تأتي؟ ولا أين تذهب». أى أن الريح تهب حيث تنجذب (بالضغط الجوى) طبعاً. ولا أحد يقدر أن يراها أو أن يُخَبر بمصدرها أو غايتها. وهى غير خاضعة لأمره، ولكنه مع ذلك لا يُنكِر وجودها عندما يسمع صوتها.

فهكذا لا يمكنك يانيقوديموس ان ترى الميلاد الثانى الروحي، ولا ان تعرف غايته، بواسطة النور الطبيعى (بالعين المجردة) فقط، بل تعرفه بإلهام الروح القدس، حتى ولو رأيت علامته الخارجية فى الماء، والتغطيس فى المعمودية. فإن كنت لا تعلّم طريق الريح التى تُحسَّ بها فكيف تفحص أعمال الروح القدس؟ والمشابهة هنا أن وجود الريح وقوتها يعرُفان من فعلها، كذلك وجود الروح وقوته يعرفان بفعله وهو ما يحدثه من التغيير فى قلب الانسان.(١)

٩- أجاب نيقوديموس وقال له «كيف يمكن أن يكون هذا»؟

إن آراء نيقوديموس الفريسية الجسدية، منعته من إدراك كل معنى روحى لكلام المسيح، وحملته على أن ينفر مما سمعه. ولم يُرْدِ التسليم بشئ، مالم يُدركه كل الادراك. ولذلك استحق التوبيخ من المسيح، ولكن بأسلوب رقيق.

١٠- أجاب يسوع وقال له «أنت مُعِلّم إسرائيل ولستَ تعلم هذا؟»

كان على نيقوديموس أن يفهم تعليم الولادة الجديدة، لأنه مُعلم دينى للشعب، وقد درس أسفار العهد القديم، وادعَّى معرفة حقيقتها. وذلك التعليم واضح من (مز٥١:١٠ وإر٤:٤ وحز١٨:٣١) فاستحق اللوم على جهله الروحى، بمعلومات التوراة والأنبياء.

١١- «الحق الحق أقول لك إننا إنما نتكلم بما نعلم، ونشهد بما رأينا. ولستم تقبلون شهادتنا»:

فكأنه يقول «إنى أعلم كل العلم، ما بشَّرتك به فى شأن الأسرار الإلهية، وكيفية الميلاد الثاني، لأننى إله، رأيته بالعلم الإلهي، ونظرّته. ولذا يلزمك التصدّيق لشهادتى. ومع ذلك فأكثر اليهود لا يصدقونها، بل أنت أيضاً تظل مُتردداً إذ ماظللت تُجادلنى فى مبادئ لاهوتية ثابتة، ويلزم قبولها بروح الإيمان.

(١) كلمة «روح» (Ruah) فى العبرية، وفى اليونانية (Peneuma) تعنيان معاً: الروح أو الرياح (Spirit+ wind).

١٢- «إن كنتُ قلتُ لكم الأرضيات ولستُم تؤمنون، فكيف تؤمنون إن قلتُ لكم السماويات؟».

أى إن كنَت يانيقوديموس لا تفهم الأمور الإلهية المشروحة، بالأمثلة الأرضية، عن كيفية الميلاد الثاني، فكيف تطمع أن تفهمها، إن شرَّحتها لك خالية من التشبيهات. وكيف تطمع أن تفهم الأمور السمائية بشأن الثالوث الأقدس، ومولد الكلمة الأزلي، وانبثاق الروح القدس، وكون الفداء بموتى على الصليب؟

١٣- «وليس أحد صعد الى السمــاء، إلا الــذى نــزل من السمــاء، ابــن الانسان الذى هو فى السماء».

«**ليس أحد صعد الى السماء**» أى لا أحد من الناس الذين هم على الأرض صعد الى السماء ثم هبط الى الارض ليُنبئ الناس بما شاهده هناك. فإذن لا أحد من الناس يقدر أن يُعلن أسرار السماء وحقائقها إلا: «**الذى نزل من السماء**» اى المسيح. وهو لم يكن قد صعد بالجسد بعد، ولكن لكونه ابن الله لا يحتاج أن يصعد كأحد الناس، ليعلم أمور السماء، ويُخبِر بها أهل الأرض.

فهو إذن يعلم مالم يعلمه أحد من الناس، إلا بالصعود الى السماء. فالمسيح ساكن العُلَى منذ الازل، وأتى الى الأرض لكى يُعَلِم الناس ويُخلِّصهم وهو «**ابن الانسان**» أى الكلمة الذى صار جسداً (ص١:١٤و١٥) مع أنه نَزل من السماء فهو «**فى السماء**» أى ساكن بلاهوته فى السماء مع أبيه، فى كل المدة التى كان فيها بين الناس بالجسد. فالمسيح بينما هو على الارض يخاطب الناس، فهو فى السماء ايضاً. فهو يملأ الكون، والسموات والأرض، فى وقت واحد.

وخُلاصة هدف المسيح هو أن يفيد نيقوديموس أنه إذا أراد أن يعلم الأمور السماوية فليتعلمّها منه، إذ لا يستطيع أن يتعّلم من غيره. وهذا هو الأمر الاول من السماويات.

١٤- «وكما رفع موسى الحية فى البرية، هكذا ينبغى أن يُرفع ابن الانسان. ١٥- لكى لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الابدية».

شرح المخلص- فى العدد السابق- لنيقوديموس، أنه هو الله العالم بكل شيء. وهو المعلم الحقيقى الوحيد، الذى يستطيع أن يْعلم عن السماويات. وفى هذين العددين أخذ يشرح له أنه

تأنّس ليُصَلب، ليُخلِص كل الذين يؤمنون به، ويترجُّون الخلاص بإستحقاق موته. وشبَّه نفس بالحية النُحاسية التى رفعها موسى فى البرية (عد٢١: ٦-٩) وبيان الأمر أن العبرانيين تذمرُ على الله وعلى نبَّيه موسى. فأرسل الله إليهم حيات مُحرِقة تلدغهم.

فامر موسى أن يُصنع حية من نحاس، وأن يرفعها على راية فى معسكر اسرائيل حيث يراه كل من أراد. فكانت تُحْمل وتُعرض على عيون كل الاسرائيليين. فمن نظر اليها شُفَى من لدغ الحية السامة. ومما يجب ملاحظته أن الحية صُوِّرت على هيئة الحيات السامة لكنها لم تك سامة. فكذلك أتى المسيح فى صورة الجسد الخاطئ، لكنه كان بلا خطية (رو٨:٣) وعُومِل كد يُعامل الخاطئ ليفدى الخُطاة. كقول يوحنا المعمدان «هوذا حَمَل الله الذى يرفع خطية العالم (ص١:٢٩). وكما أنه لم يكن سبيل الى شفاء الذين لدغتهم الحيات من الإسرائيليين إلا نظرهم إل الحية النحاسية، كذلك لا طريق للخُطاة لنوال الحياة الأبدية إلا الإيمان بيسوع المسيح مصلوباً.

فالذى يؤمن لا ينجو من قصاص الخطية أى لا يَخلُص من جهنم فقط **«بل تكون له الحيا الأبدية»**. أى ينال رضا الله، والقداسة والسعادة الكاملتين الدائمتين فى السماء. ويصير وارث للأمجاد السماوية الأبدية.

١٦- «لأنه هكذا أحَّب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكى لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الابدية».

قوله «**هكذا**» معناه بمقدار لا يُوصف، ولا يدخل تحت تعبير بشرى «**أحَّب الله**» لا الملائك فقط ولا الأمة اليهودية فقط. بل أحبَّ «**العالم**» كله. أى كل نسل آدم وحواء الذى أظهرَّ العداو له، واستوجب الهلاك. ورغب فى إنقاذهم من الهلاك ومبارَكتهم. فكان حُنّوه عظيماً بهذا المقدار «**حتى بذل ابنه الوحيد**» لا ليملك باحتفال ويُكرَّم ويُمدَّح من الناس، بل ليكون مُهاناً مرذول ويُسخَر منه، مصلوباً لفداءِ البشر. أى «**لكى لا يهلك كل من يؤمن به**».

إن الله أحبَّ العالم كله لكن الذين يستفيدون من تلك المحبة هم الذين يؤمنون به، وإن الله فعل كل ما اقتضاه خلاص البشر. وابن الله فعل كل ما اقتضاه ذلك الخلاص، بموته على الصليب. فبقى على الناس أن يفعلوا ماعليهم، أى أن يؤمنوا بالمسيح مصلوباً. فكل من آمن لا يخلص من الهلاك فقط «**بل تكون له الحياة الأبدية**». فما أعظم هذه المراحم الإلهية.

١٧- «لأنه لم يُرسل الله إبنه الى العالم ليُدين العالم بل ليُخلِّص به العالم».

كان يحق لله أن يُدين العالم، أى يُعاقبه على آثامه، وزجِّه فى جهنم. فرجَحت كفة محبته، على حقه وعدله. فجازى العالم بالإحسان. عِوَضاً عن العقاب. وقوله: «ليُخِلّص به العالم» ليس القصد منه أن يخلص جميع الناس بدون شروط، بل على العالم مسئولية **الإيمان**، لتحصيل الخلاص. فمن لم يَخْلص، فالذنب ذنبه كما يتضح من قوله الآتي:

١٨- «الذى يؤمن به لا يُدان، والذى لا يؤمن قد دين، لأنه لم يؤمن باسم ابن الله الوحيد».

إن الذى «**يؤمن به**» أى بالمسيح مصلوباً «**لا يُدان**» أى يتبرَّر بدم المسيح، ويُنقل من الموت إلى الحياة. وينْقّذ من لعنة الناموس، وينجو من عقاب الخطية، فلا يُطرح فى جهنم. أما «**الذى لا يؤمن**» بأن المسيح ابن الله، وأنه مات من أجله، فهو هالك بآثامه.

و«**قد دين**» لأن النفس التى تُخطئ تموت، ولأنه قد استهان بنعمة الله. فزاد إثماً على إثمه (عب١٠:٢٩) وحيث أنه ليس لله ابن آخر يأتى لخلاص العالم، فالذى يرفض «**ابن الله الوحيد**» يبقى عليه غضب الله. فعلى قدر عظمة المسيح تعظُم خطية منْ لم يؤمن به. فالذى لا يؤمن بالمسيح يكون كالإسرائيلى الملدّوغ بالحيات، والذى رفض أن ينظر إلى الحية النحاسية المرفوعة على الخشبة (المسيح المصلوب).

١٩- «وهذه هى الدينونة أن النور قد جاء إلى العالم، وأحَّب الناس الظُلمة أكثر من النور، لأن أعمالهم كانت شريرة»

النور هنا يُراد به المسيح، لأنه النور الحقيقى (ص١:٧) ولأنه أعلن طريق الخلاص، وأشرق به نور الإنجيل. **والظلمة** يُراد بها الخطية والضلال، وكل ما هو مُضاد للحق. فالمعنى إذن هو أن سبب دينونة الناس وهلاكهم، هو تفضيلهم ملذاتهم وعدم إيمانهم وجهلهم وضلالهم، وفساد قلوبهم. ورفض المسيح الذى أتى لخلاصهم.

ولماذا اختاروا الجهل والانخداع الشيطانى وسائر أنواع الضلال فجلبوا الهلاك على أنفسهم؟ الجواب ذَكرَه الإنجيلى وهو «**لأن أعمالهم كانت شريرة**» فلو آمنوا بالمسيح، لاضطروا إلى الأنفصال عن كل الأعمال الشريرة، التى أحبوّها أكثر من محبة الله، كما يفعل أشرار العالم.

٢٠- «لأن كل من يعمل السيئات يبُغـض النـور ولا يأتى إلى النور، لئلا تُوّبخ أعماله».

أى أن كل من يعمل الشر، يكره النور، ويهرب منه، لأنه يعلن شره لنفسه فيؤّنبه ضميره، ويُظهِر سيئاته لغيره، فيوبخونه عليها. فكرَاهة الأشرار للدين المسيحى سببها هو أنه يوبخ كل شرير على الظلم والخداع والزور والحسد والبخل والقساوة والسُكْر والزنا، وكل الخطايا التى يكشف الإنجيل عنها.

٢١- «وأما منْ يفعل الحق، فيقْبل إلى النور لكى تظهر أعماله أنها بالله معمولة»

أى أن الإنسان التقى هو الذى يعمل كل ما هو حق، ومُرْضٍ لله، يقّبّل المسيح، ويميل قلبه إليه، ويُسَّر بالحق، ويُرحّب به، ويفرح به، ولا يخاف أن يُدان بواسطة النور، على أى نوع من الخطايا. وأتيانه إلى النور يبرَّهن على أن أعماله بالله معمولة. أى عُمِلَت طوعاً لأوامره ووصاياه المقدسة وإرضاءً له.

وإن أظهر النور أن شيئاً من أعماله مخالف لمشيئة الله، وهو غافل عنه، سُر بذلك وأسرع إلى تركه. هذه نهاية المحاورة بين المسيح ونيقوديموس. ويظهر من (ص٧: ٥و١٢: ٤٢و ١٩: ٣٩) أنه استفاد من تعليم المسيح، فتاب بحكمة وعاش بتقْوى الله، فنال رضاه.

٢٢- «وبعد هذا جاء يسوع وتلاميذه إلى أرض اليهودية. ومكث معهم هناك، وكان يُعمّد»:

بعد أداء كل فروض الفصح اليهودية، تَرك يسوع أورشليم وأخذ يتجّول مع تلاميذه فى أرض اليهودية، لكى يُعِلّم ويعمل خيرَاً. «**وكان يُعمّد**». **لم يُعّمد هو نفسه بالماء بل تلاميذه كانوا يفعلوان ذلك بأمره وسلطانه**، كما يتبين من (ص٤:٢). وقال القديس يوحنا فم الذهب إن المسيح لم يُعّمد،لأنه لم تكن للمعمودية قبل موته قوة على مغفرة الخطايا (كما يتبين من ص٧:٣٩) وقد أخذت المعمودية هذه القوة من موته، ولذا عّمد التلاميذ بمعمودية يوحنا (للتوبة)، لا معمودية المسيح التى صدر الأمر بها، بعد قيامة المسيح (مت٢٨:١٩). وهى التى صارت لازمة لدخول الملكوت، كما أكده له المجد، فى حواره مع الرئيس نيقوديموس بهذا الخصوص.

٢٣- «وكان يوحنا أيضاً يُعمّد فى عين نون، بقرب ساليم، لأنه كان هناك مياه كثيرة وكانوا يأتون ويعتمدون»:

عين نون إسم قرية كانت على شاطئ الأردن. وساليم هو الأسم الأصلى لأورشليم، ومعنى «**ساليم**» السلام والصحة (السلامة) والكمال، ولكون يوحنا لم يكن يغسل بتعميده الرأس وحده بل الجسم كله، وتغطيسه بالكامل. لذلك احتاج الحال إلى ذلك الموضع، لأنه «**كان هناك مياه كثيرة**» (عميقة).

٢٤- «لأنه لم يكن يوحنا قد أُلْقِّىَ بعد فى السجن»:

قال يوحنا فم الذهب إن هذا القول يُشير إلى أن المعمدان استمر يُعمّد (عدة أشهر) إلى أن أُلقِىَ فى السجن. وظل يُكَمل إعداد طرق المسيح ويمهد سُبله، حتى موته.ومن ذلك نرى أن خدمة المعمدان وخدمة يسوع بقَيتا مدة من الزمان معا.

٢٥- «وحدثت مباحثة من تلاميذ يوحنا مع يهود من جهة التطهير»

كانت المباحثة (مجادلة - حواراً) أولاً فى منزلة (قانونية) معمودية يوحنا المعمدان فى التطهير، ثم في: هل معمودية المسيح أفضل من معمودية يوحنا؟ أو بالعكس. وأيهما يكون لها أوفر قداسة وتطهيراً للنفس والجسد؟!.

٢٦- فجاءوا إلى يوحنا وقالوا له «يامعلم هوذا الذى كان معك فى عبر الأردن الذى أنت قد شهدت له، هو يُعمّد. والجميع يأتون إليه».

إن تلاميذ يوحنا لحرصهم على شرف معلمهم، ولخوفهم من انحطاطه، أتوا يخبرونه بأن المسيح يُعمِّد، آملين أنه يمنعه من ذلك. ولا يمكن أن يحُدث هذا منهم لولا جهلهم عظمة يسوع، وحقيقة النسبة بينه وبين معلمهم. فأخذ يوحنا يحد من عجرفة تلاميذه، مثبتاً ما كان قاله قبلاً عن المسيح.

وحديث يوحنا لتلاميذه - كما سيلى - يدل على اتضاعه العملى، وإنكاره لذاته، وهو ما شهد به له رب المجد، وهو درس هام لكل نفس، لكى تتخلَّص من المشاكل الكثيرة.

٢٧- أجاب يوحنا وقـال «لا يقدر إنسان أن يأخذ شيئاً إن لم يكن قد أُعطِيَ من السماء».

ومعناه إن عظمة يسوع من الله الآب، وعظمته أيضاً برهان على أنه المسيح المرسل من السماء، فلا داعى للغيرة والحسد، أما أنا فيكفينى شرفاً أن الله أعطانى أن أكون سابقه، ومُرشِداً الناس إلى معرفته. ومُعِدَاً طريقه. وإنى مسرور بهذه العطية، وأريد أن أحيًا وأموت، على هذا الهدف المقدس (توبة النفوس).

٢٨- «أنتم أنفسكم تشهدون لى إنى قلّتُ لسّتُ أنا المسيح، بل إنى مُرسَّل أمامه»

وكأنه يقول لهم إن الشئ الذى أغاظكم من تقُّدم يسوع علىّ، هو الواجب أن يكون فعلاً، فإنى لم آتِ لأجمع شعباً وآخذ كرامةً لنفسى، بل أنا فقط كالمُنادى أمام الملك، لأُهّئ (أفسح) له الطريق وهذه هى غاية وجودى فى هذا الوقت فى العالم.

٢٩- «من له العروس فهو العريس. وأما صديق العريس الذى يقف ويسمعه، فيفرح فرحاً من أجل صوت العريس. إذاً فرحى هذا قد كَمُل».

يريد بالعروس الكنيسة، والعريس المسيح، وبصديق العريس يوحنا نفسه.وصوت العريس إنذاره وتبشيره الشعب. فالمعنى إن المسيح خطب لنفسه الكنيسة، أى جماعة المؤمنين فهو إذن العريس الحقيقي. فبالطبع الذى يستحق الاعتبار والاحترام والإجلال هو «العريس». أما الصديق فلا يستحق شيئاً من ذلك، ولا يتوقعه، بل يجب عليه أن يفرح فقط، مع أصدقاء العريس. فالذى أغاظكم من إتيان الجميع إليه هو الذى سّرنى السرور الكامل.

٣٠- «ينبغى أن ذاك (المسيح) يزيد، وإنى أنا أنقُص»

أى يلزم أن يَعظُم قدر المسيح وتأتى كل الشعوب إليه. ويمتد سلطانه بلا نهاية إلى الأبد، لكونه مسيحاً وملكاً. واما أنا فينبغى إنى أنقص كما ينقص نور كوكب الصبح عند طلوع الشمس، لإنتهاء وظيفتى المؤقتة، وهى كونى سابق الملك. وهنا تظهرعظمة المعمدان، فى اتضاعه العملى. ويكون المثال الواجب تقليده، لكل المشاكل، التى يثيرها ويُزيد من اشتعالها روح الكبرياء، التى تُوّلِد الحقد والحسد.

٣١- «الذى يأتــى مــن فــوق هــو فــوق الجميــع. والذى من الأرض هو أرضي، ومــن الارض يتكلــم. الذى يأتى من السماء هــو فــوق الجميع».

فى هذا العدد والثلاثة إعداد التالية إيضاح لِماَ قيل فى العدد السابق، عن عظمة وأفضلية المسيح على يوحنا المعمدان، كأفضلية السيد على العبد.

ويريد بقوله: «**الذى من فوق**» المسيح. لأنه الكلمة الازلى الآتى من السماء، والذى تجسّد وتأنس. فوجب أن يسمو على الجميع عظمة واعتباراً. ويلزم أن يكون «**فوق الجميع**» من كهنة وأنبياء ورسلاً، وملائكة: اما «**الذى من الأرض**» اى كل إنسان مثلي، أصله من هنا، مخلوق من التراب «**فهو أرضي**» اى ضعيف وناقص، «**ومن الأرض يتكلم**» لأنه مجرد إنسان محدود العلم وناقص الإدراك والفهم.

نعم إن تعليم يوحنا المعمدان- بالنسبة الى تعليم الكتبة والفريسيين- كان سماوياً لكنه- بالنسبة لتعليم المسيح- هو تعليم أرضي. أما «**الذى يأتى من السماء، هو فوق الجميع**» أى يفوق جميع الأنبياء والمعلمين بعلمه، ومجده وسلطانه.

٣٢- «وما رآه وسمعه، به يشهد، وشهادته ليس أحد يقبلّها»

أى بما أن المسيح أتى من السماء، فهو يقدر أن يشهد بالأمور السماوية. وأن ما تكلم به يوحنا المعمدان إنما تكلم به «كخادم» ينقل كلام سيده، ولكن ما تكلم به المسيح، تكلم كابن فى ما رآه وسمعه فى بيت أبيه (فى مجده).

فعلمه كامل وحق، ولا ريَّب فيه. ومع أن شهادته حق وواجبة، إلا انه «ليس أحد يقبّلها» بخلاف ظنكم ايها التلاميذ إن «الجميع يأتون اليه» فإن مجلس السبعين (السنهدريم) وأكثر الأمة اليهودية رفضوا قبول يسوع مسيحاً. فمع إتيان الجميع إليه كما قلتم، لم يقبل شهادته ويؤمن به، إلا القليلون جداً!!.

٣٣- «ومنْ قبل شهادته فقد ختم أن الله صادق»

أى أن الذى آمن بالمسيح، وخضع له بالقلب، فقد أقرّ بصدق كلام الله، الذى أوحى به للأنبياء وليوحنا المعمدان، الذى سمع قول الله فى يسوع، ساعة عماده فى نهر الأردن، عندما قال: «هذا هو ابنى الحبيب الذى به سُرَّرت» (مت٣:١٧).

٣٤- «لأن الذى أرسله الله يتكلم بكلام الله. لأنه ليس بكيلٍ يعطى الله الروح».

أى أن تصدّيق المسيح هو تصديق لله، لأن المسيح لم يتكلم من عنده، كما يمكن لكل انسان أن يتكلم، بل هو والآب واحد. فهو فى كل ما يُعلنه إنما يُعلِن أفكار الله الآب. وقوله «**لأنه ليس بكيل يعطى الله الروح**»: معناه إن نعمة الروح القدس لم تفِض على المسيح بمقدار، إذ أنه مصدر النعم ومُبدِأها. ولم تفض عليه كما فاضت على الأنبياء، بل على التمام والكمال الغير المحدود، الذى لا يمكن كيله ولا وزنه بموازين العالم.

٣٥- «الآب يحب الابن وقد دفع كل شيء فى يده»

أى جعل الآب فى يده - وسلطانه- كل شيء مما فى السماء والأرض. أى جميع مواهب الروح القدس، ليوزِّعها على المؤمنين بحسب ما يشاء. ولُيمِارس بها خُدامَّه أسرارَه المقدسة السبعة.

٣٦- «الذى يؤمن بالابن له حياة أبدية، والذى لا يؤمن بالابن لن يرى حياة (أبدية)، بل يمكث عليه غضب الله».

أى أن الذى يقبل الإبن مُخلصِّاً وحيداً. ويعترف بأنه ابن الله حقاً، وأنه مساوٍ للآب فى الجوهر، وسائر الكمالات الإلهية. له الحياة الأبدية. أى تنجو نفسه من دينونة الخطية ولعنة الناموس، ويحصل على غفران خطاياه، وعلى السلام الكامل، مع الله، ويرث الملكوت السماوى السعيد.

وأما الذى لا يؤمن بالابن، فلا يكون له أقل نصيب فى بركات الحياة الروحية.ويمكث عليه غضب الله، بسبب خطيته. أى يُطرح فى جهنم، لأن المسيح هو المصدر الوحيد لتلك الحياة الأبدية. فكل منْ لم يتحِد به يكون خالياً منها. ولا يكون له مهَرب من عواقب ذنبه.

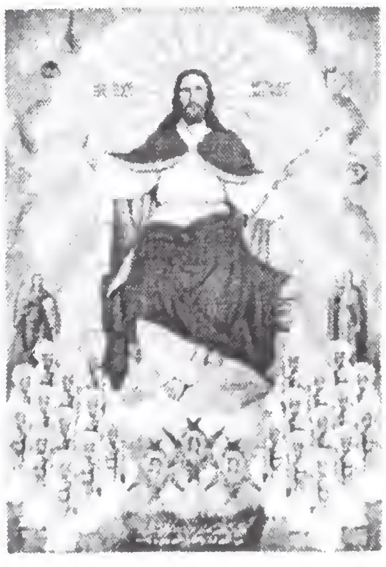

الإصحاح الرابع

١- «فلما علم الرب أن الفريسيين سمعوا أن يسوع يصير ويُعمّد تلاميذ أكثر من يوحنا. ٢- مع أن يسوع نفسه لم يكن يعمد بل تلاميذه. ٣- ترك اليهودية ومضى أيضاً الى الجليل».

إن نجاح الرب يسوع أغاظ الفريسيين. فاشتدت عداوتهم له، وازدادت مقاومتهم، ولكون ساعة الرب يسوع لم تكن قد أتت، لذا رأى أن يذهب الى موضع آخر، حيث كان أعداؤه أقل عدداً. فاختار أن يذهب الى ولاية الجليل فى الشمال.

ونستدل من قول البشير «ومضى أيضا الى الجليل» انه كان قد ذهب مرة أخرى الى تلك الولاية. وهى المذكورة (فى ص٢) حيث صنع معجزة تحويل الماء الى خمر- أما مسألة التعميد فراجع فى تفسيرها الاصحاح السابق (٢٢) - ولنا مما فعله الرب يسوع الإباحة للمسيحى فى وقت الاضطهاد والخطر بترك مكانه أو الهجرة والذهاب الى حيث يأمن على سلامته وحياته وإيمانه، ويستطيع أن ينفع غيَره.

٤- «وكان لابُد له أن يجتاز السامرة»

كانت الأرض المقدسة تنقسم: الى ثلاثة أقسام: اليهودية فى الجنوب والجليل فى الشمال. والسامرة بينهما، فكان لابُد للذى يذهب الى الجليل أن يمر بأرض السامرة. وكانت توجد طريق أخرى تمر فى بيرية شرقى الأردن، ولكن الطريق المارة بالسامرة كانت مستقيمة وأقرب من الأخرى، فى المسافة.

ويسأل القديس كيرلص (عمود الدين) كيف يُنهى المسيح رسله من دخول السامرة، ثم يذهب هو إليها؟ ويجيب بأن المسيح أمر تلاميذه أن لا يُقيموا بالسامرة. ولم يمنعهم من مجرد الاجتياز بها. كما سيأتى وقت للخدمة بها، بعد قيامته.

ولم يكن من الضرورى عبور السامرة، كموقع جغرافى فى الوسط، **بل كان لابُد أن يُخلّص المرأة السامرية المسكينة.**

٥- «فأتى الى مدينة من السامرة يُقال لها سوخار، بقرب الضّيعة التى وهبها يعقوب ليوسف إبنه»:

«**سوخار**» هى المسماة قديماً شكيم، المذكورة فى (تك١٢و١٧و٣٣و٣٤) ثم أصبحت من مدن الملجأ (يش٢٠) وهناك دُفنت عظام يوسف، كما ورد فى الاصحاح الأخير من سفر يشوع.

٦- «وكانت هناك بئر يعقوب. فإذ كان يسوع قد تعب من السفر، جلس هكذا على البئر. وكان نحو الساعة السادسة (١٢ ظهراً)».

جاء فى (تك ٣٣: ١٨-٢٠) أن يعقوب اشترى تلك الأرض. ولم يُذكرَ أنه حفر فيها بئراً. ولكن البشير يُشير الى أن هذا كان معلوماً ومشهوراً. فلابُد أن يعقوب حفر فى تلك الأرض البئر المذكورة، ليُثبت ملكيته لها. ولما كانت المسافة من أورشليم الى بئر يعقوب نحو مرحلتين «**كان يسوع قد تعب من السفر**» **لأنه قطعَّها ماشياً.**

ولما لم يكن له شيء يجلس عليه «جلس هكذا على (حافة) البئر» وقد أظهر بذلك غاية التنازل لأجلنا،لأنه مع كونه خالق أطراف الارض، الذى لا يكل ولا يتعب (إش٤٠:١٨) عرّض نفسه للتعب والعطش، بالجولان ماشياً فى حر الصيف، وبرد الشتاء، حتى احتاج الى الراحة - «وكانت الساعة السادسة» أى وقت الظهر.

٧- فجاءت إمرأة من السامرة لتستقى ماءً. فقال لها يسوع «أعطينى لأشرب».

انظر الى عِظَم تنازل يسوع. فقد رَضِيَ أن يعظ امرأة نصف وثنية ونصف يهودية. وأن يكون منبره حجر البئر. وأن يَطلب منها أن تُعطيّه ليشرب، ليتخذ هذا الطلب وسيلة الى إفتتاح الحديث مع المرأة، لإفادة نفسها ودفعّها وسكان مدينتها الى الإيمان به.

٨- «لأن تلاميذه كانوا قد مضوا الى المدينة ليبتاعوا طعاماً»:

هذا هو السبب فى طلب يسوع من المرأة أن تسقه، لأنه لو وجد تلاميذه لكان طلب منهم لا منها. ونستدل من قوله «ليبتاعوا طعاماً» أن المسيح وتلاميذه ما كانوا يعيشون من التسُّول، بل كانوا يبتاعوا طعامهم بما يُقدّمه لهم المؤمنون والمؤمنات من مساعدات مالية. وكان أمين الصندوق هو يهوذا الأسخريوطى (ولمحبته للمال كان يسرق بعضه).

٩- فقالت له المرأة السامرية «كيف تطلب منى لتشرب وأنت يهودى وأنا إمرأة سامرية؟» لأن اليهود لا يُعاملون السامريين.

تعجبت المرأة من طلب يسوع، لأنها تعلم البُغض الذى بين اليهود والسامريين. وسبب هذه البغضاء ان إسرّحدون ملك اشور كان قد أتى بالأمم الوثنية (عراقيون) وأسكنهم فى الارض التى سبى منها عشرة أسباط من إسرائيل (٢مل ١٧: ٢٤-٤١ وعز ص٤) فتكوّن من هذه الامم، ومن بقية سكان الأرض الاسرائيليين ما يسمونه بالسامريين. وكانت ديانتهم مزيجاً من الوثنية والإسرائيلية. فكان اليهود يكرهونهم لهذا السبب. ولا «يعاملونهم» حتى قال احد الفريسّيين إن الذى يأكل من خبز السامريين فكأنه أكل لحم خنزير. ولا يجوز أن يطلب أحد الشعبين من الآخر، ولو كوب ماء. وقال يوحنا فم الذهب إن هذه المعاملة كانت مُحَّرمة، خاصةً على اليهود لا على السامريين، بدليل قول المرأة «كيف تطلب منى لتشرب وأنت يهودي؟».

١٠-أجاب يسوع وقال لها «لو كنتِ تعلمين عطية الله؟ ومنْ هو الذى يقول لكِ أعطينى لأشربْ لطلّبتيِ أنتِ منه فاعطاكِ ماءً حياً».

جهلت المرأة السامرية حقيقة المسيح. وظنته إنساناً يهودياً محتاجاً الى شُرَبة ماء لانتعاش جسده. فلو علمت أنه «عطية الله» أى المسيح ابن الله الحبيب، أى الله نفسه متجسداً، والذى فى يده قُدَرة لا تُحّد، وحّنو لا يُقَاس. لو علمت المرأة ذلك لطلبت فاعطاها «**ماءً حياً**».

قيل إنه يُراد **بالماء الحّى التعليم الانجيلي**، وقيل **الروح القدس ونعمته**. ودعاه حياً لأنه يغسل النفس من أقذار الخطية ويجعلها تنمو بالفضائل. وقيل إن المقصود به كل ما ينال به المرء الخلاص والحياة الأبدية، وما يُروى ظمأ النفس الروحى الى الأبد. وهذا يتضمن غفران الخطية، والسلام مع الله.

ويسأل سائل «لماذا استعمل المسيح المجاز بأن استعار الماء الحى لنعمته؟» والجواب إنه جعل كلامه فى الروحيات متعلقاً بما سبق. فإنه طلب من المرأة ماءً لإرواء جسده. فوعدها بماءٍ لإرواء نفسها. فانتقل معها من الكلام عن الماء الجسدى (العادى) الى الكلام عن الماء الروحي، ليُرِّقى أفكارها من طلب البركات الجسدية الى طلب البركات الروحية.

١١- قالت له المرأة «يا سيد» لا دَّلو لك. والبئر عميقة. فمن أين لك الماء الحي؟»

قال يوحنا فم الذهب، نستدل من هذا الكلام أن المرأة استفادت قليلاً من كلام المسيح السابق، إذ دعته «يا سيد» ولكنها لم تزل جسدية فى فكرها، لأنها مازالت تفهم «**بالماءِ الحي**» الماءَ الطبيعي وتحتج بأنه ليس فى قُدرتِه أن يُعطيها إياه، إذ لا دلو (جردل) ولاحبل عنده، والبئرعميقة.

١٢- «ألَعلك أعظم من ابينا يعقوب الذى أعطانا البئر وشرب منها هو وبنوه ومواشيه؟»

فكأنها قالت إن هذه البئر إكتفى بها يعقوب وأولاده ومواشيه فسُرُّوا بها. فكيف تستطيع أنت أن تُعطِى ماءً افضل من مائها؟ ولماذا أطلب أنا أحسن منه؟ وقال يوحنا فم الذهب «إن يسوع رفع عقلها درجة فدرجة، لأن معنى كلامها: لو كان لكِ أحسن منه، فأنتِ أعظم من يعقوب».

١٣- أجاب يسوع وقال لها. «كل منْ يشرب من هذا يعطش أيضاً».
١٤- «ولكن منْ يشرب من الماء الذى أعطيه أنا، فلن يعطش إلى الأبد. بل الماء الذى أعطيه يُصيّر فيه ينبوع ماء ينبع الى حياة أبدية».

أى أن الماء الذى أعطاه يعقوب، إذا شرَبه الإنسان يعطش أيضاً ويعود يطلب ويشرب ثانية وهكذا. وهذا تعرفه المرأة ويعرفه كل انسان بالاختبار. وأما الماء الحى الذى يعطيه المسيح. أى ماء النعمة والخلاص والروح القدس، فإنه يحصل به على كل ما يحتاجه من البركات الروحية فيروى ظمأ نفسه أكمّل رواءً. فتشفى أشواقها بالإتحاد مع الله، والمصالحة معه. وبمعرفة الحق وراحة الضمير والراحة والسعادة. وهذه النِعَم تصيَّر «**فيه ينبوع ماء ينبع الى حياة ابدية**» فترفع نفس الانسان الى ينبوعها الأصلى، أى الى الله والسماء. وتبقى لمن يحصل عليها الى الأبد مع كل التجارب التى تحل به حتى الموت، لأن مصدرها هو الله. وهى تجرى منه الى قلوب المؤمنين (رو٨:٣٥-٣٩).

١٥- قالت له المرأة «يا سيد أعطنى هذا الماء، لكى لا أعطش ولا آتى الى هنا لأستقِي».

لم تفهم المراة كلام المسيح بخصوص ماء النعمة. وظلت تظنه يتكلم عن الماء الطبيعي، لكنها

صدّقت إنه قادر على إعطائها عطية زمنية عجيبة تُغنّيها عن التعب والعناء فى الإتيان الى تلك البئر، للحصول على الماء، وخاصة وقت الظهيرة حيث كانت تأتى وحدها، خجلاً من الناس، بسبب دنسها المشهور.

١٦- قال لها يسوع «إذهبى وادعِى زوجكِ وتعاليِ الى هنا»

اراد المخلص أن يكشف لها عن خطاياها. ليُبّن لها أنه يعلم ما لم يستطع أحد من الناس أن يعلمه، ليُعدّها بذلك لتفهم إنه المسيح. فكان كطبيب ماهر يعالج النفوس بأن جعلها تشعر بمرض نفسها (الحقيقى) واحتياجها الى الشفاء، ليرشدها الى الدواء الروحي. وسلك معها هذا السبيل ليُعطيّها الماء الحي، إجابةً لطلبها.

١٧- أجابت المرأة وقالت «ليس لى زوج». قال لها يسوع «حسناً قُلتِ ليس لى زوج».

صَدَقَت المرأة ولم تَدّعِ أن الرجل الذى كانت تعيش معه فى ذلك الوقت هو زوجها الشرعي. فمدحها المسيح على **صدقها بإعتراف**، بدلاً من توبيخه إياها، لأنه لو وبخها لإنصرَّفت عنه غاضبة. وما أصغّت الى كلامه بعد ذلك.

١٨- «لأنه كان لكِ خمسة أزواج، والذى لكِ الآن ليس هو زوجكِ. هذا قلتِ بالصدق».

كان هؤلاء الأزواج الخمسة شرعيين، والسادس غير شرعي. انظر الى حنو يسوع فإنه لم يقل للمرأة «أنتِ زانية فتوبى عن خطاياك» بل مدحها ثانيةً على صدقها بإقرارها. بل قال فقط إن الذى لها ليس هو زوجها. فأشار بذلك إنها خالفت الوصية السابعة، وانه يعرف خفايا كل انسان.

١٩- قالت له المرأة «ياسيد أرى أنك نبى»

لما رأت المرأة أن يسوع أخبرها بأمورها المستورَة، وهو شخص غريب المكان ويهودي، تيقّنت أنه يعرف الغيب، بوحى من الله. فتحققت كونه مُعلِماً إلهياً. ومُرسلاً من الله، ليُعلن الحق للناس. فقالت له «**إنك نبى**». فكان إيمانها بالمسيح كإيمان التلميذين الذاهبين الى بلدة عموّاس (لو٢٤:١٩).

٢٠- «آباؤنا سجدوا فى هذا الجبل، وأنتم تقولون إن فى أورشليم الموضع الذى ينبغى أن يُسجَد فيه».

كان يوجد فى ذلك العصر خلاف ما بين السامريين وبين اليهود سببه: إن منسى أخا يادى عظيم الأحبار، الذى استقبل اسكندر الاكبر، باحتفالٍ مهيب فخِيم وأخمَّد نيران غضبه على اليهود- تزوَّج إمرأة اجنبية هى نيكاون. ابنة سنابلا، الذى ولاَّه داريوس ملك الفُرس الأخير على السامرة فنفى يادى أخاه منسى من الهيكل، وأبعده من الأمور المقدسة لكونه تزوج بأجنبية. فلجأ منسى الى حميه سنابلا. فشيد له هيكلاً عظيماً فى جبل جرزيم المطل على شكيم (بالقرب من بئر يعقوب حيث كان المسيح قد جلس وجاءت السامرية لتستقي). وجعل منسى حبراً عليه. وكان ذلك سنة ٣٣٢ق.م فانضم اليه كثيرون من اليهود الفارين، وخصوصاً الذين اقتدوا به وخالفوا أوامر الشريعة، وتزوجوا بالأجنبيات.

وكانوا ينتحلون لنفوسهم أعذاراً على عملهم هذا، بقولهم بأن شكيم المشرف عليها جبل جرزيم أرض مقدسة. ويستشهدون بما جاء (فى تك ١٢:٦ و٧و١٣: ٤و٣٣: ١٨و٢٠) وظنوا أنه الجبل الذى ذهب إليه إبراهيم ليقدم إسحق. وأن يعقوب بنى هناك مذبحاً.

واستمر ذلك الهيكل نحو مائتّى سنة الى أيام يوحنا هركانوس بن سمعان أخى يهوذا المكابي، وكان هذا والياً ورئيس كهنة عظيم أحبار فهدمه. وذلك فى سنة ١٢٩ق م. ولكن ذلك لم يُثنِ السامريين عن إقامة فروض العبادة هناك.

فكأن المراة قالت للمسيح «بما أنك نبي» قل لى أى المكانين ينبغى أن يُسجَّد فيه. هل هو جبل جرزيم؟ أم أورشليم؟ وأى مكان منهما قصد موسى بما قاله (فى تث ١٢: ٥-٧)؟!

٢١- قال لها يسوع «يا إمرأة صدقّينى إنه تأتى ساعة لا فى هذا الجبل، ولا فى أورشليم تسجدون للآب».

كان من الواجب على اليهود أن يذهبوا ثلاث مرات فى السنة ليعبدوا الله فى مكان معين (هو أورشليم) ومعنى قول المسيح هنا إنه ستأتى ساعة وذلك بعد أربعين سنة حين تُهدم مدينة اليهود وهيكلهم، كما هُدِم الهيكل فى جرزيم. وحينئذ تُقَام الكنائس فى كل مكان للمسيحيين ويُبطَل ذلك المعبد الخاص. الذى يدوم، مادامت الديانة محتاجة الى طقوس ورموز وذبائح، ولكنها حين استغنت عن تلك الأمور، استغَّنت عن ذلك الهيكل، لأنه قد أتى المرموز اليه وهو المسيح، فلم تّبقَ بعد حاجة الى الرمز.

وبقوله «**يسجدون للآب**» جعل اليهود والسامريين بمنزلة واحدة أمام الله، وذلك على خلاف اعتقاد اليهود بأنه أبوهم، دون غيرهم. وبهذا علّمنا أيضاً إننا إذا اقترَبنا الى الله، يحق لنا أن ندنو منه، كأولادٍ يقتربون من أبيهم.

٢٢- «أنتم تسجدون لما لستم تعلمون. أما نحن فنسجد لما نعلم. لأن الخلاص هو من اليهود».

والمعنى: أنتم أيها السامريون تجهلون الله، لأنكم أشركتم به بعبادتكم الأوثان معه (٢مل١٧: ٢٤-٣٤) ومعرفتكم به ناقصة، لأنكم رفضتم الأسفار التى تُعلِن مشيئة الله ورفضتم تعاليم الأنبياء الذين أرسلهم الله، مع أنه لا يمكن معرفة الله حق المعرفة إلا بمعلناته.

أما نحن، أى أمة اليهود، فلهم إعلان كامل من شأن الله، إذ قبلوا الأسفار المقدسة بأجمعها. فعرفوا الله حق المعرفة. وعرفوا طريق عبادته كما ينبغي. وفضلاً عن ذلك فإن الخلاص الذى هو غاية تلك المعرفة، وتلك العبادة، هو من اليهود. فالأمة اليهودية تمتاز إذن عن السامريين بكونها:

(١) قبلت الإعلانات عن الخلاص.

(٢) بكون المخلص وُلِدَ منها.

(٣) وبكون الله جعلها وسيلة لإيصال الخلاص الى سائر أمم الارض، لأن عبادة تلك الأمة كانت استعداداً للعبادة المسيحية. ومن مُخلّص إلهى يهودى بالجسد.

٢٣- «ولكن تأتى ساعة- وهى الآن- حين الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح والحق، لأن الآب طالب مثل هؤلاء الساجدين له».

قال يوحنا فم الذهب والقديس كيرلص (عمود الدين) وغيرهما أن معنى هذا القول هو: قد حضر زمان شريعتى الفُضّلى (الإنجيلية). وبها يسجد لى المسيحيون سواء كانوا من اليهود أو من السامريين، أو من الامم الاخرى، لا فى هذا الجيل ولا فى أورشليم بل فى كل مكان فى العالم (فى العالم كنائس مسيحية) وليس بالذبائح الحيوانّية، كما يفعل اليهود (بأورشليم) بل بالروح والحق. **فبالروح**. معناه. بالعبادة الروحية الصادرة من القلب، لا بمجرد الشفتين. أى العبادة بالايمان والرجاء والمحبة. **وبالحق** معناه بالحقيقة والاستقامة. اى لا تكون بواسطة ظلال النظام الموسوى ورموزه، بل بواسطة نور النظام المسيحى الكامل، كما أعلنه يسوع المسيح، الذى هو

الحق- وقوله «**لأن الآب طالب مثل هؤلاء الساجدين له**» معناه أن الله لا يعتبر من الألاف والملايين الساجدين له، إلا الذين يسجدون بالروح والحق.

٢٤- «الله روح والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغى أن يسجدوا».

هذا هو سبب لوجوب أن نعبد الله بالروح والحق. فكأنه قال: «إن الله روح كلى البساطة والحق، فيلزم ان يكون السجود له»:

١) بالروح أى بالعقل والقلب والحرارة والأشواق الروحية، وبإرشاد الروح القدس.
٢) بالحق أى بالإخلاص، دون رياء أو خداع.
٣) وبمعرفة المعبود حق المعرفة، كما أعلنه المسيح، الذى هو الله والحق.

٢٥- قالت له المرأة «أنا أعلم أن مسّيا الذى يُقال له المسيح يأتي. فمتى جاء ذاك يخبرنا بكل شيء».

عرفت المرأة السامرية- كما عرف السامريون- أن المسيح يأتي، من قول يعقوب: «لا يزول قضيب (سلطان) من يهوذا أو مشتَرِع من بين رجليه حتى يأتى شيلون، وله يكون خضوع شعوب» (تك٤٩: ١٠) وقول موسى: «يقيم لك الرب إلهك نبياً من وسطك، من إخوتك مثلي، له تسمعون» (تث١٨: ١٥). لان السامريين كانوا لا يعتقدون إلا بأسفار موسى الخمسة فقط.

وقوله «**يُخَبِّرنا بكل بشيء**» أى يُزيل من قلب المرأة السامرية كل الشكوك الدينية، ويحكم بالصواب، لأنه المعلم الإلهى الحقيقى، ومُعلّم الحق.

٢٦- قال لها يسوع «أنا الذى أكلمكِ هو».

كأنه يقول لها: «أنا هو المسيا الذى تفسيرَه المسيح، فآمنى بى وبتعليمى واعملى به فتخلُصِي». قال ذلك وأنار عقلها وحرَّك إرادتها بنعمته. فآمنت واستدعت سكان المدينة الى الإيمان به.

ويسأل المفسرون: «لماذا كشَف المسيح عن نفسه للمَرأة بأكثر صراحةً، مما صرَّح به لليهود؟» وأجابوا بأن سبب ذلك بساطة المرأة وحُسن نيتها، وخُبث اليهود وسوء نيتهم.

ولماذا لم ينبّئ المرأة أنه المسيح، من أول الأمر؟ والجواب لكى يجتنب شُبَهة العجب، وتسهيلا لإقناعها بالتدريج، إذ قادها الى المطلوب شيئاً فشيئاً. فإنه سألها أولاً أن تعمل معه معروفا. ثم حملها الى الإنتباه لِمراده بالماء الحي، ثم أيقظ ضميرها بكلامه عن سيرَتها الماضية. ثم علمّها عن العبادة الروحية، ثم أوصّلها بما ذكر، إلى إعلانه الأخير، إنه هو «**المسيح**».

٢٧- «وعند ذلك جاء تلاميذه وكانوا يتعجبون إنه يتكلم مع إمرأة. ولكن لم يقُل أحد ماذا تطلب؟ او لماذا يتكلم معها؟»:

أى أنه حين بلغ الحديث الى ذلك الحد، عاد التلاميذ من المدينة التى ذهبوا إليها ليبتاعوا طعاما. وتعجبُّوا من كلامه مع إمرَأة. أى تعجبُّوا من تواضعه من كونه يتكلم مع إمرأة سامرية فقيرة وهو يهودي، ولكن لم يجسروا أن يسألوه عن سبب مُخاطبة المرأة، لهيبته، وشدة احترامهم له.

٢٨- فتركت المرأة جرتها ومضت الى المدينة وقالت للناس:

٢٩- «هلموا انظروا إنساناً قال لى كل ما فعلت. ألعّل. هذا هو المسيح؟!».

إن اضطرام قلب المرأة بحرارة الإيمان، حملَها على أن تترك جرّتها. أى لم تلتفت الى الأمور الدنيوية. بل أسرَعت وأبلغت كافة الناس، سواء كانوا فى المدينة أو فى الطريق، بأخبار المسيح السارة. وكما اقتادها المسيح الى الايمان شيئاً فشيئا أرادت اقتياد الناس اليه. فلم تقُل لهم قد «رأيتُ المسيح» بل سألتهم أن يأتوا ويفحصوا عن ذلك بأنفسهم، بقولها لهم «**هلموا وانظروا انساناً قال لى كل ما فعلت**».

لأن ما أنبأهًا به يسوع أقنعها أنه قادر على إنبائها بسائر ما فعلت، ولكنها لم تقل لهم هذا هو المسيح- على سبيل الاخبار- لئلا يجاوبوها ويقولوا لها «كيف أنكِ ترغّبين فى تعليمنا؟ هل أنتِ تعرفين أكثر منا؟» بل قالت «ألعلَ هذا هو المسيح»؟ أى تعالوا وافحصوا كلامه لتعرفوا هل هذا الشخص هو المسيح المنتظر؟.

٣٠- «فخرجوا من المدينة وأتوا إليه»:

قال القديس كيرلس إن سهولة قبول السامريين للمسيح تؤنب قساوة قلوب اليهود. فقد آمن السامريون بالمسيح، لخطابٍ واحد. واليهود لم يؤمنوا به مع انذاره وعظاته بينهم ثلاث سنوات وبعض شهور، ومع صُنعِه العجائب التى لا تُحصى أمامهم.

٣١- وفى أثناء ذلك سأله تلاميذه قائلين «يا معلم كُل».

أى أنه فى المدة بين ذهاب المرأة وقدوم أهل المدينة طلب التلاميذ من سيدهم أن يأكل. وقال يوحنا فم الذهب «طلب التلاميذ من المسيح أن يأكل حُباً به، وإشفاقاً عليه، إذ كان قد تعب من مشقة الطريق. ثم حباً بأنفسهم إذ كانوا جياعاً أو فى تعب، ولم يتجرّأوا أن يأكلوا قبل أن يُبارِك المائدة كعادته. ويبدأ بالأكل كعادة الناس، عند وجود إنسان عظيم».

٣٢- فقال لهم «أنا لى طعام لآكل لستم تعرفونه أنتم».

كأنه يقول «إنى راغب فى جذب السامريين إلى الايمان الذى اهتممت به، بواسطة المرأة السامرية. فهذا الجوع الروحى يمنع منى قابلية الطعام الجسدى وأنتِم تجهلون ذلك».

وقال القديس كيرلص «لما كان المسيح قد أعدَّهم ليكونوا معلمين للمسكونة، علمّهم بمثاله أن يهتموا بخلاص النفوس، أكثر من اهتمامهم بجسدهم».

(ويجب إعطاء العبادة والخدمة الأولوية على لقمة العيش، وليس العكس).

٣٣- «فقال التلاميذ بعضهم لبعض ألعل أحد أتاه بشيء ليأكل؟».

عسر على التلاميذ ان يفهموا كلامه عن الطعاْم الروحي. ولذلك أخذوا يقولون لبعضهم بعض هذا القول فى حوارهم، أى على بُعد من المسيح.

٣٤- وقال لهم يسوع «طعامى أن أعمل مشيئة الذى ارسلنى وأتُممّ عمله».

كأنه قال إن «**مشيئة الذى أرسلني**»، هى المُنَاداة بالخلاص للهالكين. وأن «**أتمم عمله**»، أى عمل الفداء بموتى على الصليب، أجد فيهما راحة ورياً وشبعاً.

٣٥- «اما تقولون إنه يكون أربعة أشهر، ثم يأتى الحصاد؟ هاأنا أقول لكم ارفعوا أعينكم وانظروا الحقول إنها قد ابيَّضت للحصاد».

معناه أنه يكون عادةً مابين الزرع والحصاد الحقيقيين أربعة شهور، ولكن ما بين الزرع المجازى الذى هو كلام المسيح وتبشيره المرأة السامرية، وما بين الحصاد المجازي، أى اهتداء السامريين.

أى عندما أبلغتهم المرأة ذلك التبشير، لم يكن إلا وقت قصير، لا يزيد عن ساعة. وتجد المقابلة ما بين التبشير بالإنجيل والزرع (فى مت٩:٣٦- ٣٨ ومت ص١٢ ولو ١٠:٢٧).

٣٦- «والحاصد يأخذ أجرة، ويجمع ثمراً للحياة الأبدية، لكى يفرح الزارع والحاصد معاً».

اى أنه كما أن الذى يجمع الحصاد الطبيعى يأخذ أجرة، كذلك الذى يجمع الحصاد الروحى يأخذ أجرة. وأجرته هى الحياة الابدية، أى نتائج روحية تدوم الى الأبد، لأن النفوس الناجية بالتبشير تنال سعادة لا نهاية لها. وهذا خلاف حصاد الحنطة، الذى لا يَبقَى إلا وقتاً قصيراً.

ويريد بالزارع هنا موسى وجميع الانبياء الذين زرعوا فى اليهود مبادئ الايمان كوحدة الله ووجوب عبادته ومجئ المسيح المخلص. ويُراد به أيضاً هنا المسيح، لأنه زرع التعليم الحق، أى جذب السامريين الى الإيمان به. ويُرَاد بالحاصد المسيح والرسل الذين كمَّلوا مبادئ الأنبياء، بالتعليم الإنجيلى ونعمته، وجذبوهم الى الحياة الأبدية.

فكما أنه فى الزراعة العادية يشترك كثيرون من الفلاحين فى الحرث والبذر، والسقى والحصاد، ويفرحون جميعاً فى الحصاد. كذلك فى الفلاحة الروحية. ولذا يفرح بإيمان السامريين، لا المسيح ورسله فقط، بل أيضاً موسى والأنبياء، لمشاهدتهم الثمر، فيما زرعوا. والمشاركة فى الفرح تكون فى هذا العالم، إذا ظهرت نتائج العمل، ولكن معظم المشاركة فى الفرح يكون فى نهاية العالم، يوم الحصاد العظيم (مت ١٣:٣٩) أى يوم الدينونة.

٣٧- «لأنه فى هذا يصدُق القول: إن واحداً يزرع وآخر يحصد».

فى قوله «**إن واحداً يزرع وآخر يحصد**».مَثَل عند الناس، مبنى على أساس مايحدُث كثيراً فى العالم، وهو أن الواحد يتعب وغيره ينتفع بتعبه. وهذا ينطبق أيضاً على الزرع والحصاد الروحيين (افتقاد وربح النفوس للمسيح).

ومن واقع الزراعة، فإن «**الحصاد**» يكون دائماً من جنس الزرع، فمن يزرع عنباً يحصد العنب، ومن يزرع الشوك لابُد أن يحصد شوكاً (غل٦:٧)، أى يجّنى خيراً أو شراً، حسب عمله الصالح أو الطالح.

٣٨- «أنا أرسلتكم لتحصدوا ما لم تتعبوا فيه. آخرون تعبوا وأنتم دخلتُّم على تعبهم».

إن الآخرين الذين تعبوا ودخل الرسل على تعبهم، هم موسى وأنبياء العهد القديم، والكهنة اللاويين الذين قدموا الذبائح الدموية، إشارة الى ذبيحة المسيح العظمى، والمسيح نفسه لأنه لم يرَ مدة حياته على الأرض من نتائج خدمته سوى القليل.

وقد دخل الرسل على أتعاب هؤلاء أى أن نجاحهم فى التبشير كان نتيجة ذلك العمل الاستعدادي، الذى استمر نحو الخمسة آلاف سنة. فكل خادم للإنجيل هو حاصد بالنسبة للذين سبقوه، وزارع بالنسبة للذين يأتون بعده. ونحن نعيش على الإيمان الذى تعب الشهداء والمعترفون والخُدّام الأُمناء فى الحفاظ عليه سليماً.

٣٩- فآمن به من تلك المدينة كثيرون من السامريين بسبب كلام المرأة التى كانت تشهد «أنه قال لى كل ما فعلت».

٤٠- «فلما جاء اليه السامريون سألوه أن يمكث عندهم. فمكث هناك يومين».

إن معرفة المسيح الفائقة، أى معرفة المستور من أمر السامرية كان سبباً فى أن كثيرين من السامريين آمنوا به، وطلبوا منه أن يمكث عندهم. فسُّروا به سروراً عظيماً. ولم يكتفوا بما سمعوه، بل دعوه ليُقيم عندهم مدة، يُعلّمهم فيها. فمكث عندهم يومين لا أكثر، لئلا يُشكّك اليهود، لأن المسيح موعود به لليهود، لا للسامريين، وسيأتى الوقت لخدمة الرسل بينهم (بعد صعود المسيح).

٤١- «فآمن به (عدد) أكثر جداً بسبب كلامه».

٤٢- وقالوا للمرأة «إننا لسنا بعد بسبب كلامكِ نؤمن، لأننا نحن قد سمعنا ونعلم أن هذا هو بالحقيقة المسيح مُخلّص العالم».

إن الذين آمنوا بكلام المرأة كانوا كثيرين والذين آمنوا بسماع كلام المسيح ذاته كانوا أكثر. وقد قال جميع الذين آمنوا للمرأة «**بإننا لسنا بسبب كلامكِ نؤمن**» بل «**نحن قد سمعنا**» وتعلّمنا من أسفارموسى وعد الله لإبراهيم بأنه تتبارك فيه جميع قبائل الأرض (تك١٢:٣) وقد تأكدنا من هذا التعليم من أقوال المسيح، فعرفنا «**أن هذا هو بالحقيقة المسيح مُخلّص العالم**».

ومن هذا نستدل على أن السامريين قد أدركوا فى وقتٍ وجيز، مالم يدركه اليهود فى زمان كبير. والعلة فى ذلك أن السامريين كانوا أقل من اليهود تعصباً وكبرياءً ولم ينتظروا كاليهود أن يكون المسيح ملكاً أرضياً، فيمتنعوا مثلهم عن قبوله مخلصاً روحياً لنفوسهم من الخطية الجدّية.

٤٣- «وبعد اليومين خرج من هناك ومضى إلى الجليل».
٤٤- «لأن يسوع نفسه شهد أن ليس لنبى كرامة فى وطنه».

ذهب يسوع إلى الجليل ولكنه لم يدخل «**الناصرة**» والعلة فى ذلك هو ما قاله بنفسه «إن ليس لنبى كرامة فى وطنه» فقد رفضوا سماع صوته فى مجمع الناصرة، فاضطر إلى تركها والذهاب للمدن الشرقية الساحلية.

٤٥- «فلما جاء إلى الجليل قَبلَه الجليليون (حول بحيرة طبرية) إذ كانوا قد عاينوا كل ما فعل فى أورشليم فى العيد، لأنهم هم أيضاً جاءوا إلى العيد»:

إن الجليليين ماعدا أهل الناصرة قبلوا الرب يسوع معلماً ونبياً، وليس لأنه واحد منهم، بل لأنهم «**عاينوا كل ما فعل فى أورشليم**» أى رأوا المعجزات الكثيرة التى صنعها وعاينوها بأنفسهم، لأنهم كانوا هم فى «**العيد**» أى عيد الفصح.

٤٦- «فجاء يسوع أيضاً إلى قانا الجليل حيث صنع الماء خمراً. وكان خادم للملك ابنه مريض فى كفر ناحوم».
٤٧- «هذا إذ سمع أن يسوع قد جاء من اليهودية إلى الجليل أنطلق إليه، وسأله أن ينزل ويشفى إبنه، لأنه كان مُشرفاً على الموت».

ومن الجدير بالذكر، أن البشير «يوحنا» قد انفرد بذكر تلك المعجزة، التى لم تُشر إليها البشائر الأخرى.

وقد ظن بعضهم أن «خادم الملك» الذى كان إبنه مريضاً فى كفر ناحوم هو قائد المئة الذى ذكره متى فى (ص٨) والحقيقة كما قال فم الذهب إنه كان غيره، لأن قائد المئة أراد المسيح الدخول إلى بيته فأبى احتراماً له، أولتقليد اليهود بعدم دخول البيوت الوثنية، أما هذا فطلب منه أن ينزل ويشفى إبنه.

وكان قائد المئة قد جاء إلى يسوع عند نزوله من الجبل إلى كفر ناحوم، أما هذا الشخص فقد أتى إلى يسوع وهو فى قانا. وذاك كان غلامه (خادمه) مفلوجاً. وهذا كان إبنه مريضاً بالحمُىّ. وكان إيمان خادم الملك هذا ضعيفاً، لأنه توهم أن المسيح لا يستطيع أن يشفى المريض إلا إذا أتى فعلاً إلى مخدع المريض، على نقيض إيمان الآخر.

٤٨- فقال له يسوع «لاتؤمنون إن لم تروا آيات وعجائب».

يدل هذا الكلام على أن إيمان خادم الملك لم يكن خالصاً من الشكوك، وأنه كان يتوقع أن يرى بعينه معجزة، قبل أن يثق به، ولكنه لم يكن خالياً من الإيمان تماماً، لأنه لو كان خالياً منه لما أتى وسأل يسوع أن يشفى إبنه.

٤٩- قال له خادم الملك «ياسيد إنزل قبل أن يموت إبنى».

قال يوحنا فم الذهب: إن خادم الملك - لشدة حزنه على إبنه - لم يُصّغِ كثيراً لكلمات المسيح، بل كان كل همّه هو شفاء ابنه، متوهماً أن وصول المسيح ضرورى لشفاء ابنه. وأن قُوتَّه محدودة فى الشفاء، مادام المريض حياً. وأنه لا يستطيع أن يفعل شيئاً بعد موته!!.

٥٠- قال له يسوع «أذهب. إبنك حى». فآمن الرجل بالكلمة التى قالها له يسوع وذهب.

قال يوحنا فم الذهب: «قد مضى المسيح إلى منزل قائد المئة الذى ذكره متى فى (ص٨) مع أنه طلب إليه أن لا يمضى. ولم ينزل إلى دار خادم الملك مع إلحاحِه عليه أن يذهب. والعلة فى ذلك أن قائد المئة كان إيمانه عظيماً. وخادم الملك كان إيمانه ناقصاً. فلو طاوعه ونزل إلى بيته لزاد فى ضعف إيمانه، وتوّهُمِه أنه لا يستطيع أن يَشفِى إلا بحضوره عند المريض. فزاد إيمان خادم الملك بعدم ذهاب المسيح. وأظهر إيمان قائد المئة بذهابه إليه، فأبرأ المسيح الوالد من ضعف الإيمان، وشفى الولد من مرض الموت بكلمة واحدة!!».

٥١- وفيما هو نازل استقبله عبيده وأخبروه قائلين «إن إبنك حى»

أى بينما هو عائد، بادر العبيد بتبشيره بنفس العبارة التى قالها المسيح وهى «**إبنك حى**» أى تم شفاوه تماماً من الحُمَّى.

٥٢- «فاستخبَّرهم عن الساعة التى فيها أخذ يتَعافَى. فقالوا له «أمس فى الساعة السابعة تركته الحُمىّ».

٥٣- ففهم الأب إنه فى تلك الساعة التى قال له فيها يسوع «إن ابنك حى» فآمن هو وأهل بيته كله.

إن خادم الملك، لكى يُثبِت إيمانَه ويتأكد إن ابنه لم يشفَ صدفة، استفهم من عبيده عن الساعة التى شُفِىَ فيها. فعلم منهم أن شفاءه كان فى الدقيقة التى فيها أنبأه المسيح بشفائه. وذلك فى الساعة السابعة أى الساعة الواحدة بعد الظهر. فلما تحقق من الشفاء، «**آمن هو وأهل بيته كله**» بأن يسوع هو مُخِلّص العالم، والقادر على الشفاء، ولو من بُعد **(remote)**.

٥٤- «هذه أيضاً آية ثانية صنعها يسوع لما جاء من اليهودية إلى الجليل»:

الآية (المعجزة) الأولى التى صنعها المسيح فى الجليل هى تحويل الماء خمراً (ص٢) والآية الثانية هى إبراء ابن خادم الملك. واقتصر يوحنا الإنجيلى على ذكر هاتين الآيتين، لأن غايته التركيز على معجزات المسيح فى اليهودية والعاصمة أورشليم.

❖❖❖

الإصحاح الخامس

١- «وبعد هذا كان عيد لليهود، فصعد يسوع إلى أورشليم»:

لم يوضح البشير أى الأعياد كان ذلك، والأرجح أنه كان عيد الفصح، كما ذكرّنا فى تفسير (ص٢:١٣) وكان سيد الكل مدة حياته على الأرض يقوم بمطاليب شريعة موسى، حتى لا يجد اليهود عليه علة، ولكى يسدى بركاته للجماهير العديدة الذين كانوا يجتمعون بكثرة، عادةً فى مثل هذه الأعياد الدينية الكُبَرى، فيشفى نفوسهم وأجسادهم ويُعلّمهم.

٢- وفى أورشليم عند باب الضأن بِرْكة يُقال لها بالعبرانية «بيت حسَّداً» لها خمسة أروقة.

«**باب الضأن**» سُمى بهذا الأسم لأنهم كانوا يأتون منه بغنم الذبيحة إلى الهيكل (نح٣: ١و١٢: ٣٩) و«**بيت حسدا**» معناه بيت الرحمة أو الرأفة، إذ كان الله يُظهِر هناك رحمته بالمرضى الذين يُلقّون فى البْركة، كما سيجئ. والخمسة أروِّقة، إذ كان الله يُظهر هناك رحمته بالمرضى الذين يُلقّون فى البْركة، كما سيجئ. والخمسة أورقة كانت لها سقوفاً وكانت مُعدّة ليُقيم فيها المرضى لتقيهم من البرد والحر إلى أن يأتى الملاك ويُحَّرِك الماء.

٣- «فى هذه (الأروقة) كان مضطجعاً جمهور كثير من مرضى وعُمّى وعُرج وعُسْم يتوقعون تحريك الماء».

٤- «لأن ملاكاً كان ينزل- أحياناً- فى البْركة ويُحّرِك الماء. فمْن نزل أولاً بعد تحريك الماء كان يبّرأ من أى مرض اعتراه»:

«العُسْم» هم المصابون بتيبُّس مفاصل اليدين أو الرجلين (داء النقرُس). وقوله إن المَرضى «**كانوا يتوقعون تحريك الماء**» يفيد أن ماء تلك البركة لم يكن نافعاً للشفاء ما لم يتحّرك. أما الملاك الذى كان أحياناً ينزل ويحرّك الماء،[1] فقيل إنه الملاك ميخائيل، وقيل أنه رافائيل الذى فتّح عينّى طوبيا.

---

[1] قيل إن إرتفاع الماء يكون لسبب طبيعى، أى بزيادة المياة الباطنية بالأمطار التى تأتى فى حينها.

وتحريك الماء بواسطة الملاك يدل على أن قوة الشفاء ليست فى طبيعة هذا الماء، بل هبة من الله. ولا ريب فى ذلك، فإن الله يستخدم الملائكة لإيصال بركاته الى الناس (راجع عد٢٠:١٦ و٢مل٦:١٧ ومز٣٤:٧و٩١:١١و١٢ودا٣:٢٨ ولو١:٢٢ وعب١:١٢). وقوله «فمن نزل أولاً بعد تحرّيك الماء، كان يبرأ من أى مَرضٍ اعتَراه» يفيد أن الذين كانوا يستفيدون من هذا الماء قليلين بالنسبة للجماعة الكثيرة التى كانت تتوقع الشفاء وتقيم طويلاً قُرب البِرْكة.

٥- «وكان هناك إنسان به مرض منذ ثمانٍ وثلاثين سنة».

قال يوحنا فم الذهب إن هذا المريض كان مشلولاً (مُقعَداً) ويظهر أن شلله كان يصعُب الشفاء منه بقوة الطبيعة. وأن الأطباء لم يستطيعوا أن يبُرئوه فى تلك المدة الطويلة. فاختار المسيح أعضل الأمراض، لإظهار قوته على الشفاء، ولصبره بدون تذمره على آلام المرض سنوات طويلة جداً.

٦- هذا رآه يسوع مُضطجعاً. وعلم أن له زماناً كثيراً فقال له «أتريد أن تبرأ؟»

كما عرف المسيح خفايا نثنائيل، وخفايا المرأة السامرية، عرف أن هذا المخلع (المشلول أو المفلوج) له زمان كثير. أما سؤاله للمريض قائلاً «**أتريد أن تبرأ**» فالقصد منه إظهار حزنه على مصابه، وتشجيع الرجاء فيه.

وقال يوحنا فم الذهب أن المسيح لم يطلب من المخلّع الإيمان، كما طلب من المرضى الآخرين الذين أبرأهم، لأن هؤلاء كانوا قد سمعوا بعجائبه ورأوها، فلزمهم الإيمان بقدرته على صُنع العجائب. أما المخلّع فلم يمكن يعرف الرب يسوع، ولا سمع شيئاً عنه، فلم يكن يمكنه أن يؤمن به.

٧- أجابه المريض «ياسيد ليس لى إنسان يُلّقينى فى البِرْكة متى تحرك الماء. بل بينما أنا آتٍ ينزل قُدامَّى آخر».

يظهر من كلام المخلع أنه لم يكن يتوقع الشفاء، إلا بأن يُلقَّى فى البِرْكة. ولعله رجا أن هذا الغريب - الذى سأله - يُشِفق عليه ويساعده على النزول فى البِرْكة عند تحريك الماء. فكأنه يقول للمسيح «ليس لى صاحب يساعدنى، فساعدنى أنت». ولاشك فالمسيح صديق منْ لا صديق له وحبيب من لا حبيب له، ومُعين لكل من ليس له معين، ورجاء لكل من ليس له رجاء.

٨- قال له يسوع: «قُم، أحمل سريرك، وأمشِ»!!.

نال المريض الشفاء بمجرد ما نطق المسيح قوله «قم» ثم أمره المسيح أن يحمل سرير ويمشى، كدليل عملى لشفائه. ولنواله القوة التى تساعده على حَمْل فراشِه. ولا شك أن إبَراء هذ المخلع (المفلوج) الذى لبث ثمانٍ وثلاثين سنة- وهو مُقَعد- بكلمة واحدة من يسوع هو برهان بأن يسوع هو المسيح المنتظر، والذى لا يمكن لمن أراد الحق إنكاره فعلاً.

٩- «فحالاً برئ الإنسان وحمل سريره ومشى. وكان فى ذلك اليوم سبت».

أظهر المسيح - بإبرائه هذا المريض- بكلمة واحدة - قُدرته الفائقة. وقد أبرأه فى السبت عملاً يُبيّن به لليهود أن أفعال الرحمة جائزة يوم السبت. وليثبت أن ابن الإنسان «**هو رب السبت أيضاً**».

١٠- فقال اليهود للذى شُفَى «إنه سبت ولا يحّل لك أن تحمل سريرك».

اغتاظ اليهود من أمرين: **الأول** شفاء يسوع المُقعد يوم السبت. **والثانى** حمل المُقَعد سرير فى ذلك اليوم. فوبخوا أولاً المفلوج وطلبوا ثانياً أن يقتلوا يسوع، كما سترى بعد قليل.

١١- أجابهم «إن الذى أبرأنى هو قال لى أحمل سريرك وأمشِ.
١٢- فسألوه «مْن هو الإنسان الذى قال لك أحمل سريرك وأمشِ؟!»

كأن المخلع يقول «إننى مُجبّر على طاعة منْ أبرَأنى من مرضي، الذى لازَمنَى ثمانٍ وثلاثين سنة» لأن من يفعل أعجوبة كهذه لا يأمر إلا بالصالح. أما اليهود فلم يسألوه عن الذى شفاه ليشكروه على إحسانه بل سألوه عمنْ قال له أحمل سريرك، لكى ينتقموا منه. فغضوا النظر عن فعل الخير، والتفتوا إلى حرفية الناموس، الذى أضافوا إليه طقوساً شكلية، أخرجت السبت عن معناه الروحى (العبادة + الخدمة + عمل الخير+ الراحة).

١٣- «أما الذى شُفى فلم يكن يعلم منْ هو؟ لأن يسوع اعتزل. إذ كان فى الموضع جمع».

أى أن المخلع لم يكن يعلم إسم يسوع، ولا منْ هو، ولا إلى أين مضى، لأنه لم يره إلا عند فعل المعجزة فقط. وأستتر يسوع فراراً من مدح المنصفين وعدم عثرة الباغين. وقال يوحنا فم الذهب إنه أعتزل حتى لا تُعدّ شهادة المخلّع فى وجوده من باب التملُّق له.

١٤- بعد ذلك وجدَه يسوع فى الهيكل وقال له «ها أنت قد برئت. فلا تُخطِئ أيضاً لئلا يكون لك أشرَّ».

يظهر من قوله «بعد ذلك وجده يسوع فى الهيكل» أن المخلع بعد ما أوصل سريره، ذهب حالاً إلى الهيكل، **ليشكر الله على شفائه**. ونستفيد من قول المسيح «**ها أنت قد برئت فلا تخطئ أيضاً لئلا يكون لك أشر**» إن سبب مرضه كان الخطية. وأن الله قد يسمح غالباً بالمصائب والأمراض، تأديباً عن الخطايا وتوبة عنها، قبل موته وهلاكه.

ولا يلزم من هذا، أن يكون كل مرض نتيجة الخطية. فقد ابتُلِىَ أيوب بأشد الأمراض، وكان باراً. وإن رجوع الإنسان إلى الخطية بعد الشفاء يكون سبباً فى إصابته بأشرَّ ألم. وليس أشرّ هنا من المرض الشديد الذى دام ثمانٍ وثلاثون سنة، إلا الهلاك. أى العذاب الأبدى.[١]

١٥- «فمضى الإنسان وأخبر اليهود أن يسوع هو الذى أبرأه».

عرف المخّلع إسم يسوع من الذين كانوا بالقُرب منه عند الحديث. وقال فم الذهب إن المخلع لم يقصد بإخباره اليهود أذية المسيح، بل قصد إكرامه والإقرار له بالجميل، ولئلا يجهلوا الطبيب العظيم، إذا رغب أحدهم فى الشفاء. وقيل إنه انبأ بهذا الأمر مخافة أن يقتلوه، لحمله السرير، إن لم يبرِّهن لهم إنه فعل ذلك بأمر منْ يُعرفُّونه.

١٦- «ولهذا كان اليهود يطردون يسوع، ويطلبون أن يقتلوه لأنه عمل هذا (شفاء المفلوج) فى سبت»:

امتلأ رجال الدين اليهود حسداً وحقداً. فرغبوا فى الإضرار بيسوع، لأنه لم يعتبر (ينفذ) سلطانهم (تعليماتهم) وطلبوا أن يقتلوه، بدعوى إنه نقض شريعة السبت.

والحق يُقال إن العلة الحقيقية، هو مجرد الغيَرة، لأنهم سلمُّوا بجواز فعل الخير يوم السبت حتى للبهيمة (لو١٤:٥) فالأَولَى أنه يجوز فعل ذلك إلى الإنسان.

١٧- فأجابهم يسوع «أبى يعمل حتى الآن وأنا أعمل».

كأنه يقول «تجادلوننى، أيها الكتبة والفريسيون، بشريعة السبت، وتقولون إن الله استراح فيه

---

[١] راجع كتابنا «**لماذا يتألم أبناء الله**» (طبعة مكتبة المحبة).

من كل أعماله، فأنا أُجيبَكم بأن الله استراح يوم السبت، بمعنى إنه كفّ عن أن يبُدِع أنواعاً جديدة من الخلق، لا أنه كفّ عن كل عمل، فى أيام السبوت. فهو يعمل دائماً. مُدبراً وحافظاً العالم، وكل ما فيه، ومُحركاً الأفلاك وممطراً المطر ومجرياً الأنهار وماشاكل ذلك من أعمال الإحسان. وكذلك أنا من حيث إنى إبنه ومساوٍ له، فأعمل. وقد عملتُ دائماً معه. وإننى لم أشفِ المخلع فى يوم السبت، إلا اقتداءً بأبى، الذى يعمل دائماً فى السبت».

«فلو لم يعمل الله على الدوام أعمال العناية التى بها يقوم، بحاجات الخلق كله، لعمّ الهلاك الخليقة كلها. فإبرائى المخلع فى السبت، هو كحفظ الله إياكم أحياءً وإعطائكم ما تحتاجون إليه فى ذلك اليوم. فإن أصبتم بتخطئتكم إياي، بأنى تعديت شريعة الله بذلك الابرَاء، قد نسبتم الخطأ أيضاً للآب، لإنى لم أفعل إلا مثل فعله من أجل البشر».

١٨- «فمن أجل هذا كان اليهود يطلبون أكثر أن يقتلوه لأنه لم ينقض السبت فقط بل قال أيضاً إن الله أبوه، معادلاً نفسه بالله».

وجد اليهود علّة ثانية أكبر من الأولى، للشكاية على يسوع، وهى كونه جعل نفسه مُعادلاً لله. أى مساوياً له فى القدرة والعظمة. أما هم فكانوا يظنون أنه مجرد إنسان عادى. وبناءً على ظنهم هذا، اعتبروا يسوع مُجدِفاً. فكانوا يطلبون أكثر أن يقتلوه.

١٩- فأجاب يسوع وقال لهم «الحق الحق، أقول لكم لا يقدر الابن أن يعمل من نفسه شيئاً إلا ما ينظر الآب يعمل. لأن مهما عمل ذاك فهذا يعمله الإبن كذلك».

إن المسيح بهذا القول، زاد فى غيظ اليهود، وقوّى غضب قلوبهم من مساواته نفسه بالله. وقوله «**لا يقدر**» ليس المقصود منه أنه لا يستطيع، أو أنه دون الآب فى القدرة والحكمة، بل المقصود منه استحالة الأنفصال مابين الأقنومين فى الرأى أو العمل. واستحالة استقلال الابن عن الآب، أى المقصود أنه هو فى الآب والآب فيه، وكذلك المحبة الكاملة بينهما، وبين الناس أيضاً.

وقوله «**إلا ما ينظر الآب يعمل**» ليس معناه إنه يرى الآب يعمل العمل أولاً، فيقتدى به، بل المعنى أنه يرى الآب عاملاً معه. فعمل الآب والابن واحد. وكلاهما يرى الآخر عاملاً معه. فكأنه يقول «إن كل ما أفعله هو نفس ما يفعله الآب».

وقوله «**لأنه مهما عمل ذاك، فهذا يعمله الابن كذلك**» معناه أن كل أعمال الله المتنوعة لا يكون أى عمل منها لا يعمل الإبن مثله، بلا أدنى نقص أو تغيير فى سلطانه وقدرته وكماله. وهذا يوضح مساواة الإبن للآب فى القدرة والحكمة والمعرفة الفائقة.

٢٠- «لأن الآب يحب الإبن ويُريه جميع ما هو يعمله. وسيُريه أعمالاً أعظم من هذا، لتتعجبوا أنتم».

يلزم عن محبة الآب للإبن أنه لا يخفى عنه شيئاً. بل إن الابن يعرف كل أسرار الآب ومقاصده. وهذا مثل قوله «الذى فى حضن الآب هو خبّر» (ص١:١٨) وقوله «ويُريه جميع ما يعمله» يلزم منه أن يكون علم الابن غير محدود لكى يمكنه أن يدرك كل أفكار الله ومقاصده. وقيل إنه يُريه هنا، بمعنى يُشرّكه **لأنه هو والآب واحد**. «وسيُريه أعمالاً أعظم من هذه، لتتعجبوا أنتم».

أى سيُشّركه بأعظم مما رأيتم من الأسرار والعجائب، مثل إقامة الموتى، والسلطان على دينونة الناس. وقال «**لتتعجبوا**»، ولم يقل «لتؤمنوا» **لأن** اليهود رأوا كثيراً من العجائب فلم يؤمنوا. بل تعجبوا من قوة المسيح. وأعماهم الحسد، وصدهم بُغضهم للمسيح عن الإيمان به.

٢١- «لأنه كما أن الآب يُقيم الأموات ويُحيِّي، كذلك الإبن أيضاً يُحيِّي منْ يشاء».

هذه هى إحدى الأعمال العُظَمى التى ذُكِرت فى الآية السابقة، وهى إحياء الموتى. فصرَّح المسيح هنا بأن سلطانه كسلطان الآب. وأثبَت صحة قوله بإقامة ابنة يايرس (لو٨:٥٥) وابن أرملة نايين (لو٧: ١٤و١٥) وأليعازر (ص١١: ٤٣و٤٤) فهو «يُحيى منْ يشاء».

فالإحياء من الموت متوقف على مجرد مشيئته. وأشار بهذا إلى أنه مساوٍ لأبيه بالسُلْطة، والحرية على إقامة منْ شاء من الموتى. وليس منْ يشاءهم الآب، غير ما يشاءهم الابن. هكذا فسر القديس أغسطينوس.

٢٢- «لأن الآب لا يُدين أحداً بل قد أعطى كل الدينونة للإبن»

هذا هو العمل الثانى من الأعمال، التى أعطاها الله الآب للإبن. وقال يوحنا فم الذهب، إن الله أعطى الدينونة للإبن، من حيث أنه إله وموجود منذ الأزل.

وقال أغسطينوس «إن الله الآب أعطاه هذا السلطان من حيث الناسوت، وبالتالى منذ مولده الزمنى». وقال غيرهما «بما أن القدرة على الدينونة تستلزم القوة على فحص قلوب الجميع، ومعرفة الأسباب الموجبة لأعمالهم. ولا يقدر على ذلك إلا الله. فالمسيح هو الله الظاهر فى الجسد».

٢٣- «لكى يُكرم الجميع الابن، كما يُكرمون الآب. مـنْ لا يُكرِم الابـن لا يُكرِم الآب الذى أرسله».

أى أن الله أراد أن يكون إكرَام إبنه مساوياً لإكرامِه، أى أن يُكرِّم الناس إبنه ويعبدوه ويسجدوا له، ويطيعوه كما يفعلون ذلك نفسه خفياً وظاهراً.

وينتج من ذلك، أن الابن مساوٍ للآب، وأنه يجب أن نقدم له ما نقدمه للآب من المحبة والإكرام والطاعة. وكذلك يفعل له سكان السماء (رؤ٥:١٢و ٧:١٠) نفس الشئ «**ومنْ لا يكرم الابن لا يكرم الآب الذى أرسله**» أى منْ يرفضون إكرام الابن لجهلهم أو لكبريائهم أو عنادهم - مثل اليهود- يأبون إكرام الآب. لأن الآب والابن ليسا إلهين، حتى يستلزم إكرام الواحد وسلب إكرام الآخر، بل هما اقنومان، وإله واحد، متحدان، حتى أن إنكار الواحد يستلزم إنكار الآخر.

٢٤- «الحق الحق أقول لكم إن منْ يسمع كلامي، ويؤمن بالذى أرسلنى، فله حياة أبدية ولا يأتى إلى دينونة بل قد أنتقل من الموت إلى الحياة».

كأنه يقول: «إن منْ يسمع كلامى - أى تعليمى - لا بأُذنيه فقط، بل يقبله فى قلبه بالوقار والمحبة والإيمان والطاعة. ويعترف بالذى أرسلني. أى أن الآب أرسل المسيح إلى العالم ليخُلّص الخُطاة، لأن الإيمان بالآب يستلزم الإيمان بالابن. وكذلك الإيمان بالإبن يستلزم الإيمان بالآب، لأن أحد هذين الإيمانين مرتبط بالآخر، أى لا يمكن أحدهما بدون الآخر.

إن من سمع تعليمى وآمن بى وبأبى «**له حياة أبدية**» فلا يستولى عليه الموت الثانى «**الهلاك**» بل ينال الطهارة التامة والسعادة الكاملة فى السماء، إلى الأبد «**ولا يأتى إلى دينونة**» أى لا يُصيبه العذاب الأبدى، كما يصيب غير المؤمن، لأن المسيح محا عنه كل آثامه التى كانت علة الدينونة (رو٨:٢) « **بل قد أنتقل من الموت إلى الحياة**» اى ينتقل من الموت الروحى - بالخطية - إلى الحياة الروحية، بالنعمة المجانية.

٢٥- «الحق الحق أقول لكم : إنه تأتى ساعة – وهى الآن- حين يسمع الأموات صوت ابن الله والسامعون يحيُّون».

قيل إنه يُراد بالأموات هنا: الأموات بالخطية، أى الذين كانوا عائشين بالجهل والمعصية، وعدم الشعور بسوءِ أحوالهم الروحية. فهؤلاء ينتبهون من موتهم عند سماعهم كلام المسيح، والإيمان به والطاعة له. فيحيون حياة روحية عميقة، وهى حياة الإيمان والبّر والقداسة وبذلك يستعدون للدخول فى حياة القديسين بالسماء.

وقال يوحنا فم الذهب «إن المراد بالأموات هنا ابنة يايرس وابن الأرملة وألعازر، والذين أقامهم عند قيامته والذين أقامهم ولم يُذكَرُوا فى الأناجيل، والذين سيُقيمهم (وهى القيامة الأولى، أى التوبة والقيام من الخطية، كما قال ميخا النبى «لا تشمتى بى ياعدوتى، إن سقطت أقوم» (ميخا٧:٨) ...).

٢٦- «لأنه كما أن الآب له حياة فى ذاته، كذلك أعطى الابن أيضاً أن تكون له حياة فى ذاته».

أى كما أن الآب **حياته ذاتية أبدية**. وكما أنه مصدر حياة الملائكة والإنسان والحيوان والنبات. وكما أن الحياة تحت سلطانه، لأنه رب الأحياء والأموات. فيحفظ حياتهم أو يسلبها أو يُطيلها أو يُقصرّها. كذلك الإبن «**له حياة فى ذاته**» بالمعانى المذكورة.

ومن ثم تظهر وحدة الذات فى الآب والإبن، لأنه لو كان للإبن ذات غير ذات الآب، لكانت له الحياة فى آخر، أى فى الآب الذى أعطاه تلك الحياة. والواقع إن له الحياة فى ذاته أى فى الذات الإلهية، التى هى واحدة فى الآب والإبن. ولذا قال يوحنا فم الذهب «لا يُفَرِقّ أحدهما عن الآخر، إلاَّ بأن أحدهما هو الآب والآخر هو الإبن».

٢٧- «وأعطاه سُلطاناً أن يُدين أيضاً لأنه ابن الإنسان»

أى من حيث أن المسيح هو إله «له الحياة فى ذاته» كما توَّضح فى العدد السابق، فيكون من حقه أيضاً أن يُدين الناس، لأن الدينونة تتمة عمل الفداء الذى تجسد الكلمة من أجله. فالله الذى تنازل وتجسَّد، ومات عن الإنسان وخلّصه، هو الذى يدين الإنسان، الذى استفاد بالخلاص أم أهمله، وهلك بسبب حماقته وشره وعدم توبته.

٢٨- «لا تتعجبوا من هذا، فإنه تأتى ساعة فيها يسمع جميع الذين فى القبور صوته.
٢٩- فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة، والذين عملوا السيآت إلى قيامة الدينونة».

«**لا تتعجبوا من هذا**» أى حيث أن لى الحياة فى ذاتي، وإننى أمنحها لمن أشاءُ. وإننى «**الديان**» فسوف أريكم أعظم من هذا التعجب. وذلك إنه سوف «**تأتى ساعة**» وهى اليوم الأخير أى ساعة القيامة العامة، حيث أن «**فيها يسمع جميع الذين فى القبور**» أى كل الموتى الذين أجسادهم فى القبور كباراً وصغاراً، أغنياءً وفقراء، صالحين وأشراراً، مؤمنين وكفرَة، فى كل أمة وكل عصر، كل هؤلاء يسمعون «**صوته**» بواسطة رئيس الملائكة (سوريال) كما قيل «إن الرب نفسه بهتاف، بصوت رئيس الملائكة وبوق الله، سوف ينزل من السماء» (١تس٤:١٦).

وعند سماع صوته «**يخرج الذين فعلوا الصالحات**» أى يخرج من القبور الذين أظهرت أعمالهم أن إيمانهم حي، لأن الإيمان بغير أعمال ميت، ولأن الإيمان بلا أعمال لا يُخلِّص أحداً (مت٢٥: ٣١-٣٦) فهؤلاء الذين فعلوا الصالحات يخرجون «**إلى قيامة الحياة**» أى الحياة السعيدة الأبدية. وسُميّت قيامة الحياة لأنها مدخل الحياة الأبدية، ولأن الذين يقومون لأجلها لا يلحقهم الموت بعد (رؤ٢١).

ويخرج «**الذين صنعوا السيآت إلى قيامة الدينونة**» أى الذين أفعالهم شريرة، سواء كانوا مؤمنين أو غير مؤمنين، يقومون من الموت للعذاب الأبدى. فالعلة إذاً فى عذابهم هى أعمالهم الشريرة. فلا يمكنهم أن يلوموا إلا أنفسهم.وسُميت قيامة الاشرار «**بقيامة الدينونة**» لأنه سوف يلحقهم بعدها الدينونة والعذاب الأبدى، فى نار جهنم.

٣٠- «أنا لا أقدر أن أفعل منْ نفسى شيئاً. كما أسمع أدين ودينونتى عادلة، لأنى لا أطلب مشيئتى بل مشيئة الآب الذى أرسلني»

«**أنا لا اقدر أن افعل من نفسى شيئاً**» هذه العبارة تكرار لما ورد (فى ع ١٩ من هذا الاصحاح) وهى تشير الى تمام الاتفاق بينه وبين الآب فى القصد والعمل. فكأنه قال إننى لا أحكم بشيء، ولا أُريد شيئاً إلا ما يحكم به الآب ويريده. فلى وللآب حُكم واحد، وإرادة واحدة.

«**وكما أسمع أُدين**» أى أننِى أعرف تمام المعرفة إرادة الآب. فلذلك يكون حكمى على الناس، وعلى التعاليم الآن، وفى اليوم الاخير- موافق كل الموافقة -لإرادة الآب: «**لأنى لا أطلب مشيئتى بل مشيئة الآب الذى أرسلني**». أى بما أننى أتيتُ لأعمل مشيئة الآب، التى هى مشيئتي، لأنى والآب واحد، فحكمى إذن عادل ورحيم، بخلاف حُكمكم، أيها اليهود، لأنكم طلبتم مشيئة أنفسكم، فلم تؤمنوا بي.

٣١- «إن كنت أشهد لنفسى فشهادتى ليست حقاً».

اى إن كنتُ انفردّتُ فى الشهادة لنفسي- بلا سند- فلا تكون شهادتى حقاً: أى لا تكون شرعية وغير واجب قبولها. ولو كانت صحيحة وصادقة فى ذاتها. فقد يمكن أن تكون شهادة الانسان صادقة لنفسه بذاته ولا يصدقها الناس لشُبَّهة حُبِه لنفسه. وقوله هذا هو رد على اعتراض علمه فِى أفكار اليهود. وهو «إنك تشهد لنفسك إنك ابن الله ودّيان العالم» فلا نصدقك ان لم تبرَّهِن عليها بشهادة شرعية. وقوانين الشريعة لا تُثبِت الدعوى بأقل من شاهدين (عد ٣٥:٣ وتث١٧:٦).

فأجاب المخلص على هذا الاعتراض بما معناه، إننى أُسِلّم بأن شهادتى لنفسى ليست شرِعية، لكنى لستُ وحدي، أشهد لنفسي، بل يشهد لى الله وهو أصدق الصادقين.

وخلاصة القول أنه «لو أمكن أن أنفرِد بشهادتي، لأمكن أن تكون كاذبة، ولكن ذلك مُحال. فالنتيجة أن هذا الفِكْر مُحال أيضاً.

٣٢- «الذى يشهد لى هو آخر، وأنا أعلم أن شهادته التى يشهدّها لى هى حق».

أى الآب (ع٣٦) الذى أعلن بصوته من السماء «هذا هو إبنى الحبيب الذى به سُرّرت» نعم إنه ذكَر ايضاً شهادة يوحنا المعمدان، كما ترى فى العدد الآتي، لكنه لم يُشر إليها إلا بياناً، بأنه لا يستند عليها إثباتاً لدعواه، بل على شهادة الآب.

وقوله «**وأنا أعلم أن شهادته التى يشهدها لى هى حق**»: أى أننى أعلم الآن- كما علمت منذ الأزل- إن شهادة الآب لى حق». وهذا القول يُبيّن إتحاد الآب مع الابن، ويُذّكِر اليهود باستحالة شهادة الله للكذب.

تُرىَ ماذا يشهد الفادى عن أعمالنا وأقوالنا؟!.

٣٣- «أنتم أرسلتم الى يوحنا فشَهد للحق».

كأن المسيح يقول «لا تستطيعون أن تُنكروا أن يوحنا المعمدان نبى مخلص، ولا أحد يرفض قبول شهادته. وهو قد شهد لي. فلى حق ان اتخذ شهادته إثباتاً لدعوًاى لو أردتَ أن أستند على شهادة بشر». وشهادة يوحنا المعمدان ذُكِرَت فى (ص١:٢٦و٢٩و٣٦).

٣٤- «وأنا لا أقبل شهادة من إنسان. ولكنى أقول هذا لتخلُصوا أنتم».

أى أننى لا أحتاج لشهادة يوحنا. وإنما أشَرتُ إليها لمنفعتكم. لا لإثبات دعواي، لأنى فى غِنى عن ذلك. فإن قبلتُّم شهادته، آمنتم بأنى المسيح المنتظر، وخلُصتم بي. ولكنكم- برفضَكم تلك الشهادة- رفضتم الإيمان بي. ولذلك ستهلكون بخطاياكم» (عصيان طاعة المسيح).

٣٥- «كان هو السراج الموقد المُنير وأنتم أردتم ان تبتهجوا بنوره ساعة».

يُشَّبه يوحنا المعمدان بالسرَاج، لأنه من صفات السرَاج المعلومة أن لا يكون منيراً بذاته، لأن الناس يضعون فيه الزيت، ويوقدونه ليُنير للكل، ولأن نوره وقتى يُطفأ متى تمت الغاية التى أوقد من أجلها. كذلك يوحنا عينّه الله مُرشداً- وقتاً مُعيَّناً- للناس. يُخبرّهم بأوامره تعالى، ويقودهم الى النور الحقيقى (ص١:٨و٢٣).

فكأنه يقول «إنكم أيها اليهود قد ابتهجتم بتعليم يوحَنا المعمدان حين بشركم بقُرب مجيء المسيح، ولكنكم حين عرفتم من شهادته أنه يعنى بكلامه يسوع الناصري، الذى هو أنا. وألح عليكم أن تتركوا خطاياكم وتقبلونى مسيحاً تركتموه، ولم يكن تأثير كلامه فيكم إلا وقتاً يسيراً. إذ لما علمتم أنه سُجِن وقُتِل لم تُبالوا بتعاليمه ولا بشهادته».

٣٦- «وأما أنا فلى شهادة أعظم من يوحنا، لأن الاعمال التى أعطانى الآب لأكّملها، هذه الاعمال بعينها التى أنا أعملها، هى تشهد لى أن الآب قد أرسلني».

كأنه يقول «إن المعجزات التى صنّعها، كشفاءِ المرضى، وفتْح أعين العُميّان، وإقامة الموتى **تشهد لى بأنى ابن الله**». وهى أعظم من شهادة يوحنا لأنها أعمال إلهية لا يستطيع ان يصنعها إنسان. وهى تبيّن إتحادى بالآب.

٣٧- «والآب نفسه، الذى أرسلني، يشهد لي. لم تسمعوا صوته قط،ولا أبصرتم هيئته».

كأنه يقول قد شهد الآب لي، ليس بصوته المسموع يوم العماد فقط، بل بلسان جميع الأنبياء. وبروحه المخاطب لقلوبكم، ولكنكم- أيها اليهود- لم تريدوا قط قبول شهادة الله منذ أول مخاطبته لكم.

«**فلم تسمعوا صوته قط ولا أبصرَّتم هيئته**». معناه «فلم تطيعوا أوامره، لأنكم سمعتم صوته بآذانكم دون قلوبكم (تث١٢:٤) وأبيتّم أن تسمعوا (إر١٣:٧) «ولا أبصرتم هيئته» أى فلم تلتفتوا بقلوبكم الى كلامه.

فإن الله لم يرَّه أحد قط، لكنه قد استعمل عدة طرق، أظهر بها وجوده، كما أظهرّها بالسحابة فى البرية (عد١٥:٩) وبالحمامة عند معمودية يسوع، وبكل الوسائل التى شهد بها الآب لإبنه، وهو على الأرض، حيث كان يُعلِّم ويصنع المعجزات، فلم يكن لكم- أيها اليهود- عيون تنظر علامات كْون الله بينكم، ولا آذان تسمع كلامه لتُطيعه وتنال بركة طاعته».

٣٨- «وليست لكم كلمته ثابتة فيكم، لأن الذى أرسله هو، لستم أنتم تؤمنون به».

معناه: أن كل الوسائط التى أظهرّها الله لليهود، وخاصة كلامه المكتوب (شهادات أنبياء العهد القديم) لم يؤثر فيهم . فكان فى صفحات ذاكرتهم، ولكنه لم يكن فى صفحات قلوبهم. لأنهم لو قبلوا شهادة الأنبياء- وثبتت فيهم- لأعدَّت قلوبهم لقبول المسيح عند مجيئه- بالايمان- ولأنه شهد له الأنبياء. فبرفضهم المسيح رفضوا كلمة الله (العهد القديم) الشاهدة له.

٣٩- «فتشوا الكُتب لانكم تظنون أن لكم فيها حياةً أبدية. وهى التى تشهد لى».

كأنه يقول افحصوا وادرسوا أيها اليهود، الكتب المقدسة. واجتهدوا أن تفهموا معناها الروحي(نبواتها عن المسيح) «**لأنكم تظنون ان لكم فيها حياة أبدية**».

وظنكم فى محله، لأن كُتب الوحى المقدس تُرشِد الناس الى الحياة الأبدية، لا بمجرد تلاوتها أو حفظ الطقوس المشروحة بها، بل لأنها «**تشهد لى**» **بثلاث طرق:**

(اولاً) بالنبوات والمواعيد الصريحة.

(ثانياً) بالرموز كالذبائح وغيرها.

(ثالثاً) بأشخاص العهد القديم الذين كانوا رموزاً اليّ، كاسحق ويوسف وموسى وداو وغيرهم.

٤٠- «ولا تريدون أن تأتوا اليَّ لتكون لكم حياة»

معناه: «ولكنكم مع طلبكم الحياة (الأبدية) قد رفضتم الرضوخ لي. والإيمان بى وبتعليمي فكيف تنالون تلك الحياة التي وُعِدتم بها فى الكتب المقدسة، مع إنى انا الطريق الوحيد الى تلك الحياة، لأنى «**الطريق والحق والحياة**» (ص١٤: ٦) وكذلك جئتُ لأمنح الحياة لكل الخُطَاة.

ويتضح مما قيل فى هذه الآية أن المانع للناس من نوال الحياة الأبدية هو عدم إرادتهم، لقبول خلاص أنفسهم. (والانسان مُخيَّر فى جميع أفعاله وأقواله، ولذلك سيُدان عليها).

٤١- «مجداً من الناس لستُ أقبل».

قال يوحنا فم الذهب: «إن المسيح قد برَّهن بشواهد كثيرة إنه هو ابن الله، فلئلا يظن اليهود إنه يطلب المجد الباطل، أزال مظنتهم بقوله «**مجداً من الناس لستُ أقبل**» أى أننى لو كنتُ أطلب مجداً من الناس لادّعيتُ إننى ملك زمني، كما اشتهى ونادى سائر اليهود. فكانوا يمجدونني ولكننى لا أطلب مجداً من الناس، بل من الله (في٢: ٩) (والمجد الباطل يُضيّع كل الفضائل، وكل أجر عن عمل صالح، يريد فاعله أن يجد المدح والثناء عليه من الناس، لا من الله، فى سماه).

٤٢- «ولكنى قد عرّفتكم أن ليست لكم محبة الله فى أنفسكم».

كأنه يقول: «إننى علاّم الخفايا وما تكنّه القلوب، وأرى أن ليس فيكم حب الله، **بل** قلوبكم مملوءة طمعاً وبُخلاً وحسداً».

«ولذا لا تصدَّقون ما أقول،ولا تؤمنون. ولو. أحببُتم الله لآمنتم بمن أرسله. فأنتم تضطهدونني لا غيرةً لله، ولا حُباً له، بل بغضاً وحسداً بي، لأنى برّهنتُ بشواهد ساطعة على أن الله **أرسلني**، فلم تؤمنوا». هكذا فسر يوحنا فم الذهب هذه الآية.

ويقول الآباء إن المحبة «**لله ولوصاياه**»، هى أساس العبادة السليمة (بحُب وليس بالغصَب).

٤٣- «أنا قد أتيتُ بإسم أبى ولستُم تقبلونني. إن أتى آخر باسم نفسه، فذلك تقبلونه»!!

أى «أننى قد برهّنتُ لكم إننى جئتْ بأمر الله الآب، لأفعل مشيئته. وطلبتُ دائما مجده. والمعجزات التى أصنعها لكم حجة قاطعة على أنى أتيتُ باسمه وسُلطانه. فعدم قبولكم إياى برهان قاطع على عدم محبتكم لله».

ولكن «**إن أتى آخر باسم نفسه فذلك تقبلونه**» أى أنكم كما قبلتم الأنبياء الكذبة، فى الزمن الماضي، وستقبلون المُسَحاء الكذبة، الذين غايتهم مجد أنفسهم». وقال يوحنا فم الذهب إنه أشار بقوله (آخر) الى الدَّجال الذى سوف يؤمن به اليهود، وأشار إليه الرسول بولس (فى ٢تس٢:١٠).

٤٤- «كيف تقدرون أن تؤمنوا وأنتم تقبلون مجداً بعضكم من بعض؟ والمجد الذى من الاله الواحد لستم تطلبونه؟»

كأنه يقول: أنتم أيها اليهود ترغَّبُون فى المجد الدنيوي. وتُفضلُّونه على المجد الذى من الله. فلو كنتُ جئتُ باحتفالٍ ومجدٍ عالمي، وادعيّتُ اننى ملك أرضي، لكنتم اتبعتموني، بغية أن تشاركونى فى مجدى الأرضي، ولكننى أتيتُ وديعاً وملكاً روحياً. فلذا صَعُبَ عليكم أن تتبعونى.

«**والمجد الذى من الاله الواحد لستم تطلبونه**». أى أنكم بطلبكم مجد (مديح) أنفسكم سلبتُم مجد الله، لأن الانسان لا يمكنه نوال المجد من الله، ما لم يُنكِر ذاته (ص١٢:٤٣). (فالإتضاع هو من أهم الفضائل، وأساس قبولها).

٤٥- «لا تظنوا إنى اشكوكم الى الآب. يوجد الذى يشكوكم، وهو موسى الذى عليه رجاؤكم».

أى أننى لا أدينكم، لأننى لم آتِ لأُدين العالم بل لأخلّص العالم، بل الذى يشكوكم هو موسى، أى كُتُبه. فإنكم تقرأونها كل يوم، ولكنكم ترفضون شهادتها من أجلي. أنتم تتكلون على موسى أى تتكلون لتبريركم- فى اليوم الأخير- على حفظكم أوامر موسى، ولكن الأمر على خلاف ما تتوقعون، لأن موسى يشكوكم الى الآب، بدلاً من أن يشهد لكم.

فهل ننفذ ما نقرأ ـ في كتاب الله ـ كل يوم؟! ليتنا نفعل.

٤٦- «لأنكم لو كنتم تُصدّقون موسى، لكنتم تصدقونني، لأنه هو كتب عنى»

كأنه يقول قد كتب موسى عنى إنى «نسل المرأة الذى يسحق رأس الحية» (تك٣:١٥) وإنى نسل إبراهيم الذى «به تتبارك جميع قبائل الأرض» (تك١٢:٣) وإنى «شيلون الذى له يكون خضوع شعوب»(تك٤٩:١٠) وإنى الكوكب الذى يبرز من يعقوب والقضيب الذى يقوم من إسرائيل (عد٢٤:١٧) وإنى النبى «الذى يقيمه لك الرب إلهك من وسطك، من إخوتك مثلي» (تث١٨:١٥-١٨) وأنا المشار إليَّ بالحية النُحاسية التى رفعها موسى فى البرية (عد٢١:٩) وأنا المرموز إليَّ بجميع الطقوس والرسوم والشعائر فى شريعة موسى. فلو كنتم تقبلون تعاليم موسى وأقواله الصريحة لكنتم آمنتم بي، ولكنكم لم تُدركوا المعنى الروحى من تعاليمه ورموزه. ولم تصدقوه. ولذا رفضتم قبولى، رغم «إنى أنا المسيح المنتظر»المؤكد فى التوراة وفى كل أسفار العهد القديم.

٤٧- «فإن كنتُم لستم تُصدَّقون كتب ذاك فكيف تُصدقون كلامى؟»

المعنى: إنكم أيها اليهود تَدعُّون كونَكم تلاميذ موسى، وتزعمون إنكم تعتبرون كلامه، وتعرفونه وتحترمونه. ومع ذلك لم تؤمنوا بذلك الايمان حق الايمان. فلا عجب إنكم لم تؤمنوا بكلامي. ولا تزالون مُصّرين على بُغضِكم لى وأحتقاركم إياي، لأن رفض شهادة موسى يستلزم رفض تعليمي، لأن تلك الشهادة هى الوسيلة لصحة دعواي. ولذا أكُف عن الكلام معكم.

فازداد من هذا الكلام اليهود غضباً وحنقاً. واشتد بُغضهم للمسيح، وصمموا أن يقتلوه!!.

❖❖❖

الإصحاح السادس

١- «بعد هذا مضى يسوع الى عبر بحر الجليل وهو بحر طبرية. ٢- وتبعه جمع كثير لأنهم أبصروا آياته التى كان يصنعها فى المرضى.

٣- فصعد يسوع الى جبل وجلس هناك مع تلاميذه. ٤- وكان الفصح عيد اليهود قريباً. ٥- فرفع يسوع عينيه ونظر أن جَمعاً كثيراً مقبل إليه. فقال لفيلبس من أين نبتاع خبزاً ليأكل هؤلاء؟ ٦- وانما قال هذا ليمتحنه، لأنه هو علم ما هو مزمع ان يفعل. ٧- أجابه فيلبس لا يكفيهم خبز بمئتى دينار، ليأخذ كل واحد منهم شيئاً يسيراً. ٨- قال له واحد من تلاميذه وهو اندراوس أخو سمعان بطرس.

٩- هنا غلام معه خمسة أرغفة شعير وسمكتان. ولكن ما هذا لمثل هؤلاء؟ ١٠- فقال يسوع اجعلوا الناس يتكئون. وكان فى المكان عُشب كثير. فاتكأ الرجال وعددهم نحو خمسة آلاف.

١١- وأخذ يسوع الأرغفة وشكر، ووزع على التلاميذ، والتلاميذ أعطوا المتكئين، وكذلك من السمكتين بقدر ما شاءوا. ١٢- فلما شبعوا قال لتلاميذه اجمعوا الكِسَر الفاضلة، لكى لا يضيع شيء. ١٣- فجمعوا وملأوا إثنتى عشرة قُفَّة من الكِسَر من خمسة أرغفة الشعير التى فَضُلَت عن الآكلين. ١٤- فلما رأى الناس الآية التى صنعها يسوع قالوا إن هذا هو بالحقيقة النبى الآتى الى العالم. ١٥- وأما يسوع فإذ علم أنهم مُزمِعُون أن يأتوا ويختطفوه ليجعلوه ملكاً، انصرف أيضاً الى الجبل وحده».

قوله «**بعد هذا مضى يسوع الى عبر بحر الجليل وهو بحر طبرية**» يفيد أن المسيح بعد الأمور المذكورة فى الاصحاح السابق، وهى إبراء المخلّع وغيظ اليهود من إبرائه فى السبت، ومحادثة يسوع معهم. وليس المقصود انه مضى لبحيرة طبرية بعد ذلك مباشرة، بل لابُد أنه مضت مدة. والمُرَجح انها نحو سنة، لأنه وقعت فيها جملة حوادث ذكرها البشيرون الآخرون، وتركها يوحنا، مثل قتل يوحنا المعمدان، ودعوة الرسل، والوعظ على الجبل (مت ٥-٧).

وقوله «وكان الفصح عيد اليهود قريباً»، يدل على أن المسيح لم يصعد هذه المرة الى العيد لأن اليهود رفضوه فى الفصح الذى قبله (ص٥: أو١٨) فكان لا يستطيع أن يصعد اليه (لأورشليم) بلا خطر، وساعته لم تكن قد أتت بعد (للصلب).

أما معجزة إشباع يسوع خمسة آلاف من خمسة أرغفة شعير وسمكتين، فقد جاءت فى الأناجيل الثلاثة الأولى (مت١٤:١٣-٢١ ومر٦:٣٢-٤٤ ولو٩:١٠-١٧).

وتوجد فروق لفظية طفيفة ما بين رواية يوحنا والبشيرين الثلاثة منها:

(أولاً) سؤال المسيح لفيلبس ليمتحن إيمانه من جهة قدرته على تدبّير طعام للجمع كله.وقد أظهّر فيلبس من جوابه، ضعف الايمان بقُدَرة يسوع على عمل كل شيء مستحيل، مع أنه رأى معجزات كثيرة قبل هذه (وخاصةً تحويل الماء خمراً فى قانا الجليل) لأنه كان أحد الستة الذين حضروا معه للعُرس.

(ثانياً) ذكر الحبوب التى كانت منها تلك الأرغفة، فقال انها كانت من الشعير، وأنها كانت مع غلام (قيل إنه ابن بطرس الرسول).

(ثالثاً) ذكر إن جمع الكِسَر كان بأمر المسيح، وأن الغاية منه الانتفاع وتعليم الحرص فى استعمال مواهب الله (النظام + عدم الإسرَاف).

(رابعاً) ذكر أن اليهود أرادوا أن يخطفوا يسوع «ليجعلوه ملكاً» زمنياً. ليأخذوه باحتفالٍ الى أورشليم ويجمعوا الجنود ويحاربوا الرومانيين وينقذوا بلادهم من سُلطان قيَّصر. ولم يقصدوا قط ان يقبلوه ملكاً روحياً، ويطيعوا أوامره (تعاليمه) الروحية.

(خامساً) بيان تأثير الاعجوبة فى اليهود، وهى أنها جعلتهم يقولون «إن هذا هو بالحقيقة النبى الآتى الى العالم» الذى أنبأ به موسى (فى تث١٨:١٥- ٨).

وقال يوحنا فم الذهب «إن اليهود قد رأوا جملة معجزات، فلماذا لم يعتبروا الرب يسوع النبى الآتى إلا بتاثير أعجوبة إشباعهم من الخبز؟» ويجيب إن سبب ذلك أنهم كانوا يحسبون من وظيفة النبى الآتى أن يُشبعَّهم من الخبز، كما أشبعهم موسى من المن فى البرية المصرية (صحراء سيناء) وأنهم كانوا يريدون الشبَع الجسدى، لا الروحى.

١٦- «ولما كان المساء نزل تلاميذه الى البحر. ١٧- فدخلوا السفينة. وكانوا يذهبون إلى عبّر البحر، الى كفر ناحوم. وكان الظلام قد أقبل، ولم يكن يسوع قد أتى إليهم. ١٨- وهاج البحر من ريح عظيمة تهب. ١٩- فلما كانوا قد جدّفوا نحو خمس وعشرين أو ثلاثين غلوة، نظروا يسوع ماشياً على البحر، مقترباً من السفينة فخافوا. ٢٠- فقال لهم «أنا هو لا تخافوا». ٢١- فرضوا أن يقبلوه فى السفينة. وللوقت صارت السفينة (وصلت) الى الأرض التى كانـــوا ذاهبين إليها».

ذكر مار متى معجزة مشَى يسوع على الماء وتسكين الريح (فى مت ١٤:٢٢-٣٣) وذكرها مرقس (فى مر٦:٤٥- ٥٢) ويقول يوحنا إن التلاميذ «نزلوا الى البحر» وقد علمنا من متى ومرقس أنهم نزلوا السفينة بأمر المسيح. ويقول يوحنا إن المدينة التى كانوا ذاهبين اليها هى كفر ناحوم. ويقول مرقس إنها «بيت صيدا» والمكانان فى جهة واحدة. والمقصود إنهم رغبوا أن يُلاقوا يسوع فى بيت صيدا. ويأخذوه بالسفينة الى كفر ناحوم، المجاورة لها.

والغُلوة ثُمنْ (١/٨) الميل. وعرض البحر (البحيرة) هناك نحو أربعين غلوة (٨ كيلومترات) أما خوف التلاميذ فسببه إنهم لم يتوقَّعوا أن يروا يسوع يأتيهم ماشياً على البحر. فذلك أمر لم يروا مثله او يسمعوا به. كما كان الظلام شديدا.

وقوله «**فرضُوا أن يقبلوه**» معناه أنه زال خوفهم بعد سمعهم صوته. وزاد مار متى هنا إن بطرس نزل لملاقاة يسوع على الماء. وقوله «للوقت صارت السفينة إلى الأرض التى كانوا ذاهبين اليها» معناه إن السفينة بعد سكون الريح أبحرت بسرعة. فوصلت الى الموضع المقصود حالاً.

٢٢- «وفى الغد لما رأى الجمع الذين كانوا واقفين فى عبَّر البحر، أنه لم تكن هناك سفينة أخرى سوى واحدة، هى تلك التى دخلها تلاميذه. وأن يسوع لم يدخل السفينة مع تلاميذه، بل مضى تلاميذه وحدهم.٢٣- غير أنه جاءت سفن من طبرية الى قُرب الموضع الذى أكلوا فيه الخبز، إذ شكر الرب. ٢٤- فلما رأى الجمع أن يسوع ليس هو هناك ولا تلاميذه، دخلوا هم أيضاً السفن وجاءوا الى كفر ناحوم يطلبون يسوع. ٢٥- ولما وجدوه فى عبَّر البحر، قالوا له «يا مُعلَّم متى صرت هنا؟»».

أى أنه فى غدِ النهار، الذى صنع فيه المسيح معجزة الخبز، علم الجمع الذين أكلوا أنه لم يكن هناك إلا سفينة واحدة، وهذه السفينة دخلها التلاميذ وبقى يسوع على البَّر، فطلبوه ولم يجدوه ولم يعلموا أنه مشى على الماء، ودخل السفينة وسافر الى كفر ناحوم، وكانوا يَعلمون أنه لا يستطيع أن يمر على الشاطئ بدون أن يشاهدوه.

وبينما كان الجمَع مُتحّيراً. وإذا بسفنٍ جاءت من طبرية الى الموضع الذى أشبَّع فيه المسيح الخمسة آلاف من الخمس خبزات (شرق البحيرة) ليسمعوا ويروا الذى صنع هذه العظائم. فلما لم يجدوه هناك ركبوا السفن الآتية من طبرية وذهبوا الى كفر ناحوم «يطلبون يسوع» اى يفتشون عليه. ويظهر انهم سمعوا شيئاً عن ذهابه هناك، أو لأنه كان يتردَّد هناك كثيراً. فرجحَّوا أنه ذهب إليها.

وبالفعل «**وجدوه فى عبَّر البحر**» أى فى غرب البحر، فقالوا له «يا مُعّلم» (Rabi) وهو لقب احترام وله اعتباره عند اليهود. «**متى صرت هنا**» لأننا لا نعرف الوسيلة التى جئت بها إلى هذا المكان براً أو بحراً؟!.

٢٦- أجابهم يسوع وقال «الحق أقول لكم إنتم تطلبونني، ليس لأنكم رأيتم آيات، بل لأنكم أكلتم من الخبز فشبعتم»!!

لم يجبهم المسيح على سؤالهم السابق، وهو كيف جاء الى هذا الموضع، لأنه لو أجابهم عليه لاضطر أن يقول «أتيتُ ماشياً على البحر» وفى هذا نوع من الافتخار والتباهِي. فأجابهم بما هو أنفع لهم، وهو أن يطلبوا غذاء الروح لا قوت الجسد.

فقال «أنتم تطلبونني، ليس لأنكم رأيتم آيات»، أى أنكم شاهدتم معجزاتي، فلم تستفيدوا منها فائدةً روحية بل «**لأنكم أكلتم من الخبز فشبعتم**» فأنتم تظنون أنكم إذا تبعتمونى تشبعون دائماً بالخبز، كما شبعتم سابقاً. فتتوقعون أن تنالوا- بواسطتي- البَرَكات الجسدية، والمنافع المادية، بلا تعب. فغايتكم دنيوية (مادية بحتة) ولم تشعروا بجوعٍ روحى (كلمة الله غذاء الروح).

٢٧- «أعملوا لا للطعام البائد، بل للطعام الباقى للحياة الأبدية، الـذى يعطيكم ابـن الإنسان، لأن هذا (الغذاء الروحى) الله الآب قد خّتَمه».

أتخذ يسوع سبيلاً من الطعام الجسدى الذى كانوا يطلبونه إلى الكلام على الطعام الروحى، المُوصّل إلى السعادة الأبدية. كما أتخذ من الماء العادى فى كلامه مع السامرية، سبيلاً إلى الكلام على الماء الحْى. فكأنه يقول: «لا تطلبوا الطعام الذى يزول مثل الخبز الذى شبعتم منه فى البرية، بل الطعام الروحى الذى تبلغون به الحياة الأبدية السعيدة. واجتهدوا فى طلبه، ولا تتوانوا بل جَدوا وكدُّواً. وهذا الطعام الروحى يوصلكم إلى الحياة الأبدية. والذى يعطيه لكم (مجانا) هو المسيح». وقال يوحنا فم الذهب، إن معنى قوله «**لأن هذا الله الآب قد ختمه**» أن الله الآب عيَّن المسيح- منذ الأزل- لكى يعطى المؤمن الطالب للطعام الذى للحياة الأبدية.

وذلك بإعلانه وإشهاره عند عماده، بصوته من السماء قائلاً: «هذا هو ابنى الحبيب» فكأن الآب ختم بذلك (أكد) وأقر أن يسوع هو إبنه، وأنه هو المسيح، الموعود به منذ سقوط آدم وحواء. وهذا القول مأخوذ من أعمال الناس العادية إذ أنهم يتخذون «الختم» للتثبيت (١مل٢١:٨ واس١٢:٣). وقيل كيف يأمر المسيح الناس أن لا يعَمَلْوا للطعام البائد، بل للطعام الباقى إلخ.

فإن هذا الأمر لو تم يؤدى إلى جلوس الناس وكسلهم عن تعمير العالم .. ويجلب إليهم البطالة التى هى سبب كل شر. والواضح إن المسيح لم يمنع من الاجتهاد وللعِمل فى العالم، إنما علمَّنا أن نجعل غرضنا الأهم فيما لا يزول ولا يُنَزع منا. أى أنه يجوز للإنسان أن يأخذ من أمور العالم بمقدار الكفاية، ويفيد المساكين من فضلة ما فى يده. ولا يجعل دأبه جمع المال، لأن هذا (محبة المال) يُحسَب عبادة أوثان.

٢٨- «فقالوا له ماذا نفعل حتى نعمل أعمال الله؟!»

قال يوحنا فم الذهب: «إن اليهود قالوا ذلك لرغبتهم فى الخبز، لإشباع بطونهم أيضاً. فسألوه كيف يستُرضون الله حتى يُكثر المسيح لهم الخبز، مرة أخرى وهلّم جراً.

وقال أُغسطينوس «إنهم سألوه: **ماذا نفعل**»؟ بنية خالصة، لأن تعليم المسيح وأعجوبة الخبز حملت كثيرين منهم على الأهتمام بالخلاص.

فسألوه ماهى «أعمال الله»؟ أى الأعمال التى أمر بها الله. وسوف يثُيبهم عليها. وإذا عملوها تكون وسيلة لنوال «**الطعام الباقى للحياة الأبدية**» (لذة الشبع بالمسيح)، حسب تعليمه لهم.

٢٩- أجاب يسوع وقال لهم «هذا هو عمل الله:أن تؤمنوا بالذى هو أرسله».

كأنه قال: «إن العمل الإلهى الذى به تنالون الطعام الباقى للحياة الأبدية هو أن «**تؤمنوا بى أنا الذى أرسلنى الآب**». سأل اليهود المسيح عن أعمال الله كأنها كثيرة فجمعها المسيح كلها فى عمل واحد، وجعله شرط الحياة الأبدية.

فجعل المسيح «**الإيمان به شرط الحياة الأبدية**» لأن «الإيمان بالمسيح يحمل على التوبة ويُصدّرها. فهو أصل كل الأعمال الصالحة ومنشئها. فكما أن الإيمان بدون أعمال صالحة ميت هكذا لا توجد أعمال صالحة بدون الإيمان السليم.

٣٠- فقالوا له فأية آية تصنع لنرى ونؤمن بك؟ ماذا تعمل؟ ٣١- آباؤنا أكلوا المن فى البرية، كما هو مكتوب إنه «أعطاهم خبزاً من السماء ليأكلوا».

كأنهم قالوا: «أنت تّطلب منا أمراً كبيراً هو أن نؤمن بك إنك المسيح وابن الله، فلا تكفى آية تكثير الخبز، فى حملنا على هذا الإيمان. فإن موسى عال آباءنا وكانوا أكثر من مليونين فى البرية بقوتٍ سماوى (وهو المن) أربعين سنة فى سيناء وهذا أعظم بما لا يقاس من تكثيرك الخبز أمس ومع هذا لم يقل موسى إنه المسيح وابن الله. فإن كنت تريد أن نؤمن إنك المسيح وابن الله، فيلزم أن تصنع أعظم مما صنع موسى.

٣٢- فقال لهم يسوع «الحق الحق أقول لكم ليس موسى أعطاكم الخبز من السماء بل أبى يعطيكم الخبز الحقيقى من السماء.
٣٣- لأن خبز الله هو النازل من السماء الواهب حياة للعالم».

لم ينكر المسيح بقوله «**ليس موسى أعطاكم الخبز من السماء**» أن الله أعطى بنى إسرائيل المن على يد موسى، بل أراد أن يُبيّن لهم إن المن ليس خبزاً حقيقياً من السماء، بل هو (نبات) من الطبيعة وهو صورة ومثال إلى الخبز الحقيقى الذى يُقيت النفس ويُحيّيها إلى الأبد.

«**لأن خُبز الله هو النازل من السماء**» أى من السماء العُليا، حيث يسكن الله، لا من السماء الدُنيا، الذى هو من الطبيعة الأرضية. ودعاه خبز الله لأنه خاص بالله، ولأن المُراد به هو ابن الله حقيقة.

وليس هو كالمن مُسنِداً للحياة الجسدية وقتياً فقط، بل هو «**الواهب حياة للعالم**». أى الذى يهب النفس حياة روحية أبدية، وليس هو كالمن مقصور النفع به على بنى إسرائيل فقط،، بل هو لمنفعة جميع العالم. وليس لمدة أربعين سنة أو ألف سنة، بل هو لكل الأجيال، إلى مُنتهى الزمان، وهو إشارة إلى جسده الذى أعطاه إلى تلاميذه، وجعله عهداً بينه وبين جميع منْ يتبعه.

٣٤- فقالوا له «ياسيد أعطنا فى كل حين هذا الخُبز».

لم يفهم اليهود الجسديون المُراد بالخبز الحقيقى، النازل من السماء ولم يفتكروا إلا فى الخبز الأرضى، كما فهمت السامرية بالماء الحى «بالماء الطبيعى». حسب تفسير القديس يوحنا فم الذهب.

٣٥- فقال لهم يسوع «أنا هو خبز الحياة. منْ يقْبل إلىَّ فلا يجوع، ومنْ يؤمن بى فلا يعطش أبداً».

أبان المسيح بهذا القول أنه هو الخبز المُحّيى. فإنه بنعمته وروحه يُقيت المؤمنين ليحيوّا دائماً ويقيتهم، خاصةً بجسده، الذى أعطاه لتلاميذه، وجعله عهداً بينه وبين جميع منْ يتبعه. فكما أن الخبز الطبيعى لحياة الجسد. هكذا خبز الحياة ضرورى لحياة الروح.

فالمسيح قوت النفس، كما أن القوت الطبيعى قوت الجسد. وهو يقول «**منْ يُقبل إلىَّ فلا يجوع. ومنْ يؤمن بى فلا يعطش**» لأنه يسد كل احتياجات النفس، ويكفى أشواقها ويُكمِّل سعادتها. فالذين لا يقبلُونَه يهلكون جوعاً وعطشاً. أى يبقون إلى الأبد فى عذاب الاحتياج إلى بركاته الروحية.

٣٦- «ولكنى قلُت لكم إنكم قد رأيتُمونى ولستم تؤمنون».

«أى قد شاهدتم معجزَاتِى ووقفتم على أحسن برهان، إنى مُرسَّل من الله وإنى المسيح المنتظر. ومع ذلك كله سألتمونى آيةً لتروا وتؤمنوا بى. أنا صنعت لكم آيات كثيرة ومع ذلك لم تؤمنوا بى»!!

فإن عمل الله، فى الطبيعة الصامتة والحيَّة، لهو خير دليل على وجوده، وعلى عظمته، ومحبته للبشر.

٣٧- «كـــل مــا يعطينــى الآب فإلىَّ يُقبِـل، ومن يُقبِل إلىَّ لا أُخرِجُـه خارجاً».

كأنه يقول: «إنكم تقولون لى إن كنتَ تعلم أننا لا نؤمن بك. ولو أنك أنذرتنا،وعملّتَ كثيراً من العجائب أمامنا. فلماذا هذا الأنذار؟ فأجيبَكم أن فريقاً منكم يؤمن بى وهم «**ما يُعطنى الآب**». أى الذين اختارهم الله وأعطانى إياهم ليكونوا لى تلاميذاً.

«**إلىَّ يُقبِل**» أى فهؤلاء يقبلوننى مُخلّصاً بدون استثناء. «**ومن يُقبل إلىّ**» أى من يؤمن اختياراً، لأن الله لا يجذِب الإنسان غصباً. إنما يُريه خطيته، فيأتى إلى التوبة. ويُسّر بالإقبال إلىّ. «**لا أخُرجه خارجاً**» أى لا أرفضه، بل استجيب طلبه وأعينه على فعل الصالحات»

٣٨- «لأنى قد نّزلتُ من السماء، ليس لأعمل مشيئتى بل مشيئة الذى أرسلنى. ٣٩- وهــذه مشيئــة الآب الــذى أرسلنــى أن كل مــا ما أعطانى لا أُتلف منه شيئاً، بل أُقيمه فى اليوم الأخير».

قال يوحنا فم الذهب: «إن مشيئة الله الابن، ومشيئة الله الآب، واحدة وهى خلاص الذين اختارهم الآب، وأعطاهم للمسيح، وجذبهم إليه. فلا يمكن أن يرفض منهم أحداً، وليس مشيئة الآب غير مشيئة الابن».

وماهى هذه المشيئة الواحدة؟ هى «**كل ما أعطانى لا أُتلف منه شيئاً**». أى فلا أحد من الذين يأتون إلى المسيح – بالإيمان – يمكن أن يُفقّد. فلا يستطيع العالم ولا الشيطان ولا الموت، أن يفصله عن المسيح ويُهْلِكُه.

بل «**أقيمه فى اليوم الأخير**». **وأعلم أن القيامة نوعان**. قيامة من موت الخطية وقيامة من موت الجسد. **كما أن الموت نوعان**. موت النفس وموت الجسد. فجميع الناس يقومون من موت الجسد. وليس الجميع يقومون من موت الروح والجسد. فالصالحون يقومون للحياة ألأبدية السعيدة. وهذه نهاية عمل الفداء وثمرته. ويكون ذلك عند قيامة المؤمنين فى شبه جسد المسيح برجوع أنفسهم إلى أجسادهم لتشاركها فى المجد (فى٣:٢١). والأشرار يقومون للعذاب الأبدى ، والموت (ص٥:٢٩) أى الهلاك الأبدى.

وهو ما يجب الإنتباه إليه جيداً، من الآن، وقبل فوات الأوان.

٤ - «لأن هذه هى مشيئة الذى أرسلنى أن كل من يرى الإبن ويؤمن به، تكون له حياة أبدية، وأنا أُقيمه فى اليوم الأخير».

فى الآية السابقة علَّمنا المسيح أن كل الذين أعطاهم الآب الى الابن يخلُصون. فلئلا يقول أحد كنتُ ممن أعطاهم الآب لإبنه الوحيد، فلا بُدَّ إنى أخلُص، وإلاّ فليس عليّ إذن مسئولية.

عاد المسيح فعلّمنا قائلاً «هذه هى مشيئة الذى أرسلني: أن كل من يرى الإبن ويؤمن به تكون حياة أبدية. وأنا أُقيمه فى اليوم الأخير» أى أن كل من وجه عينيَّ بصيرَته الى المسيح بشوق عمد، بلا انقطاع وباختيار وعمد، تكون له حياة أبدية سعيدة، ويُقيمه المسيح قيامة الذين لوا الصالحات، أى لينال المجد والسعادة. أما الذى يرى الابن بالعين الظاهرة- وبعين العقل ط- ولا يؤمن به، فدينونته أعظم.

٤ - فكان اليهود يتذمرُّون عليه، لأنه قال «أنا هو الخبز الذى نزل من السماء».

قيل إن اليهود لم يتذمرُّوا على المسيح لتسميته نفسه «**خبزاً**» على قدر تذمرهم لقوله إنه ل من السماء، مع معرفتهم بأبيه وأمه وإخوته. وقيل إنهم تذمرُّوا عليه لإنتظارهم منه الخبز جسدي، اما هو فوعدهم «**بالخبز الروحي**»!!

٤٢- وقالوا «أليس هذا هو يسوع ابن يوسف الذى نحن عارفون بأبيه وأمه، فكيف يقول هذا إنى نزلتُ من السماء؟».

هذا يدل على أن اليهود لم يعرفوا أن ولادة يسوع كانت خارقة للطبيعة. واعتقدوا إنه ابن يوسف ريم. وعلة جهلهم هو أن الحوادث التى وقعت عند ميلاده، وأثبتت إنه ابن الله، كانت منذ ثلاثين نة. فبعضهم نسيها، وبعضهم يجهلها. وبعضهم يتجاهلها عمداً وحسداً وكبرياءً وتعنتاً. فقال جميع «كيف يقول إنه نزل من السماء وأبوه وأمه فى الأرض معروفان؟».

٤٣- فأجاب يسوع وقال لهم «لا تتذمروا فيما بينكم. ٤٤- لا يقدر أحد أن يُقبل اليَّ ان لم يجتذبه الآب الذى أرسلني. وأنا أُقيمه فى اليوم الاخير».

كأنه يقول «إنى أقول الحق. فإن لم تفهموه لكونه فوق عقولكم، فأنتم تحتقرونني. ولا تسألوننى سير أقوالى، ولا تسألون الله أن يُنير أذهانكم لتفهموها».

فإنه «**لا يقدر أحد أن يُقبِل اليَّ إن لم يجتذبه الآب الذى أرسلني**». واجتذاب الله هذ
بقوة النعمة وفاعليتها التى لا تقف ضد الحرية، بل تدفع القلوب وتجعلها راضية بالإتّي
السيد المسيح.

ومعنى الجذب أنه تعالى يُحّرك الضمير ويُقنع العقل فيرهب الانسان من جهنم ويرغ
السماء، ويُريه جمال القداسة وقباحة الإثم. فيجتذب الانسان من بُغْض الحق الى محبته
الكبرياء الى التواضع. وبالإجمال إلى المسيح الذى هو كنز الفضائل. فالآب يجتذب ال
ويعطيها للإبن. والابن يقّبلها. ويمنحها الحياة ويُقيمها فى اليوم الأخير للمُجازَاة.

٤٥- إنه مكتوب فى الأنبياء «ويكون الجميع متعلّمين من الله» فكل من سمع الآب وتعلم يُقّبِل اليَّ».

«**إنه مكتوب فى الأنبياء**» (أى فى إش ١٣:٥٤وفى إر٣٣:٣١و٣٤ ويؤ٢٨:٢ومى ٩
وحز١١:١٩) والمكتوب فى هذه النبوات هو «**يكون الجميع متعلمين من الله**» أى أن الل
يجذب النفوس الى المسيح بوسيلة خاصة وهى تعليمه إياها حقائق كتابُه. فكل من يجتذب
يتعلم منه تعالى. وليس السمع فى قوله «فكل منْ سمع» مجرد الإدراك بالأُذن بل الإصغاء ب
وسرور، وشوق وتصديّق المسموع. فمن سمع كذلك يتعلم «**ويُقبل اليَّ**». أى يؤمن بى.

٤٦- «ليس أن أحداً رأى الآب إلا الذى من الله. هذا قد رأى الآب»

معناه أن الله مُعّلِم غير منظور، فبو يُعلّم القلوب، لا العيون والآذان. وبما أنه يستحيل أر
الله احد من البشر، فإذاً لا يستطيع أحد منهم أن يدرك كُنهه ويعرف مقاصده ويبينّها للناس
الذى من الله» أى الابن الكلمة (ص١:١) الذى «**كان فى حضن الآب**» (ص١٨:١) وهو
مجده ورسم جوهره» (عب٣:١).

فقوله إن الجميع يكونون متعلمين من الله، لايمكن إتمامه إلا بواسطة المسيح، الذى هو
للآب. «**هذا قد رأى الآب**». أى أن المسيح من حيث أنه والآب واحد، فهو قد رآه بالذات. ومن
مثلاً رؤية الشهيد اسطفانوس للمسيح له المجد، أثناء رجّمه بيد اليهود (أع٧).

فهل قلبنا نقياً مثل هذا الشهيد المجيد؟!.

٤- «الحق الحق أقول لكم منْ يؤمن بى فله حياة أبدية»

عاد المخلص هنا إلى تكرار التعليم الذى تذمر اليهود منه (فى ع٢٩ وما يليه) داعيا إلى الإيمان لأن الإيمان مصدر كل خير، وأصل الخلاص والواسطة الضرورية لنوال الحياة الأبدية. ونوال الحياة، كما سنرى الآن.

٤- «أنا هو خبز الحياة»

لأن كل منْ يقتات بى ينال الحياة الأبدية والسعادة الدائمة فى ملكوت السماء. وسمى نفسه زاً لأنه يريد إعطاء جسده المقدس لتلاميذه، عهداً بينه وبينهم، بالخبز والخمر. فالمن الذى أكله إسرائيل فى البرية لم يكن إلا رمزاً إلى المسيح الذى هو خبز الحياة.

٤- «آباؤكم أكلوا المن فى البرية وماتوا».

٥- «هذا هو الخبز النازل من السماء لكى يأكل منه الإنسان ولا يموت».

كان اليهود يحسبون المنّ الذى أكله آباؤهم فى البرية أعظم من هبة يسوع «فأبان لهم يسوع نفعه، لأنه لا يفيد النفس. وأفاد الجسد وقتيا، لأن الموت استولى على كل الذين أكلوه.

أما المسيح فهو الخبز النازل من السماء (وذلك بالنظر إلى لاهوته، وفى هذا القول تصريح جوده قبل تجسُّده، أى أنه أزلى). «**لكى يأكل منه الإنسان ولا يموت**» أى أن المن لم يمنح اة الجسد وهى أدنى من حياة النفس.

والخبر النازل من السماء الذى هو أنا، يمنح حياة الروح. وهى أعظم من حياة الجسد. فكل من اول من الخبز النازل من السماء «لا يموت» الموت الذى هو نتيجة الخطية. أى الهلاك الأبدى فى نم، والمعروف **بالموت الثانى** (رؤ٢٠: ١٤و ٢١:٨).

٥- «أنا هو الخبز الحىّ الذى نزل من السماء. إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد. والخبز الذى أنا أعطى هو جسدى، الذى أبذله من أجل حياة العالم».

أى «أنا الخبز الذى فيه الحياة» ومعلوم أن من لا حياة له لا يستطيع أن يعطى الحياة لغيره. س كالمن الذى نزل من السماء الدنيا، أى من الطبيعة بل أنا الخبز الذى نزل من السماء العُليا،

حيث عرش الله. وهو مسكن المسيح منذ الأزل. «**إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى ا**
الحياة السعيدة المجيدة. وهذا مثل قوله «**لا يموت**» أى لا يلحقه الموت الثانى (رؤ٢٠:١٤)
هو موت النفس أى هلاكها فى عذاب جهنم.

«**والخبز الذى أنا أعطى هو جسدى**» أى أن هذا الخبز ليس نوعاً من المن أو خلافه، بل
جسدى الذى فيه الحياة. وهو «**الذى أبذله من أجل حياة العالم**». أى أن جسدى هذا هو
يُعلَّق على خشبة الصليب ليموت كفارة عن الخطايا، لأنه الله الذى يرفع خطايا العالم (ش٥٣
٣٦:١) وهو الفصح الحقيقى (١كو٥:٦) وليس عن خطايا اليهود فقط، بل هو «ليس لخط
فقط، بل لخطايا كل العالم أيضاً» (١يو٢:٢).

٥٢- «فخاصم اليهود بعضهم بعضاً قائلين «كيف يقدر هذا أن يُعطينا جسد لنأكل؟»».

عندما قال المسيح إن الخبز الذى يُعطيه هو جسده، بدأ اليهود يتخاصمون متوهمين
يأكلون جسده كباقى اللحوم. وقال القديس أغسطينوس إن الله قادر أن يصنع أكثر مما يست
الإنسان أن يفهم. فمعنى قول اليهود «**كيف يقدر**»؟ وهو استفهام إنكارى، ويتضمن أيضاً ا
بالمسيح لكونه حسب وهمهم وضع شرطاً مستحيلاً.

والحقيقة إن أعمال الله وصفاته فوق الإدراكات البشرية. فهل يُدرك الإنسان كيف يوجد
فى كل مكان؟ وهل يُدرك كيف يعلم الله كل شئ؟. وكيف يستطيع كل شئ؟ وكيف توجد الن
البشرية فى جسد الإنسان، وفى كل جزء منه؟

٥٣- فقال لهم يسوع «الحق الحق أقول لكم إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربو دمه فليس لكم حياة فيكم».

سمى المسيح نفسه «**ابن الإنسان**» وعنى به **الله مُتجسِداً**، لأنه لا يستطيع أن يموت
التجسّد. فبهذا التجسّد تألم وصُلب ودُفن وقام، وصعد إلى السماء، وهو الآن عن يمين الله.

قال القديس فم الذهب: «حكم اليهود بأن المسيح لا يقدر أن يعطيهم جسده ليأكلوه. وأ
أن هذا مستحيل، ولكنه أبان لهم إنه ممكن، وليس ممكناً فقط بل ضرورى، واضطراى وش

ـم للحياة الأبدية. وإن لم يُبيّن كيف يصير ذلك؟ فكما أنه فى الفصح اليهودى كان ذبح الخروف ـش دمه ضروريّين لنجاة الإسرائيليين من الهلاك الذى نزل بالمصريين، كذلك لا ينجو المؤمن ـن هلاك الخطية، ولا تكون له حياة فيه، مالم يأكل جسد ابن الإنسان، ويشرب دمه.

وكما أن الخبز والشراب ضروريان لحياة الجسد. كذلك جسد المسيح ودمه ضروريان لحياة ـروح. فليس لأحدٍ حياة روحية بدون الغذاء الروحى. فالله قد أعد هذا الطريق الفائق الإدراك ـوالها.

٥٤- «منْ يأكل جسدى ويشرب دمى، فله حياة أبدية، وأنا أُقيمه فى اليوم الأخير».

ذكر هذا الكلام المكرر، توكيداً لكلامه السابق، لأنهما بمعنى واحد. فكأنه قال «إن من يأكل ـسدى ويشرب دمى مستحقاً، ومستعداً الاستعداد الواجب، بالندامة والتوبة والاعتراف للكاهن، ـطيه الحياة الأبدية. وأما الذى يتناولهما بغير استحقاق فيكون مجرماً فى جسد الرب ودمه».

وقوله «**وأنا أقيمه فى اليوم الأخير**» نتعلم منه أن نفس المؤمن لا تنال كمال الحياة الأبدية إلا ـى قام الجسد، وشارك الروح فى السعادة، لأن فداء الإنسان يتضمن فداء جسده أيضاً.

٥٥- «لأن جسدى مأكل حق (حقيقى) ودمى مشرب حق» (حقيقى).

لا بالمِثْل ولا بالصُوَرة بل بالحقيقة. وقال يوحنا فم الذهب: «إننا نتحد مع المسيح بأكل جسده ـشرب دمه الأقدسين، لا بالمحبة ورضى الإرادة فقط، بالحقيقة والجوهر. فلا مأكل ولا مشرب ـيت النفس حقيقة»، للحياة الأبدية، إلا جسده ودمه.

٥٦- «منْ يأكل جسدى ويشرب دمى يثبُت فىَّ وأنا فيه».

إن ثباتنا فى المسيح وثباته فينا هو إتحاد جسده بجسدنا، كما يتحد الغذاء بالجسد بالدم. ـيتضمن ثبوت المسيح فينا، اتحادنا به والمُشابهة له فى سلوكياته الجميلة والموافقة له بالإرادة. ـلتمتع برضاه فى دُنياه وسَماه، والأمن من الخوف، والتعزية فى الضيق، والنجاة من الدينونة.

٥٧-«كما أرسلنى الآب الحى وأنا حيّ بالآب، فمن يأكلنى فهو يحيا بى»

كأنه يقول إن الآب هو ينبوع الحياة، ويشرّكنى بهذه الحياة مع ذاته، لأننى والآب واحد. ولهذا

فكما أن الآب ثابت فى الابن ويمنحه ذاتياً هذه الحياة الإلهية. هكذا الابن الذى أرسله الآب بالجس
وهو ثابت فيه- يهب هذه الحياة الإلهية لمن يأكل جسده ويشرب دمه.

قال فم الذهب إن قوله «**وأنا حى بالآب**» يريد به حياته من حيث أنه إله ومساوٍ للآب
الجوهر، وكافة الكمالات الإلهية.

والخلاصة إن حياة المسيح ليست منفصلة عن حياة الآب، إنما هى قائمة باتحاد الابن بالآ
ووحدة الفِكر والمحبة والمقاصد والعمل. وقول المسيح هذا مثل قوله فى موضع آخر «**صدقو
إنى فى الآب والآب فيَّ**» وقوله «**الآب الحال فيَّ**» (يو١٤: ١٠و١١).

**٥٨- «هذا هو الخُبز الذى نزل من السماء. ليس كما أكل آباؤكم المن وماتوا. منْ يأكل
هذا الخبز، فإنه يحيا الى الأبد».**

«**هذا هو الخبز الذى نزل من السماء**». هذه العبارة هى مختصر ما قيل (فى عددى ٣٢و٣
وقد كررها المسيح للتأكيد على أنه هو الخبز الحقيقى، الذى نزل (له المجد) من السماء العُ
حيث مسكن الله. وأنه يقوت العالم (روحياً) بتقديم نفسه ذبيحة ويقيت أنفس المؤمنين بمن
لهم هذا الجسد المُحّيي، الذى بذله على الصليب لكى كل منْ يأكل منه باستحقاق لا يذوق المو
الثانى (الهلاك الأبدى).

وهو «**ليس كما أكل آباؤكم المنّ وماتوا**» هذه العبارة هى مختصر ما جاء فى (عدد
٣١و٤٩) وهذا تأكيد أيضاً لليهود بأن المنَّ الذى أكله آباؤهم فى البرية مدة أربعين سنة لم يكن
طعاماً عادياً قابلاً للفساد، وجاء من السماء الأدنى أى من الطبيعة، وجميع الذين أكلوه ماتوا.
لم ينالوا بواسطته الحياة الأبدية.

فهو خبز وقتى لأجسادهم بخلاف الخبز الحقيقي. فإنه خبز دائم للروح وكل «**منْ يأكل ه
الخبز فإنه يحيا الى الأبد**» هذه العبارة مختصر ما جاءَ فى (ع٣٣و٥٠و٥١و٥٤و٥٧) و
يُؤكد أن منْ يأكل جسده ويشرب دمه يحيا فى السماء الى الأبد، مُتمتعاً بالسعادة الكاملة، حيث
حُزن ولا تعب وحيث المسيح نورها. وتساءل القديس امبروسيوس: «كيف يموت منْ كان طعا
الحياة»؟! وهو غذاء ودواء وشفاء، وعزاء للنفس المتألمة.

٥٩- قال هذا فى المجمع وهو يُعلِّم فى كفر ناحوم.

أى أن المسيح لم يقُل هذا الكلام سراً أو فى الزوايا أو أمام تلاميذه فقط، بل فى المجمع. أمام الكهنة والكتبة والشعب. وظن بعضهم أنه ابتدأ يخاطب الشعب فى سهل جنيسارت (شرق طبرية) عندما خرج من السفينة. وأن ما قاله هناك هو (من الآية ٢٦ الى الآية٤٠). وأن ما فى الآية ٤١ الى هذه الآية (أى ٥٨) قاله فى ذلك المجمع. والأرجح أن الإشارة هنا الى كل ما فى هذا الاصحاح (من الآية ٢٦الى الآية ٥٨).

٦٠- فقال كثيرون من تلاميذه إذ سمعوا «إن هذا الكلام صعب. منْ يقدر أن يسمعه؟».

أى أن كلام يسوع فى طلب أكل جسده. ولاسيما **أمره بأكله، وأن منْ لا يأكله يهلك لا محالة،** استبان لهم عَسِرالتصَدّيق، ومرعباً فى استعماله. فمن يجسُر ان يأكل لحم المسيح او من أكل الجسد البشرى أو يشرب دمه؟ فهذه ولائم آكلى لحوم الناس كما قال – فيما بعد- الوثنيون المسيحيين. قالوا هذا من جهلهم سر تناول جسد المسيح، كما جَهلَه اليهود حينئذ.

ولذا كان كلامه عَسِر الفهم على عقولهم الغليظة، لا بذاته (حرفياً) إذ ليس المقصود أننا نأكل جسده كما نأكل لحم المجزر، بل أن نأكله تحت أعراض الخبز.

أما التلاميذ الذين صعبُ عليهم فهم كلامه، فهم غير المؤمنين الحقيقيين، الذين تبعوه متظاهرين أنهم تلاميذه. فهؤلاء صَعُب عليهم فهم كلام المسيح، لأنه كان منافيا لآرائهم فى شأن المسيح المنتظر، وملكوته الجديد، ومضاداً لشهوات قلوبهم الدنيوية لانهم **كانوا يطلبون خبزاً جسدياً** ينفعهم فى هذا العالم، لا خُبزاً سماوياً يهبهم الحياة الأبدية فى العالم الآخر. وكانوا يطلبون ملكاً يقود جيوشهم لمحاربة الرومانيين ويسلك بسلطان، كداود وسليمان، والقوة كشمشون، لا ملكاً روحياً يملك على القلوب بالحُب، ويقودهم الى أمجاد السماء.

٦١- «فعلم يسوع فى نفسه أن تلاميذه يتذمرون على هذا. فقال لهم «أهذا يُعثّركم»؟

«**فعلم يسوع فى نفسه أن تلاميذه يتذمَّرون**» بالعلم الالهى المختص به، لأنه ابن الله

(ص٢:٢٥) ولا يعلم الافكار الباطنية إلا الله. والتلاميذ الذين تذمروا هم- كما قلنا- غير المؤ الحقيقيين. وقوله «**أهذا يعثركم**» يشير به أولاً: الى أنه «**نزل من السماء**» فإن هذا على خ ماظنوه من أنه ابن يوسف نجار الناصرة.

ثانياً منْ «**أكل جسده وشرب دمه**» فإن هذا الأمر غير موافق لآمالهم الجسدية. وكان عليهم أن يطلبوا من الله أن يُنير أذهانهم ليُدرِكوا معنى كلامه، لا أن يستسلموا للشكوك.

٦٢- «فإن رأيتم ابن الانسان صاعداً الى حيث كان أولاً»

أى هل إن رأيتمونى صاعداً الى السماء، فهل يقنعكم ذلك بصحة قولى إننى قادر أن أعط جسدى لتأكلوه، ودمى لتشربوه؟ أو هل تشكوُّن أيضاً، أنه لا يحق لكم أن تشكُّوا، لأنه يمكنك تعرفوا من صعودى الى السماء بقوتى إنى نزلت من السماء. وإننى قادر أن اعطيكم جسدى م وبه أُقيم الموُّتى. فصعودى برهان على ألوهيتى وقدرتى على كل شئ.

أنتم تذمرتم من كلامى بقولكم «**كيف يقدر هذا أن يعطينا جسده لنأكل**»؟ وأنا اقول إنى أعطى جسدى الحاضر لأناسٍ حاضرين، فماذا تقولون إذا رأيتمونى صعدت الى السماء يقل إيمانكم إذ تروننى أنا فماذا فى السماء وأنتم على الارض؟ ولا يزال من الواجب الضرور تأكلوا جسدى وتشربوا دمي. فإن عثرتم الآن وأنا حاضر بينكم. فكم تكون عثرتكم بى فى وجودى بالسماء عن يمين العظمة؟ فالمسيح لم يدفع ما رأوه من الصعوبة فى فهم كلامه، بل صعوبة!! (ومنْ لا يفهم. يسأل للمعرفة، ولا يهرب بجهله).

٦٣- «الروح هو الذى يُحيّى، أما الجسد فلا يفيد شيئاً. الكلام الذى أكلمكم به هو رو وحياة».

قال القديسان كيرلص وأغسطينوس وغيرَّهما إن معنى الآية: كأنه يريد أن يقول إن جس وحده لا يُفيد لحفظ من يأكله للحياة الابدية. فإن الجسد بتجرّده عن الروح لا يمنح الحياة والقي بل الروح (أى لاهوته المتحد بالجسد هو الذى يُحيّى النفس والجسد) وبهذا المعنى يُقال إن ال لا تنظر والأُذن لا تسمع، بل الروح أى النفس هى التى تنظر بالعين وتسمع بالأُذن.

قال يوحنا فم الذهب: أراد المسيح «**بالجسد**» الفهم الجسدي. فكأنه يقول إن فهمكم الجسدى ى به تظنون أنكم تقطعون جسدى وتأكلونه كلحم الضأن لا يفيد شيئاً فى الحياة الابدية، بل وح أى **الفهم الروحي**، الذى تفهمون به أنكم تأكلون جسدى متحداً بلاهوتي، تحت أعراض بز والخمر، هو الذى يُحّيِ النفس والجسد.

ولذا قال «**الكلام الذى أكلمكُم به هو روح وحياة**». **فهو** «روح» بمعنى أنه يلزم فهمه بنوع حى وسري. وهو«حياة» **بمعنى أنه** يمنح الحياة للذين يتناولونه. وكثيراً ماورد الروح والجسد عنى الروحى والجسدي. فمن ذلك قول الرسول (في٢كو٣:٦) وهو «الذى جعلنا كُفاة لأن نكون دّام عهدٍ جديد، لا الحرف. بل الروح، لأن الحرف يقتل، ولكن الروح يُحيي». وقول المسيح طرس «إن لحماً ودماً لم يعلن لك، لكن أبى الذى فى السموات (مت ١٦:١٧)» وقوله أيضاً (فى ٦:٣) «**المولود من الروح هوروح**».

والتفسير الثانى الذى ليوحنا فم الذهب أظهر وأوضح وأقرب للفهم من الأول.

والخلاصة كأنه يقول إن أَكلْ جسدى هذا وشُرْب دمي، لا يكون بنوع لحمى كما تظنون، بل ع روحي، تحت أعراض الخبز والخمر. وأكله على هذا النحو لا يُسَبب كُرّهاً للآكل، ولا يضر سده.

٦- «ولكن منكم قوم لا يؤمنون. لأن يسوع من البدء علم منْ هم الذين لا يؤمنون، ومنْ هو الذى يُسلمه.»

هذه هى علة عدم إدراكهم كلام المسيح، وتذمرّهم عليه، ووصِفهم كلامه بالصعوبة. فكأنه قال ن سبب عدم فهمكم كلامي. وقولكم إننى لا أقدر أن أعطيكم جسدى مأكلا حقاً، ليس هو من يث أن كلامى صعب، كما تزعمون، بل من حيث أن قلوبكم قاسية. ولا تريدون أت تؤمنوا بآياتى جائبى، وبأننى قادر على كل شىء».

«**لأن يسوع علم من البدء**» أى أنه يعرف مافى القلوب بقوته الإلهية. فلو لم يكن هو الله ستحال أن يعلم ذلك. وعنى بقوله «**من البدء**» منذ الأزل، على رأى البعض.

وخير درس، لكل نفس، أن يُحسّ المرء أن الله يراه، مهما أخفَّى أعماله عن الناس.

وأما يوحنا فم الذهب فقال إنه عنى به منذ بدء إنذاره وخدمته. فقد علم من البداية: «**من** **الذين لا يؤمنون**» أى الذين لا يثبتون على الإيمان به، بل يرفضونه لأقل عثرة. وعلم أيضاً **هو الذى يُسلّمه**». ويشير بهذا الى أن يهوذا الأسخريوطى كان من بين الذين لم يُؤمنوا المسيح .وقال مثلهم إن هذا الكلام صعب الفهم. وأنه منذ ذلك اليوم ابتدأ بُغضه للمسيح، ينمو فى قلبه الى أن سلمه لرؤساء الكهنة.

فلم يكن المسيح إذن مخدوعاً بقبول يهوذا ضمن تلاميذه، **بل كان عالماً بخيانته**، وقد سبْق معرفة المسيح خيانة يهوذا- أحد رُسله- كانت جزءًا من الآلام التى احتملها له المجد الأرض. وأظهر الصبر العظيم باحتماله، لأنه عرف خداعه، وظل يعلمه ويَحذَره الى ان ساعة مؤامرته الدنيئة، **والتى أفادت تنفيذ خطة الخلاص بالموت على الصليب**، والتى بتسليم يهوذا له، لزعماء اليهود. وفى ذلك مثال لخُدّام الدين بأن لا يمتنعوا عن تعليم ال وإنذارهم وتبشيرهم، حتى وإن علمنا أن بعضهم من المُرَائين، فربما يتوبون، فيما بعد.

٦٥- فقال: «لهذا قلتُ لكم إنـــه لا يقدر أحد أن يأتى اليَّ إن لم يُعطَ من أبي».

أشار بذلك الى قوله (فى ع٤٤) «لا يقدر احد أن يأتى اليه ما لم يجذبه الآب». فلم ير المخلص هنا عدم إيمان اليهود الى كَفرهم بكلامه، بل أرجعه الى عدم إعطائهم- من الآب- م الإيمان.

ولا يُفهم من ذلك أن من لا يؤمن بالمسيح لم يرتكب خطية، إذ لكل انسان النعمة ال الفعّالة ليؤمنوا بالمُخلّص. ولكنهم جعلوا نفوسهم بكبريائهم وخطاياهم الكثيرة الأخرى، مستحقين لهذه النعمة:

فاجتذاب الآب أحد الناس الى إبنه، يتضمّن إتيانه إليه بالإيمان. وأن الآب يهب له نعمة الإيمان. أما يهوذا وأمثاله فأتوا الى المسيح بأجسادهم دون قلوبهم (بدون إيمان).

وهنا نأخذ الدرس من المُخلّص، فى عدم ذم أو إدانة المُخطئ إلينا، بل نستره، ونصلى أجله، ليهدّيه الله، وليؤنبه ضميره، ليُسّرع بالتوبة، **كمريض يحتاج إلى العلاج، لا العقاب** **العتاب، كما فعل الرب.**

٦٦- «من هذا الوقت رجع كثيرون من تلاميذه الى الوراء، ولم يعودوا يمشون معه».

أى أنه من وقت الكلام الذى أكد لهم فيه المسيح أن جسده مأكل حق ودمه مشرب حق. «**رجع كثيرون من تلاميذه**» ومن هذا القول يظهر أن الذين تبعوه كتلاميذ كانوا كثيرين فى البداية. وكانوا يمكثون عنده أكثر من باقى الجمع. وكان يلذ لهم تعليمه العذب، وتكثيره الخبز. وكانوا يؤملَّون أنه يصنع عجائب أخرى كهذه.

ولما رأوه يقول «**إن لم تأكلوا جسد ابن الانسان**» توهمُّوا أنه سيعطيهم من لحمه ليأكلوا. وظنوا أنه جُنّ أو أنه يريد إقامة ثورة ضد الرومانيين. فرجعوا الى الوراء. ولم يعودوا يُرافقوَنه ويسمعوا كلامه وتعاليمه. فانفصلوا عنه أولاً، فى الباطن، ثم تركوه فى الظاهر، ورجعوا إلى منازلهم، لأنهم فشلوا فى توقع الحصول على الخيرات الجسدية (أن يكون ملكاً أرضياً وهم رعيته ووزراؤه المستفيدون بمادياته).

٦٧- فقال يسوع للإثنى عشر «ألعلكم أنتم أيضاً ترُيدون أن تمضوا؟»

لما مضى اولئك الكثيرون، بقى الرسل الإثنا عشر عند المسيح. وبينهم يهوذا. فإنه لم يمضِ لخجله من الذهاب دون الرسل. ورغبةَ منه فى إعالة المسيح له مادياً وفى السرقة، لأنه كان عنده الصندوق، وكان يستولى على معظم ما فيه.

ولم يسألهم المسيح بقوله «ألعلكم أنتم أيضا تريدون أن تمضوا»؟ ليعرف قصدهم «لأن يسوع من البدء علم منْ هم الذين لا يؤمنون» ولكن ليمتّحن إيمانهم. وليحملّهم على الإقرار بأمانتهم (إيمانهم به).

وقال يوحنا فم الذهب «سألهم ليُبيّن عدم احيتاجه إليهم. وأن يستدعيهم بواسطة هذا الإقرار الى المكوث معه، لأن شأُن الطبع البشرى أنه يتبع ما يُنهَى عنه، وينتهى عما أُنِكر عليه. وبهذا السؤال تمكنت المحبة بينهم».

وقيل إن المسيح رغب بهذا السؤال أن يُظهِر أسفَه وألمه من ترك بعض تلاميذه إياه. ورغبته فى أن يسمع من أصدقائه الأُمناء إقرارَهم بخلُوص موَّدتهم، وأمله وثقته فى أن يثبتوا على أمانتهم له. وإرادته أن لا يتبعه أحد بدون إرادة خالصة. وتركه لكل إنسان الحرية أن يختار بقاءه معه أو تركه إياه، وبدون ضغط منه.

٦٨- فأجابه سمعان بطرس«يارب إلى منْ نذهب؟! كلام الحياة الأبدية عندك».

قال يوحنا فم الذهب- وغيره من آباء الكنيسة- إن سمعان أجاب بالنيابة عن جميع ا ويتضح هذا من قوله «نذهب» بضمير الجمع. وكان من عادته أن يسبق الآخرين وينوب بإظهار مشاعره. وكان أكبر سناً من سائر التلاميذ، فلاَقَ لذلك أن ينوب عنهم فى التعبي أفكارهم.

وكأن به يقول إننا يارب قد تركنا كل شيء فى سبيل إتباعك. ولم نندم. ولا نعرف معلم مثلك. ولا نود غيَّرك. فإننا فيك وجدنا كل ما نحتاج اليه. فالذهاب بعيداً عنك ذهاب إلى ال والشقاء واليأس. فإلى منْ نذهب «**وكلام الحياة عندك**».

إن كلامك يارب هو العذب، والمُحيى، لأنك تعِّدنا بالحياة الأبدية إن أكلنا جسدك وشربنا فالحياة الأبدية تعطيها أنت لمْن تشاء. فكيف نسأل عنها غيرك؟.

وربما كان بطرس لم يفهم بعد، كلام المسيح عن أكل جسده وشُرْب دمه، تمام الفهم يدرك ذلك إلا بعد موت المسيح وقيامته وصعوده وحلول الروح القدس عليه، وعلى سائر الت لكنه أقر يومئذ أنه كلام حق. وأنه يجب أن يُسمَع ويُطاَع.

٦٩- «ونحن قد آمنّا وعرّفنا أنك أنت المسيح ابن الله الحّي»

قوله «**نحن قد آمنا وعَّرفنا**» دليل واضح أنه تكلم نيابة عن الباقين.«وتأكدنا أنك أنت مَسَحه الله ملكاً وكاهناً ونبياً لشعبه. وإيماننا بك وطيد ومعرفتنا بك يقينية».

«فلا نُبالى بأن البعض شك فيك وتركك. فإننا لسنا مثل هؤلاء البعض الغير مؤمنين. فأنت **الله الحى**» وأنك والآب واحد، ومن رآك فقد رأى الآب. وأنت تُحيّى منْ تشاء. وأنت المسيح الم لخلاص العالم».

٧٠- اجابهم يسوع: «أليس إنى أنا اخترتكم الإثنى عشر، وواحد منكم شيطان».

أراد المسيح بهذا القول إصلاح كلام بطرس. وكأنه يقول أجبت يا بطرس بالنيابة عن الرسل بأنهم جميعهم يؤمنون. ولكن الأمر ليس كذلك، فإنه يوجد «**واحد منكم شيطان**»

تحق ان يُلقّبَ «**بالشيطان**» لأنه يُظِهر نية الشيطان ويعمل إرادة الشيطان. ولأن صفاته صفات الشيطان، لأنه متصف بالطمع والخداع والرياء والكراهية. فهو من أتباع الشيطان.

وهذا الكلام قاله المسيح قبل أن يُسلّمه يهوذا بنحو سنة. وهذا دليل على أنه منذ البداية لم ن تلميذاً أميناً. وغاية قول يسوع عن يهوذا هو إيقاظ ضميره، وإرشاده الى التوبة. وحث كل لاميذ على السهر (الروحى) ومنعهم من ظنهم أنه جهل ضمير يهوذا وخُدِع به، عند خيانته (فى ستان).

٧- «قال عن يهوذا سمعان الأسخريوطى، لأن هذا(التلميذ) كان مُزمِعاً أن يُسلّمه، وهو واحد من الإثنى عشر».

هذا من كلام (تعليق) الإنجيلى يوحنا الحبيب، أراد أن يقى به شرف باقى الرسل. لئلا يظن د أن الشيطان غيرَّ يهوذا. والعلة فى تسميته شيطاناً هي- كما قلنا- أنه فعل إرادة الشيطان من ليمه الرب يسوع، لأنه شتّان ما بين وظيفته الرسولية، التى تستوجب الأمانة حتى الموت، وبين فعله، الخيانة التى هى من صفات الشيطان.

❖❖❖

الإصحاح السابع

١- «وكان يسوع يتردَّد بعد هذا فى الجليل. لأنه لم يَرِد أن يتَردد فى اليهودية، اليهود كانوا يطلبون أن يقتلوه».

«**بعد هذا**» أى بعد ما ذُكِر فى (ص٥وص٦) من بَرَكة الخبز والسمك، وكلامه عن أكل وشرب دمه، تحت أعراض الخبز والخمر. وقال المفسرون إنه لم يكن تردده فى الجليل «بع حالاً، بل بعد ستة شهور حصلت فى خلالها جملة حوادث، ذكرها متى (فى ص١٥- ص١٨و فى ص٧- ص٩) ولم يذكرَّها يوحنا إكتفاءً بذكر الإنجيليين الآخرين لها.

بعد هذا «كان يسوع يتردَّد فى الجليل» ليُعلّم ويصنع المعجزات ويُبشر بملكوت السمو

«**لأنه لم يتردَّد فى اليهودية**». وهى القسم الجنوبى من فلسطين «لأن اليهود» و «الرؤساء» هم الذين كانوا مملوئين حسداً وبُغضاً ليسوع ، و«**كانوا يطلبون أن يقتلوه**» حفظه السبت كعادتهم، ولقوله إن الله أبوه. ولم يخف يسوع اليهود، ولم يرهب الموت، ي أن **يُعلمّنا الإبتعاد عن الخطر، والفرار من المضطهدين، حيثما تقضيه الفطنة والح** هكذا فسر يوحنا فم الذهب.

٢- «وكان عيد اليهود: عيد المظال قريباً».

عيد المظال: هو أحد الاعياد الثلاثة العُظمى، التى أمر الله كل الذكور أن يحضروا في أورشليم. وُيسَّمى هذا العيد أيضاً بعيد الحصاد وعيد الجمع (خر٢٣:١٦). وهذا العيد فرض على بنى إسرائيل تذكاراً لسكنهم فى الخيام فى البرية أربعين سنة. وشكراً لله على إنتاج ا كالحنطة والخمر والزيت. وكانوا يسكنون مدة العيد- وقدرها ثمانية أيام- فى المظال التى يقيمونها على سطوح البيوت، وفى الساحات التى بين الدور وفى فناء الهيكل.

٣- فقال له إخوته «انتقل من هنا واذهب الى اليهودية لكى يرى تلاميذك أيضاً أعم التى تعمل».

«**إخوته**» أولاد كلوبا أخو يوسف النجار، وهم يعقوب ويوسى وسمعان ويهوذا٠ (كما يتض

٥٥:١٣) هؤلاء قالوا ليسوع «انتقل من هنا» أى من الجليل «**واذهب إلى اليهودية**» وخاصة ...ليم، حيث يجتمع الألوف من اليهود من كل مكان، ليحضروا العيد «لكى يرى تلاميذك» أى ...ذين يتبعونك ليس من اليهودية فقط، بل من سائر الجهات يرون هناك «**أيضاً أعمالك التى** ...**ل**» اى المعجزات التى تصنعها، أولَى من أن تبقىً هناك لا يراك الا الجليليون. وفى نصيحة ... الإخوة نوع من الاستخفاف بيسوع!!.

«لأنه ليس أحد يعمل شيئاً فى الخفاء، وهو يريد أن يكون علانيةً. إن كنتَ تعمل هذه الاشياء فاظهر نفسك للعالم».

كأنهم يقولون له. لماذا تبقى خاملاً ولماذا تظل مختفياً فى الجليل بعيداً عن الهيكل وقاعدة ...ودية أورشليم ومركز الدين والأمة، وتصنع المعجزات العديدة فى مدن حقيرة. فيجب أن ...ى إلى أورشليم حيث يجتمع الآن الناس من كل مكان لعيد المظال «**فاظِهر نفسك للعالم**» ... إذا عملتَ هذه المعجزات الباهرة والأعمال السامية هناك تشهر نفسك وينتشر صيتك فى كل ...ات بواسطة الألوف المجتمعين فى العيد. فإنهم ينشرون أخبارك فى أوطانهم التى يعودون ... بعد العيد. فيثبت المؤمنون بك ويُقبِل الى الايمان بك غيرهم من الشعب، بل من الكهنة ...ؤساء اليهود أيضاً.

«لأن إخوته أيضاً لم يكونوا يؤمنون به»:

...حرض يسوع إخوته ليمضى معهم إلى أورشليم، لأنهم لم يكونوا يؤمنون أنه المسيح المنتظر، ...م لو كانوا يؤمنون به كذلك لاحتُرموه، وما كانوا يلومونه. فمع كُونهم رأوا كثيراً من معجزاته ...يرتابوا فى صحتها، لكنهم ظلوا مرتابين فى الايمان به. فحرضوه ليذهب الى أورشليم، حتى ...ص الكهنة والكتبة أعماله، ويحكموا بأنه المسيح، فيُكرَم هو وهم بواسطته، لانهم إخوته (أبناء ...ه مريم زوجة كلوبا، وأخت أم النور) (يو١٩:٢٥).

فقال لهم يسوع «إن وقتى لم يحضر بعد. وأما وقتكم ففى كل حين حاضر».

...ال يوحنا فم الذهب «يريد يسوع بالوقت فى قوله: **وقتى لم يحضر بعد**». «الوقت المُعّين ...به للموت ذبيحة من أجل العالم. وقيل إن المُرَاد به الوقت المناسب لصعوده الى العيد، كما

طلب إخوته. وعليه يكون المعنى «إننى سأصعد الى العيد بأورشليم، ولكن ليس الآن، بل بعد أربعة أيام».

«ولا أريُد أن أصعد علانية مع الصاعدين، لأن صعودى علانيةً يُهيّج حسد الرؤساء وبُغ لي. ولو أجبتُ طلبكم وأعلنتُ نفسي، لأقتَّضى ذلك أن أموت قبل الوقت المعين، وقبل تتميم ا الخلاصى، الذى من أجله أتيت».

«**وأما وقتكم ففى كل حين حاضر**» أى أما أنتم فلستم مُقيدَّين بوقت مُعيّن. فلكم أن تـ كسائر الناس بلا مُعارض، وصعودكم الى العيد علانية لا يهيِّج حسد أحد من الناس ضدكم»

٧- «لا يقدر العالم أن يُبغضكم، ولكنه يُبغضنى أنا، لأنى أشهد عليه أن أعما شريرة».

كأنه يقول لهم «أنتم لستم مضطرين أن تُوبخُوا العالم على خطاياه وتشهدوا عليه إن أ شريرة، فيمكنكم أن تذهبوا حيث شئتمٌ، وفى أى وقت شئتم، غير مُبالين بحسد اليهود أو ال والرؤساء، لأنهم لا يقدرون أن يبغضوكم مادمتم لا توبخونهم على خطاياهم».

«**وأما أنا فالعالم يبُغضّنى ، لأنى أشهد عليه إن أعماله شريرة**». فأمرى خلاف أم فان العالم يبغضنى لأننى وبختهم على شرورهم وآثامهم، لأن الذين يحبون الظلمة يُبغضون ا طبعاً. لأن النور يُظِهر لهم خطيتهم ويحمل ضمائرهم على إيلامهم فيُهيجون على الذى أ خطاياهم ويُقاومونه».

٨- «اصعدوا أنتم إلى هذا العيد. أنا لستُ أصعد بعدُ الى هذا العيد، لأن وقتى لمَ يكمُ بعد».

أى اذهبوا أنتم مع الصاعدين الى أورشليم، إذ لا خوف عليكم. «**وأنا لستُ أصعد بعدُ**». ف لا أُريد أن أصعد الآن معكم علانية، بل أنتظر خمود غضب اليهود، الذين ينتظرُونَنى ليقتَلوني، «**وقتى لم يَكّمُل بعد**» أى أما الوقت الذى أصعد فيه الى أورشليم علانية، فلم يكمل بعد. و كماله أدخُل المدينة باحتفالٍ عظيم. أما هذه الدفعة فسوف أصعد فى الخفاء، وذلك بعد نحو أر أيام (كما يتبيَّن من ع١٤).

٩- «قال لهم هذا ومكث فى الجليل».

قلنا فى تفسير (ع٢) من هذا الاصحاح إن مدة عيد المظال هى ثمانية أيام. وعرفنا (من ع١٤) من هذا الاصحاح أيضاً أن يسوع ذهب الى أورشليم. وكان يُعّلم فى الهيكل فى منتصف العيد المذكور. فيكون قد مرَّ أربعة أيام من الثمانية. وبالتالى تكون المدة التى أقامها فى الجليل بعد ذهاب إخوته لأورشليم، هى نحو أربعة أيام.

١٠- «لما كان إخوته قد صعدوا، حينئذ صعد هو أيضاً الى العيد، لا ظاهراً بل كأنه فى الخفاء».

لم يذهب يسوع ظاهراً مع إخوته، ومع بقية الصاعدين من الجليل، بل ظل نحو أربعة أيام. ثم ذهب صاعداً الى أورشليم «**كأنه فى الخفاء**». وقد أظهرَّ المسيح غاية الحكمة فى ذهابه هكذا، لانه لو مضى مع القافلة لتعذَّر عليه أن الشعب الذى شاهد معجزاته، من المناداة به ملكاً. وغالباً هذه المناداة تكون سبباً فى تهيّيج رؤساء اليهود عليه، فيلقون عليه الأيادى ليقتلوه قبل الوقت. وأيضاً ذهب فى الخفاء ليتجّنب شُهرَة الصعود مع الجماهير الكثيرة، ليُعلّمنا الإبتعاد عن محبة الكرامة والعظمة العالمية.

١١- فكان اليهود يطلبونه فى العيد ويقولون «أين ذاك؟!»

المقصود باليهود هنا، خاصة الكتبة والكهنة والفريسيين. فهؤلاء هم الذين كانوا يحاولون قتل المسيح. قال يوحنا فم الذهب «ما أعظم جُرم اليهود، وماأفظع إثمهم، بطلبهم يسوع يوم العيد، ليقتلوه عوضاً عن طلبهم إياه ليؤمنوا به تقديساً للعيد!!».

١٢- «وكان فى الجموع مناجاة كثيرة من نحوه. بعضهم يقولون «إنه صالح» وآخرون يقولون «لا بل يُضّلِ الشعب». ١٣- ولكن لم يكن أحد يتكلم عنه جهاراً، لسبب الخوف من اليهود.

أى حدثت مباحثة (حوارات) بشأن يسوع. فالبعض يقولون «**إنه صالح**» وهؤلاء هم أصحابه وأصدقاؤه الذين عرفوه فى الجليل واليهودية، وأكرموه وتبعوه. ولكنهم مع ذلك لم يستطيعوا أن يشهدوا بأنه المسيح والملك المنتظر، كما اعتقدوا فيما سبق، ولكنهم لخوفهم شهدوا فقط إنه صالح، بينهم وبين أنفسهم.

«**وآخرون يقولون لا بل يُضّل الشعب**» هؤلاء الأعداء، وهم أصحاب الرؤساء والكتبة والفريسيين. وكانت قوة الرؤساء شديدة، وتأثيرهم على الشعب عظيماً، حتى لم يجسُر أحد من أصحاب يسوع ولا من تلاميذه «**أن يتكلم عنه جهاراً**» بل الجميع كانوا يخافون أن يتناقشوا فى دعواه علانيةً. فكانوا يناجون بعضهم بعضاً، والخوف يملأ قلوبهم من رجال الدين.

١٤- «ولما كان العيد قد انتصف صعد يسوع الى الهيكل وكان يُعلّم».

أى بعد مرور أربعة أيام، صعد يسوع خفية إلى أورشليم. ودخل الى أورشليم بغتة. وكان حضوره بهذه الصورة أكثر أَمناً، لأن الرؤساء خافوا أن يقاوموه فى وسط الجموع، لئلا يحصل شغب فى الشعب فى العيد (مت ٢١:٤٦).

«**وكان يُعّلم**» لم يقل يوحنا الانجيلى ما هو الموضوع الذى كان الرب يُعلمّه للشعب. ولعله فسّر لهم بعض النبوات المتعلقة بالمسيح المنتظر، وبينّ لهم أنها تمت فى شخصه.

١٥- فتعجب اليهود قائلين«كيف هذا يعرف الكُتب وهو لم يتعلَّم؟».

قال يوحنا فم الذهب: «إن اليهود لم يتعجَّبوا من تعليمه لسموه ولم يتعجبوا التعجب الذى يقود الى التسليم بصحة ذلك التعليم، بل تعجُّب الحِيَرة، والدهشة التى أبكمتهم، لرؤيتهم كلامه علمياً غير معتاد، وفائق الإدراك، وهو لم يتعّلم فى مدارسهم».

«وكان يجب عليهم أن يستنتجوا من حكمة تعليمه، ومن كون تعليمه أحسن من تعليم علمائهم الذين انشغلوا السنين الكثيرة فى الدرس والبحث، إنه المسيح الكلمة المُتجَّسد. ولكن أعماهم البُغض، فلبثوا يتعجبون ولا يفحصون. أما جوابنا على سؤالهم «**كيف أن هذا يعرف الكُتب، وهو لم يتعلم**»؟ أنهم لم يعلموا أنه هو الله، الذى ألَهَم الانبياء بما فى هذه الكتب المقدسة.

١٦- أجابهم يسوع وقال «تعليمى ليس لي، بل للذى أرسلني».

كأنه يقول إن تعليمى لم أبتدُّعه من نفسي، ولم أخترَعه، ولم أكتسبه، بل علمى هو علم الآب. فليس هو لى وحدي، حتى إذا قبلتموه تكونون قبلّتم مجرد كلامي، وإن رفضتموه تكونون رفضتُم مجرد كلامي، لكن تعليمى هو تعليم الآب، لأنى أنا والآب واحد. وهذا مثل قوله «لا يقدر الإبن ان

يعمل من نفسه شيئاً إلاَّ ما ينظر الآب يعمل» (ص١٩:٥)، ومثل قوله «وأعطاه سلطانا أن يُدين أيضاً لأنه ابن الانسان» (ص٢٧:٥) فراجع تفسير هذين العدين فى مكانهما.

١٧- «إن شاء أحد أن يعمل مشيئته يعرف التعليم، هل هو من الله أم أتكلم أنا من نفسي؟!»

قال يوحنا فم الذهب: المُرَاد بقوله «**مشيئته**» مشيئة الآب. ومشيئة الآب هنا وصاياه. فمن تممَّها أحبّ الآب. ومنْ أحب الآب أحبَّ الإبن المُرسل منه بالضرورة. ومن أحبَّ الإبن يعلم يقيناً أن تعليمه مطابق لمشيئة الآب، ويؤمن به، لرغبته فى حفظ وصايا الآب، التى يُشير بها المسيح، لكن رذائل اليهود أعمتّ قلوبهم عن فهم مشيئة الآب ومعرفة تعليم المسيح، لأن معظم الكُفْر فى العالم ميل القلب الى الباطل، أكثر من ميله الى الحق.

فلو كانت قلوب اليهود مستعدة لقبول الحق، فلهم براهين كثيرة لإقناعهم، ولكن كانوا مائلين الى تكذيب الحق، فهان عليهم يروا الحق كذباً. وهذا دليل على أنهم كانوا يُحبُّون الرذائل. فلذلك رفضوا تعليم المسيح.

١٨- «منْ يتكلم من نفسه يطلب مجد نفسه. وأما منْ يطلب مجد الذى أرسله فهو صادق وليس فيه ظلم».

فى هذا العدد برهان على صحة ما قاله فى العدد السابق، وهو أنه مُرسّل من الله، وأن تعليمه ليس بشرياً، بل إلهياً. فأعطاهم علامة يُميزّون بها المعلم المُرسل من الله والمُعِلم الآتى من نفسه. فقال إن «**منْ يتكلم من نفسه يطلب مجد نفسه**» أى أنه يحب ذاته ولا يُهمّه إلا مجد نفسه، مثل الفريسيين. «**وأما منْ يطلب مجد الذى أرسله فهو صادق وليس فيه ظلم**». لأن موافقة مشيئته لمشيئة الله تحفظه من كل ميل الى الضلال.

١٩- «أليس موسى قد أعطاكم الناموس؟ وليس أحد منكم يعمل الناموس؟ لماذا تطلبون أن تقتلونى؟!».

اتهم اليهود المسيح بأنه نقض شريعة السبت. فأخذ يدحض شكوَّاهم قائلاً «إن موسى أعطاهم الناموس، ومن ضمنه حِفظ يوم السبت. فأنتم تشكوني، وترغبون فى قتلي، لأنى شفيّتُ المخلع

(المُقعَد) فى السبت، بصفتى مخالف للناموس، وأنتم تتجاوزون وصية السبت فتفعلون ما فعلته أنا، لعلة دون العلة التى حملتنّى على الفعل فى ذلك اليوم. وما يرد فى الأعداد ٢٠-٢٤، يساعد على فهم هذا النص:

٢٠-أجاب الجمع« وقالوا بك شيطان. منْ يطلب أن يقتلك؟»

ان جواب الجمع بقولهم للمسيح «**بك شيطان**» لم يكن عن حقد مثل الفريسيين، بل عن شفقةً. فكأنهم يقولون «إنك واهِم فيما تظن. لأنه لا يوجد واحد يطلب قتلك، والذى أُدَّخل فى عقلك هذا الوْهم هو الشيطان ووساوسه. وكان حكم الجمع على المسيح حسب أميال قلوبهم. فإنهم ما كانوا يعلمون أن قصد الرؤساء قتله، وما كان يخطُر ببالهم أن منْ يفعل الخير مثله - بمعجزات باهرات- يستحق القتل.

٢١- أجاب يسوع وقال لهم «عملاً واحداً عمّلتُ، فتتعجبون جميعاً»؟!

العمل الواحد الذى أشار اليه المسيح هو إبراؤه المُقعَد (المفلوج) يوم السبت (ص٥:١- ٨) واعتبر عمله يوم السبت بكونه واحداً، ليُظهّر الفرق بين عمله وعملهم. لأنه أتى ذلك مرة واحدة. أما هم فعملوه مراراً لا تُحصى، ويفعلونه دائماً. وقوله «**فتتعجَّبون جميعاً**». أى إغتظتم غيظاً شديداً، كأنى ارتكّبتُ ذنباً فظيعاً يستوجب الموت.

٢٢- «لهذا أعطاكم موسى الختان. ليس أنه من موسى بل من الآباء. ففى السبت تختنون الإنسان».

«لهذا» أى من أجل تعجبكم من إبرَائى المخّلع يوم السبت، ولكى أوضَّح لكم إن عمل الخير- الضرورى للإنسان فى السبت- لا يُنقض وصية السبت. أورِد لكم برهاناً من موضوع الختان، الذى تصنعونه يوم السبت. ومعلوم ان الختان «ليس أنه من موسى بل من الآباء» أى أن موسى أدخل الختان بين ما أمرهم به من الوصايا، مع أن الله أمر به الآباء الذين كانوا قبل موسى. فأمر به أولاً إبراهيم، وهذا علّمه لإبنه إسحق، واستلمه منه يعقوب. وهذا سلَّمه للآباء الإثنى عشر. وقد أمر الله إبراهيم أن يختن المولود فى اليوم الثامن من ولادته، حتى وإن كان سبتاً. وهذا معنى قوله «**ففى السبت تختنون الانسان**».

٢٣- «فإن كان الانسان يقبل الختان فى السبت لئلا يُنقض ناموس موسى افتسخطون عليَّ لأنى شفيت إنساناً كله فى السبت؟!»

أى أنه إذا كان السبت اليوم الثامن من أيام الولادة، فلابُدّ من ختان الطفل فيه «**لئلا يُنقَض ناموس موسى**». أى أنه يجوز نقض شريعة السبت لكى لا تنقض شريعة الختان. فإذا كان عمل الختان، وهو عمل مُتعِب ويجوز بل يؤمر بعلمه يوم السبت، فلماذا «**تسخطون علىّ لأنى شفيت إنساناً كله فى السبت**» مع إننى شفيت هذا الانسان الذى أتعبه المرض منذ ثمانٍ وثلاثين سنة، بكلمة واحدة. وقوله «إنساناً كله» يشير الى أنه شفى المقعد نفسا وجسدا وروحا.

والخلاصة إنكم سلمتم أيها اليهود بجواز الختان يوم السبت. فإن كان الختان جائزاً يوم السبت، فبالأَّولى شفائى المفلوج فى ذلك اليوم أمر جائز جداً (يوم السبت).[1]

٢٤- «لا تحكموا حسب الظاهر، بل احكموا حُكماً عادلاً».

أى لا تحكموا أيها اليهود بلا ترو وإمعان، ولا تحابوا فى أحكامكم. فإنكم تتذمرون علَّى بالإدعاء بمخالفة وصية السبت بابرائى مفلوجاً، لكن لو حكمتم حكماً عادلاً، ولم تحكموا حسب الظاهر، لكنتم رأيتم أن عملى هذا يستحق المدح لا اللوم (عمل خير يوم الرب).

ولاجل أن يكون حُكمكم عادلاً، يجب أن تنظروا الى كل أحوال الأمر، والأسباب الموجبة له، بلا هوىً ولا تعصّب. وتأملوا فى ما تلزم شريعة السبت، به وفى ما تُبيْحه من الأعمال الضرورية، وعمل الرحمة بالذات.

٢٥- فقال قوم من أهل أورشليم «أليس هذا هو الذى يطلبون أن يقتلوه؟!».

حكم الذين كانوا من غير أورشليم أن المسيح واهم فى قوله إن اليهود يطلبون أن يقتلوه، ولكن أهل أورشليم كانوا يعرفون قصد الرؤساء، فاعترفوا بالحقيقة وقالوا «**أليس هذا هو الذى يطلبون أن يقتلوه**»؟ أى: هذا هو حقيقة الذى يطلب الرؤساء قتله. فالاستفهام هنا استنكارى.

(١) وقد ذكر الرب أنه كان يحل كل واحد ثوره أو حماره، فى السبت ويسقيه (لو١٣)، وإن سقط حمار أو ثور فى بئر يوم سبت، يتم إنتشاله (لو١٤)، فلم يستطع اليهود الرد على منطق الرب.

٢٦- «وها هو يتكلم جهاراً ولا يقولون له شيئاً. ألعل الرؤساء عرفوا يقيناً أن هذا هو المسيح حقاً؟».

أى أن من العجيب أن الذى طلبوا قتله، ها هو حُر فى أن يفعل ويُعَّلم كما يشاء بكل مجاهرة. ولم نرَ الرؤساء يستطيعون أن يمنعوه او يهددوه او يعترضوه بكلمة.

فيستدل من هذا أن الرؤساء «**عرفوا يقيناً أن هذا هو المسيح حقاً**». أى لابُد أن هؤلاء الرؤساء قد غيرُّوا أفكارهم، ووجدوا براهين قاطعة تُثبت أن يسوع هو المسيح. ولذلك تركوه فى حرية، ولم يتعرّضُوا لقتله فى ذلك الوقت.

٢٧- «ولكن هذا نعلم من أين هو؟ وأما المسيح فمتى جاء لا يعرف أحد من أين هو؟»

أى نحن نعرف أباه يوسف وأمه مريم، ونعرف مكان ميلاده وسكنه «وأما المسيح فمتى جاء لا يعرف أحد من أين هو؟» اى أن تقاليد آباءنا تعلمنا ان أصل المسيح يكون سراً مكتوماً. وأنه لا يُولد كسائر الناس، وأنه يُختَطف حالاً، بعد ولادته، بعيداً عن نظر الناس. ويبقى متوارياً عن أبصار الناس، ثم يظهر فى الهيكل بغتةً.

وإن آباءنا يستندون فى ذلك على قول اشعياء(٨:٥٣) وهو «وفى جيله منْ كان يظن أنه قُطِع من أرض الأحياء»- هذه مزاعم اليهود، وهى مبنّية على تقاليد آبائهم. أما نبوات الكتاب فكلها تشهد أن هذه المزاعم فاسدة، لأنها مبنية على تقاليد فاسدة.

٢٨- فنادى يسوع وهو يُعلّم فى الهيكل قائلاً «تعرفوننى وتعرفون من أين أنا، ومن نفسى لم آتِ، بل الذى أرسلنى هو حق، الذى أنتم لستم تعرفونه».

«**فنادى يسوع**» (أى صاح) ليُبيّن إنه عالم بما كانوا يعنون من قولهم نحن«**نعلم من أين هو**»، ولكى يدعو الجمع الى الانتباه لقوله «**تعرفوننى وتعرفون من أين أنا**»، فإنكم تعلمون ميلادى وعرفتم إنى كنت ساكناً فى الناصرة، وإنى معتبرُ ابن يوسف، ولكن هذه المعرفة ناقصة، لأنكم تجهلون إنى من السماء، وإنى مُرسَّل من الله. هكذا فسر يوحنا فم الذهب.

وقد علمتم بما أنبأتكم به من قبل إننى «من نفسى لم آتِ» لأننى لم أطلب مجد نفسي، كما يفعل الذي يأتى من نفسه و«**الذى أرسلنى هو حق**»، أى أن الله الآب هو حق، ومصدر الحق. وهو الذى وعدكم بمجيئِ، وقد أنجز وعده. وشهد بلسان يوحنا المعمدان، ثم بصوت مسموع من السماء، ثم بالمعجزات التى عملتها.

وهذا الآب «**لستم تعرفونه**». فما دُمتم لا تعرفون حقيقة الآب ولا حقيقة مقاصده ولا روحانية ملكوته، فلا ريب أنكم لا تعرفون الإبن المُرسّل منه- وقيل إن المعرفة فى قوله «**لستم تعرفونه**» المُرَاد بها الطاعة والمحبة. فكأنه قال «أنتم لا تُطيعون الله الآب ولا تحبونه، فكيف تطيعون المسيح المُرسَّل منه؟!».

٢٩- «أنا أعرفه لأنى منه، وهو أرسلني».

أى بما إنى كلمة الله ومساوٍ له فى الجوهر،«**فأنا أعرفه**» المعرفة الكاملة،«لأنى منه» أى مولود منه منذ الأزل، لأن الكلمة هو الله. «**وهو أرسلنى**» متجسداً من الروح القدس ومن مريم العذراء، لأخبر به الناس.

٣٠- «فطلبوا أن يمسكوه. ولم يُلّقِ أحد يداً عليه، لأن ساعته لم تكن قد جاءت بعد».

قال يوحنا فم الذهب «إن الذين أرادوا أن يمسكوا المسيح هم الرؤساء» وقال البابا كيرلس (عمود الدين) هم البعض من الشعب، لمعرفتهم أن ذلك وفق قصد الرؤساء. والذى هُيّج غضبهم عليه هو قوله «إنهم لا يعرفون الله».

ولكن «**لم يُلّقِ أحد يداً عليه**». أى لم يستطع أحد أن يمد يده إليه، لأنه قيد أيديّهم من أن تمد اليه، كما سد أفواه الأسود، عن أن تأكل دانيال. والسبب فى منعهم هو إن «ساعته لم تكن قد جاءت بعد». أى أن الوقت للآلامه وصلبه لم يكن قد جاء، وهذا يدل على أنه بإرادته أسلَّم نفسه، وبإرادته تألم ومات على الصليب، فى الوقت المحدد من السماء.

٣١- فآمن به كثيرون من الجمع، وقالوا «ألعل المسيح متى جاء يعمل آيات أكثر من هذه التى عملها هذا؟!».

إن الذين آمنوا بيسوع كانوا «**من الجمع**» وليس من كبار رجال الشعب، ولا من الرؤساء، لأن الشعب كان أكثر بساطة وإخلاصاً، ورغبة فى الخلاص، من الكتبة والفريسيين.

والذين آمنوا «قالوا ألعل المسيح متى جاء يعمل أكثر من هذه التى عملها هذا؟»، أى إذا كان المسيح سوف يأتى أيضاً فهل يصنع من المعجزات أكثر مما يصنع يسوع؟ كلا. فإذن لماذا لا نعترف أن هذا هو المسيح؟ ولماذا ننتظر آخر لا يتأكد مجيئه؟. ومضمون كلامهم، أن ما فعله يسوع هو برهان قاطع أنه المسيح الموعود به فى كتب العهد القديم.

٣٢- «سمع الفريسيون الجمع يتناجون بهذا من نحوه، فأرسل الفريسيون ورؤساء الكهنة خُداماً ليمسكوه».

إن الذين تطوَّعوا أولاً ليُمسكوا يسوع كانوا من أفراد الشعب(ع٣٠) ولكن الذين أرادوا هذه المرة أن يمسكوه، هم رؤساء الكهنة والفريسيون. أما الأمر الذى سمعه الرؤساء والفريسيون، ومن أجله أرادوا ان يمسكوه، فهو تَأثير تعاليمه ومعجزاته تأثيراً شديداً ألجأ الجمع أن يقولوا «ألعل المسيح متى جاء يعمل أكثر من هذه التى عملها هذا»؟ فخافوا أن تنقص قوتهم من زيادة إحترام المسيح، فأرسلوا الخُدّام لإلقاء القبض عليه. ويُرَّجح أنهم وجدوا الفرصة مناسبة.

٣٣- فقال لهم يسوع «أنا معكم زمانا يسيراً بعد، ثم أمضى الى الذى أرسلنى. ٣٤- ستطلبوننى ولا تجدونني، وحيث أكون انا لا تقدرون أن تأتوا».

كأنه يقول لكل الجمع من خُدام الرؤساء وغيرهم، إنه قد بقى لى وقت قصير للتبشير، أى ستة شهور، وهى المدة من عيد المظال الى عيد الفصح. وبعدها أمضى الى الذى أرسلنى (أى أُصَلب وأَموت) ثم أقوم وأصعد الى ابي- وكل ذلك يكون بمشيئتى وحُريّتى واختباري- وبما أن المدة الباقية يسيرة، فيجب ان تغتنموها لتتعلموا منى. وأعلموا انكم لا تستطيعون أن تقبضوا عليّ لأن زمان موتى لم يأتِ بعد.

وقوله «**ستطلبوننى ولا تجدونني**» معناه إنكم متى سمعتم بعد موتى إنى قمتُ وأن تلاميذى يعملون العجائب. فتطلبوننى حينئذ لتعيدوا إسمى وديانتى، فلا تجدوننى إذ أكون قد صعدت إلى السماء. وإن أضرّرتُم برُسلي، فأقيم غيرهم مكانهم فينشرون تعاليمى فى العالم، رغماً عنكم.

وقيل إن معناه: إنكم أيها اليهود ستظلون تتوقعون مجيء المسيح الموعود به وتشتهونه بغاية الشوق وتنتظرونه مَلِكاً زمنياً ومنقذاً عالمياً فلا تجدونه، لأنه يكون فى السماء. فتتْرَكون فى حالة اليأس والعجز، لأنكم تركتمونى أنا ابن الله، «**وحيث أكون أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا**».

فإنكم إن بقيتُم على ما أنتم عليه -- من عدم التوبة وعدم الايمان- لا تقدرون أن تشتركوا فى أفراح السماء وأمجادها، حيث أكون أنا على الدوام مع أبي، لأنى مساو له فى الجوهر. فإن شئتم أن تكونوا معي، اطلبونى بالتوبة والإيمان.

٣٥- فقال اليهود فيما بينهم «إلى أين هذا مُزمع أن يذهب حتى لا نجده نحن؟ ألعله مُزمع أن يذهب الى شتات اليونانيين ويُعلّم اليونانيين؟ ٣٦- ما هذا القول الذى قال: ستطلبوننــى ولا تجدونــي، وحيث أكون أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا؟».

لم يفهم اليهود كلام المسيح «**أمضِى إلى الذى أرسلني**». مع أنه قال مراراً إنه **مُرسَل** من الله. وإنه والآب واحد، ولكن أذهانهم كانت غليظة بسبب أميالهم الجسدية.«وشتات اليونانيين» يُراد بهم اليهود المتغربون فى المناطق اليونانية.

فكأنهم قالوا «يظهر إنه لما لم ينجح فى إنذارنا، سيمضى الى اليهود الذين فى الشتات، فيبشرّهم مع اليونانيين، أى الامم الوثنية». قالوا ذلك على سبيل التهكُّم والإستهزاء، لأنهم لم يُدركوا معنى قوله «**ستطلبوننى ولا تجدوني، وحيث أكون أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا**».

٣٧- وفى اليوم الاخير العظيم من العيد وقف يسوع ونادى قائلاً: «إن عطش أحد فلْقبِل اليَّ ويشرب».

«**اليوم الأخير**»، هو اليوم الثامن من أيام عيد المظال. وسموه «العظيم» لكثرة المحتفلين فيه، ولأنه يوم اعتكاف لا يعملون فيه عملاً. فى هذا اليوم «**وقف يسوع**» ليراه ويسمعه الجمع والخُدَّام، والمُرسلون للقبض عليه.

«**ونادى**» بصوت عالٍ ليدل على رغبته فى التعليم سائر المجتمعين وعدم خوفه. فقال «إن عطش أحد فليقْبل إليَّ ويشرب» هنا. أنزل المسيح نفسه منزلة الصخرة التى شرب منها عطاش اليهود فى البَّرية، والتى قال عنها بولس الرسول(فى ١كو١٠:٤) أنها تُشير الى المسيح. فكأنه قال: «أنا ينبوع الحياة القادر القيام بكل حاجات النفس».

«**فلُيقبّل اليّ**» أى يؤمن بى كل عطاش النفوس، ليرتووا، فإنى أمنَحهم النعمة والمغفرة وسلامة الضمير، والمصالحة مع الله. وبالجملة المواهب الروحية التى بها يبلغون المجد السماوي. وقد

أشار بذلك الى كلام إشعياء(ص٥٥:١) حيث قال «أيها العطاش هلُّموا الى المياه، والذى ليس له فضة تعالوا اشتروا وكُلوا. هلموا اشتروا بلا فضة، وبلا ثمن، خمراً ولبناً» وأشار الرب أيضاً الى ما ورد(فى رؤ٢٢:١٧) وهو«منْ يعطش فليأتِ، ومنْ يَرد فليأخذ ماء حياةٍ مجاناً».

٣٨- «منْ آمن بى كما قال الكتاب تجرى من بطنه أنهار ماء حى».

«**من آمن بي**» ليس كما يؤمن الشياطين ويقشعرون (يع٢:١٩) بل يؤمن بى ويعمل بوصاياى «**كما قال الكتاب**» بالمعنى لا بالحرف (فى مز١٤:٨ واش٥٥:١ و٥٨:١١ وحز٤٧:١- ١٢وزك ١٣:١و١٤:٨)، وفى مواضع أخرى كثيرة.

فمن آمن بالمسيح وحفظ وصاياه «**تجرى من بطنه أنهار ماء حي**» ويُراد «**بالبطن**» داخل النفس والإرادة، كما أن باطن الجسد داخله و«**بالأنهار**» وفرة المواهب التى ينالها المؤمن، والبركات التى تصْدُر منه. ووصف ماء الأنهار بأنه «**حى**» إشارة الى حياة النفس الروحية، لنوالها قوة المواهب من ينبوع الحياة.

فالايمان بالمسيح لا يروى نفس المؤمن إرتواءً روحياً فقط، بل يُصيِّره بَرَكةً لغيرهِ أيضاً. أى أن المؤمن يكون بَرَكَة للعالم بواسطة قداسته وسيرته المباركة ورحمته، وتعليمه وتواضعه. وبالجملة بسلوكِه، متبعاً خطوات سيده الرب يسوع، الذى هو ينبوع النِعَم الأصلي.

٣٩- قال هذا عن الروح الذى كان المؤمنون به مُزمعين أن يقبلوه، لأن الروح القدس لم يكن قد أُعطِيَ بعد. لأن يسوع لم يكن قد مُجدّ بعد.

قال «**هذا عن الروح القدس**» أى أن الماء الحى الذى وعد المسيح أن يمنحه للمؤمنين، هو إشارة إلى نعِمَ الروح القدس، التى بواسطتها يقدر الإنسان أن يؤمن بالمسيح، ويتجدَّد قلبه، ويصير فى شبه صورة المسيح فى القداسة «**لأن الروح القدس لم يكن قد أُعطِيّ بعد**» أى على نحو ما أُعطىَ فى البنديكوستى (يوم الخمسين).

نعم إن الروح القدس كان حاضراً على الدوام فى المعابد الإسرائيلية. وهو الذى علَّم الآباء والأنبياء، لكن لم يشعر أحد بحضوره وتأثيره، كما شعر به الرُسل والكنيسة التى أسسوها منذ يوم الخمسين، وإلى الآن، وإلى الأبد.

«**لأن يسوع لم يكن قد مُجِّد بعد**» بقيامته من الموت، وصعوده إلى السماء وجلوسه عن يمين الآب. ويسأل المفسرون لماذا لم يُعْط الروح القدس قبل صعود المسيح، كما أعطى بعده؟. ويجيبون: ليتّبين أن حلول الروح القدس هو ثمرة آلام المسيح وصعوده وانتصاره.

٤٠- «فكثيرون من الجَمع لما سمعوا هذا الكلام قالوا هذا بالحقيقة هو النبى.
٤١- آخرون قالوا هذا هو المسيح. وآخرون قالوا ألعّل المسيح من الجليل يأتى؟.
٤٢- ألم يقُل الكتاب إنه من نسل داود ومن بيت لحم، القرية التى كان داود فيها، يأتى المسيح؟»

«**النبى**» فى قول الفئة الأولى من اليهود المجتمعين، هو الذى أنبأ عنه موسى (فى تث ١٨:١٥) والنبى يقصد به فى قول موسى المسيح. ولكن الفئة الأولى لم تفهم ذلك. بدليل تأكيد الفئة الثانية لهم إن «**هذا هو المسيح**». كأن النبى خلاف المسيح، ولكن الإقرار بأن يسوع هو المسيح، أوضح وأسمىً من قولهم إنه «النبى». لأن المسيح ليس نبياً فقط بل هو كاهن ونبى وملك.

وقول الفئة الثالثة «**ألعَل المسيح من الجليل يأتى**» يدل على أنهم ظنوا أنه وُلِدِ وتربّى فى الجليل. والحقيقة أنهم لم يعرفوا الواقع. وهو أن يسوع وُلد فى بيت لحم. ولو قصدوا الوقوف على الحقيقة لماَ صعُب عليهم البحث عنها. فلا عذر لهم فى جهلهم.

٤٣- «فحدث انشقاق فى الجمع لسببه. ٤٤- وكان قوم منهم يريدون أن يمسكوه ولكن لم يُلّقِ أحد عليه الأيادى».

الانشقاق الذى حصل بين اليهود، لسبب المسيح، منشأه أن بعضهم قال إنه النبي، وآخرون قالوا إنه المسيح، ولكن قوماً منهم خالفوهم. وقال قوم آخرون إنه مُبتدع، وهؤلاء هم الذين أرادوا أن يُظهروا غيرتهم (حماستهم الحمقاء) فتبرعوا بمسكه لتسليمه **إلى الرؤساء**. «**ولكن لم يُلّقِ أحد عليه الأيادى**» لأنه منعهم من ذلك بقوته الإلهية، لأن وقته لم يكن قد أتى بعد.

٤٥- «فجاء الخُدَّام إلى رؤساء الكهنة والفريسيين. فقال هؤلاء لهم: لماذا لم تأتوا به؟ ٤٦ - أجاب الخُدّام «لم يتكلم قط إنسان هكذا، مثل هذا الإنسان».

أرسل رؤساء الكهنة الخُدَّام ليُمسِكُوا المسيح، وظلوا منتظرين. فلما عاد هؤلاء يومين أو ثلاثة، وليس معهم يسوع، اغتاظ هؤلاء الرؤساء، على عدم بلوغهم هدفهم.

وكان جواب الخُدّام عن المسيح بقولهم «**لم يتكلم قط إنسان هكذا مثل هذا الإنسان**» مجلبة لغيظ الرؤساء، أكثر من عدم مسك يسوع، لأنه دلّ على أن الخُدّام تأثروا من كلامه، فتحققوا أنه ممتاز عن سائر الناس، وأنه أعظم من مُعلّمِى الناموس قاطبةً، وأسمَّى فى تعليمه من رؤساء الكهنة. والواقع أن شهادة هؤلاء الأعداء ليسوع، كانت حقاً. فإنه لم يتكلم نبى قط ولا رسول ولا فيلسوف ولا خطيب، كما تكلم رب المجد، بحكمة عظيمة جداً.

٤٧- فأجابهم الفريسيون «ألعلكم أنتم أيضاً قد ضلّلتم؟!».

قال يوحنا فم الذهب «إنه كان يجب على الفريسيين أن يسألوا الخُدَّام: ما الذى أعجبكم من كلامه حتى شهدتم له أنه أعظم معلم، فلم تقبضوا عليه حسب أمرنا لكم»؟ لكنِ قد أعماهم بُغضهم له. فأظهروا أنهم يعلمون يقيناً أنه لم يُعلّمِ شيئاً سليماً ومُعجِباً.

فوبخوا الخُدّام قائلين«**ألعلكم أنتم أيضاً قد ضللُّتم**». فكأنهم قالوا إن تعليم المسيح ضلال وخداع، وأن الجموع الذين آمنوا به قد ضلُوا وانخدعوا، لأنهم لا يعرفون الكُتب، فهل«**ضّللتُم**» ياخُدامنا كما ضل أولئك الجموع الجُهلاء، وشاركتموهم فى التسليم بدعواه- وهذا الكلام من الفريسيين يدل على غيظهم وحسدهم وحقدهم، وخيبتهم فى تحقيق هدفهم.

٤٨- «ألعّل أحداً من الرؤساء أو الفريسيين آمن به؟ ٤٩- ولكن هذا الشعب الذى لا يفهم الناموس هو ملعونُ».

كأَن الفريسيين يقولون إنه لا يوجد واحد من العلماء الخبيرين بالناموس آمن به. فإذن ليس هو المسيح المنتظر. أما الشعب الذى آمن به فلا يفهم الناموس كما نفهمه نحن الذين درسناه فى مدارس الرابيين. فلذلك نقول إن الشعب الذى آمن ملعون من الله. ولا يجب أن تكونوا على رأيهم فى المسيح، لأنهم جُهَلاء، ولا يُؤخذ عملهم حجةً. ولا يمكن أن يحكم أحد فى الأمور الدينية إلا نحن فقط. فلو كانت دعوى يسوع حقاً، لكنا عرّفنا ذلك قبل غيرّنا.

هذا معنى كلام الفريسيين، وهو يدل على مُنتهى الجهل والغباوة. وما قادهم إلى هذا الخطأ فى الحُكم إلا حسدهم وكبرياؤهم. وقال القديس البابا كيرلس الإسكندرى إن رؤساء الكهنة أولَّى وأحّق باللعنة، التى وجهوها للشعب. وبينما هم يدعون معرفة الشريعة طعنوا أنفسهم بسهام الكُفْر.

٥٠- قال لهم نيقوديموس الذى جاء إليه ليلاً وهو واحد منهم. ٥١- «ألعل ناموسنا يُدين إنساناً لم يُسمع منه أولاً ويُعرف ماذا فعل؟!»

نتعلَّم من قوله عن نيقوديموس «**وهو واحد منهم**» إن هذا الرجل الصالح الذى جاء الى يسوع ليلاً، وحصلت بينهما المحادثة المذكورة فى ص٣، كان من أعضاء مجلس السبعين(مجمع السنهدريم). ومعنى قوله «**ألعلّ ناموسنا يُدين إنساناً لم يُسمع منه أولاً ويُعَرف ماذا فعل**»، إن الناموس يقضى بعدم الحُكم على أحد بلا مُحاكَمة ولا شهود. فلذا يجب اعتبار يسوع بريئاً إلى أن يُوقَف هو والشهود أمامهم، وتثبُت جريمته الدينية (مخالفة الناموس).

٥٢- أجابوا وقالوا له «ألعلك أنت من الجليل؟ فتش وانظر. إنه لم يقم نبى من الجليل».

كأنهم قالوا «أنتَ تُدافع عن يسوع، لأنك وإياه من وطن واحد، فأعّماك الهَوى فصِّرتَ لا تُفرِّق بين الحق والباطل». قالوا ذلك من باب التهكُم، لأنهم كانوا يعلمون يقيناً أن نيقوديموس ليس من الجليل.

أما قولهم «**إنه لم يقم نبى من الجليل**» فهو كاذب، لأن دبورة النبية كانت من الجليل، وكذلك حنة النبية، فإنها كانت من سبط أشير، الذى كانت أرضه بالجليل. ويتضح من هذا أن غيظهم أعماهم عن أن يفطنوا للحقيقة، أو ينكروها.

٥٣- «فمضى كل واحدٍ الى بيته».

أى انصرف أعضاء المجلس السبعينى (السنهدريم) خائبين مدحورين، كل واحدٍ الى بيته. إذ عجزوا عن إتمام مقاصدهم فى المسيح، وأسرَعُوا بالانصراف، لئلا ينضم آخرون منهم الى رأى نيقوديموس، بأن يسوع برئ من إتهام باقى زملائهم.

❖❖❖

الإصحاح الثامن

١- «أما يسوع فمضى الى جبل الزيتون»:

عِلمنّا من الأية ٥٣ من الإصحاح السابق، أن أعضاء مجمع السنهدريم انصرف كل منهم إلى بيته. أما يسوع فمضى الى جبل الزيتون، إذ لم يكن له بيت. وقضى الليل بالصلاة، حسب عادته (لو٦:١٢) وجبل الزيتون واقع شرقى أورشليم.

٢- «ثم حضر أيضاً الى الهيكل فى الصُبح. وجاء إليه جميع الشعب، فجلس يُعلمّهم».

إن مجئ المسيح باكراً الى الهيكل، نستفيد منه وجوب التبكّير فى طلب الروحيات. «**وجاء اليه جميع الشعب**» يُظِهر أن كثيرين من الشعب تعلموا من يسوع أن يذهبوا باكراً هم أيضاً. «**فجلس يُعلَمهّم**» ولابُد أن موضوع تعليمه كان عن ملكوت السموات، وأنه هو الطريق والحق والحياة.

٣- وقدم إليه الكتبة والفرّيسيون إمرأة أُمسِكت فى زنا. ولما أقاموها فى الوسط.
٤- قالوا له«يا معلم هذه المرأة أُمسِكت وهى تزنى فى ذات الفعل».

قدموا إليه هذه المرأة ليجدوا ما يشتكون به عليه، كما سيجئ بيانه فى آية ٦، «**أقاموها فى الوسط**» حسب عادتهم فى إقامة المُدعِى عليهم. «**وقالوا له يا معلم**» وأرادوا إخفاء خُبثهم بإعطائهم إياه هذا اللقب، الذى يدل على الإكرام، ظانين أنه بهذا الخداع يأنس يسوع بهم، فيصيدونه. وقالوا له إن هذه المرأة «**أمُسِكَت وهى تزنى فى ذات الفعل**» خشية أن يطالبهم بالبُرَّهان. فكأنهم قالوا إن الأمر كان جهاراً وأكيداً. فلا يحتاج إلى برهان (شهادة).

٥- «وموسى فى الناموس أوصانا أن مثل هذه تُرجَم. فماذا تقول أنت؟!»

حكمت شريعة موسى على الزانية والزانى بالقتل (لا٢٠:١٠)، و(تث٢٢:٢٢) وفى أيام المسيح كان إعدام الزانى والزانية بالرجم. وقالوا «**ماذا تقول أنت**»؟ أى ما رأيك فى هذه الزانية، هل تُرجم أو تُسامَح؟!.

٦- «قالوا هذا ليُجّربوه، لكى يكون لهم ما يشتكون به عليه. وأما يسوع فانحَنى إلى أسفل وكان يكتب بأصبعه على الأرض».

أرادوا أن يوقعوه فى المخالفة، كيفما حكم، لأنه إن قال لا ينبغى رجمها، شكوه إلى الشعب، بأنه خالف شريعة موسى وشريعة الآداب العامة. فتكون دعواه إنه المسيح باطلة. وإن قال ينبغى رجمَّها، شكوه إلى الرومانيين بأنه أختلس حقوقهم، إذ كان سُلطان الحكم بالموت وقتئذ ليس لأحد من اليهود، وكذلك لم يكن عقاب الزانية –عند الرومانيين- القتل. فلو حكم بقتلها (بالسيف) لخالف شريعتهم.

«**أما يسوع فانحَنى إلى أسفل وكان يكتب بأصبعه على الأرض**» انحنى ليُحّول وجهه عن الزانية، وليُشير الى قول إرميا (ص١٧:١) «خطية يهوذا مكتوبة بقلم من حديد، برأس من الماس، منقوشة على لوح قلبهم وعلى قرون مذابحكم» أو إلى قوله (ص١٧:١٣) «أيها الرب رجاء إسرائيل، كل الذين تركوك يخزون. الحائدون عنى فى التراب يُكتبون، لأنهم تركوا الرب ينبوع المياه الحية».

فكأنه يقول إن إرميا يُوبخكم أنتم الذين تشتكون هذه الزانية وترتكبون ذنوباً أفظع من ذنبها، وتستحقون الرجم وعذاب جهنم. اما الكتابة فكانت على الغبار الذى يغشى بلاط الهيكل وماذا كتب يسوع على الأرض؟ فقيل إنه كتب الحُكم الذى قاله وهو: «**منْ كان منكم بلا خطية فليّرمِها أولاً بحجر**».

وقيل إنه كتب «لماذا تنظر القذى الذى فى عين أخيك وأما الخشبة التى فى عينك فلا تفطن لها». وقيل انه كتب ما يفيد انه علم مكرَهَم وأنهم لم يسألوه بنية الفائدة بل ليجرُّبوه. وقيل إنه لم يكتب حروفاً تُقرأ بل خط صوراً لا تفسير لها، كعادة من أطرَّق الى الأرض مُتحيرًا. وقيل أيضاً إنه كتب لكل واحد خطيته المكررة.

٧- ولما استمروا يسألونه انتصب، وقال لهم «منْ كان منكم بلا خطية فليرَّمها أولاً بحجر».

أى لما رأى المسيح أنهم ظلوا يسألونه، ويلحون عليه فى إصدار حكمه، أجاب وقال «**مَنْ كان بلا خطية فليّرمها أولاً بحجر**» أى إن من خلا منكم من الخطية ولم يتعدَّ الوصايا، وخاصة الوصية السابعة، فليتقدَّم الجميع ويرّمها بالحجر الأول، ثم يتبعه الآخرون، لأن من مقتضى الشريعة أن الشهود هم الذين يبتدئون بالرجم.

وبهذا الجواب أبكم المسيح مُجرّبيه بدون أن يُبرِّر المرأة أو يُدينها. أى بدون أن يوجد لهم سبيلاً للشكاية عليه. وعلَّمنا أيضاً بهذا الجواب أن منْ أراد أن يُدين غيره، **فليُدِن أولاً نفسه، لأن الانسان أقدر على معرفة عيوبه، ولوم نفسه والتوبة عنها.**

٨- «ثم انحنى أيضاً إلى أسفل وكان يكتب على الأرض»:

قلنا فى (آية٦) أسـباب انحنائـه إلـى الارض، ونزيد الآن بأن المسيح انحنى هذه المرة الى أسفل ليُعطى مجرّبيه سبيلاً الى الهروب، والانصراف من أمامه.

٩- وأما هم فلما سمعوا وكانت ضمائرهم تُبكتُّهم، خرجوا واحداً فواحداًمبتدئين من الشيوخ الى الآخرين. وبقى يسوع وحده والمرأة واقفة فى الوسط.

لما استيقظت ضمائر المشتكين من جواب المُخِلّص، وأخذت توبخهم بشدة، عرفوا أنهم ليسوا أَهْلاً لأن يكونوا قضاةً على تلك المرأة بل مُعاقَبين. فطفقوا يهربون واحداً فواحداً «**مبتدئين من الشيوخ**» لأن ذنوبهم كانت أشد وأعظم.

«**وبقى يسوع وحده**» أى لم يبْقَ أحد من الكتبة والفريسيين الذين اشتكوا المرأة وبقيت «**المرأة واقفة فى الوسط**» أى وسط التلاميذ والجمع المحتشد، لكى يتعلم من يسوع ماذا سيفعل بها؟!

١٠- فلما إنتصب يسوع ولم ينظر أحداً سوى المرأة قال لها «يا إمرأة أين هم اولئك المشتكون عليكِ؟ أمـا دانِك أحد؟ ١١- فقالت «لا أحد يا سيد». فقال لها يسوع «ولا انا أدينكِ. اذهبى ولا تُخطئى أيضاً»!!.

قضى يسوع بضع دقائق مُطرِقاً إلى الأرض، ثم رفع رأسه، فلم يجد أحداً من المشتكين: فقال

للمرأة «**أما دانكِ أحد؟**» أى «هل لم يوجد واحد من جميع المشتكين عليكِ بدون خطية، فيقدر أن يرميكِ أولاً بحجر»؟ فقالتُ «لا أحد يا سيد». أى لم يبّق أحد من المشتكين، ولا من الشهود. وحيث أنهم هربوا جميعاً، فسقطت الدعوى من نفسها.

فقال لها يسوع «**ولا أنا أدينكِ**» أى وحيث أنه لم يوجد أحد سوى معصوم من الخطية، ويحق لى وحدى أن أدُينكِ، لكننى لا أُدينكِ ولا أحكم بعقابكِ، لأننى ماجئتُ لأدُين العالم بل لأُخلّص العالم. «**اذهبى ولا تخطئى بعد**» اى أنكِ تقدرين ان تنالى المغفرة عن خطاياكِ، إذا رجعتِ الى السير فى الفضيلة والتقوَّى.

١٢- ثم كلمهم يسوع أيضاً قائلاً «أنا هو نور العالم. منْ يتبعنى فلا يمشى فى الظلمة، بل يكون له نور الحياة».

قد سبق شرح مثل هذا القول (فى ص١:٤و٩) فكما كان عمود النار للإسرائيليين زمان غربتهم فى البّرية. هكذا المسيح يكون نوراً لكل الذين يؤمنون، ويكون لهم كذلك الى الأبد.

فهو المُرشد الى السماء، وهو النور الحقيقى الذى يقود منْ يتبعه الى الحياة الأبدية السعيدة. وكل منْ يتبعه لا يمشى فى الظلمة، أى لا يمكنه أن يذهب فى مسالك الخطية والهلاك، بل يُقاد الى سُبل القداسة والسعادة.

وقال يوحنا فم الذهب إن المسيح بقوله «**أنا هو نور العالم**» أفاد أنه ليس نورا لإسرائيل فقط، بل **لجميع العالم**، فهو منير المسكونة كلها وإلهها ومُخلصّها.

١٣- فقال له الفريسيون «أنت تشهد لنفسك. شهادتك ليست حقاً».

قلنا فى تفسيرنا (ص٥:٣١) إن شريعة موسى تطلب شاهدين، لإثبات الدعوى. فالفريسيون بناءً على هذا القانون قالوا للمسيح «إننا لا نقبل شهادتك لنفسك، لأنها لم تُدَّعَم بشاهدين سواك».

١٤- أجاب يسوع وقال لهم «وإن كنت أشهد لنفسى فشهادتى حق، لأنى أعلم من أين أتيتُ والى أين اذهب. وأما أنتم فلا تعلمون من أين آتِى ولا إلى أين أذهب».

قال القديس أغسطينوس إن شهادة النور حق. سواء أشرق النور، أم غاب. فهكذا شهادة يسو حق، لأنه هو النور الحقيقي. وقد أثبَّت يسوع لهم فيما مضى أنه المسيح، بشهادة يوحنا المعمدا وبشهادة الآب بصوتٍ مسموع من السماء، وبشهادة المعجزات. فلا حقَّ لهم أن يُطالبوه كل يو أن يُثبِت دعواه، لأنه لا يلزم أن الذى يُطلبُ مرة منه الشهادة ويقدمها، يُطالبَ دائماً بها. وقو «**لإنى أعلم من أين أتيّتُ وإلى أين أذهب**»، معناه إننى أتيتُ من عند الآب، وتجسدت من الرو القدس (ومن مريم العذراء) وبعد الموت أصعد الى السماء، وأجلس عن يمين العظمة. «**أما أنت فلا تعلمون من أين آتِى ولا إلى أين أذهب**». فإنكم لا تعرفون إلا حياتى الجسدية، أى ناسوت على الارض، وأما لاهوتى فلا تعرفونه.

١٥- «أنتم حسب الجسد تدينون.اما انا فلست أُدين أحداً».

قال يوحنا فم الذهب إن الدينونة هنا: الحُكم على المسيح بحسب أميالهم الجسدية، لا بمقتض العدل والإنصاف. وقد سبق المسيح وقال لهم: «لا تحكموا حسب الظاهر بل احكموا حُكماً عاد ولكنهم لم يسمعوا كلامه، بل نظروا اليه بعيونهم الجسدية، فحسبوه أنه مجرد إنسان. فطلبوا يُحكَم فى دعواه، بمقتضى القوانين العالمية المعتادة، كطلب شاهدين. وذلك لأنهم نظروا إليه ف هيئة إنسان، وديعاً ومتواضعاً.

«**أما أنا فلستُ أُدين أحداً**» معناه لأننى لم آتِ لأُدين العالم بل لأُخِلّص العالم. فلا أهتم ا بدينونتكم على عدم إنصافكم إياي، ولكن سوف أُدينكم يوم الدينونة العظيم. ولا أدين احداً إلا م الآب (كما ترى من العدد الآتي).

١٦- «وإن كنتُ أدين فدينونتى حق، لأنى لستُ وحدى، بل أنا والآب الذى أرسلنى».

أى وإن كنت لا ادين الآن الذين لم يؤمنوا بي، فسأدينهم بعدلٍ، ودينونتى حق وصحيحة لأن موافقة لإرادة الآب. فإن ما يفعله الآب، يفعله بي، لأنى كلمته. ولكن هذا ليس زمان الدينونة. هـ فسر يوحنا فم الذهب.

والواقع إن الآن الآن هو زمن الرحمة، ولكن يوم القيامة، هو زمن الدينونة الكاملة والعادلة.

١٧- «وأيضاً فى ناموسكم مكتوب إن شهادة رجلين حق».
١٨- «أنا هو الشاهد لنفسى، ويشهد لى الآب الذى أرسلنى».

كُتِب «(فى تث ١٧:٦) أنه على فم شاهدين تثبُت الدعوى أنها حق. وقد نسب المسيح الناموس إليهم بقوله (ناموسكم) لأنهم ادعوُّ أنهم المحافظون عليه. واشتكوا على يسوع أنه خَالَفه بشفاء المفلوج فى السبت.

فكأن المسيح قال «إن كانت شهادة رجلين حق، فقد ثبتت دعواى إنها حق. لأننى شهدت لنفسى وقلت لكم «**إنى نور العالم**». والشمس لا تحتاج الى دليل على وجودها، أى شاهد لها.

وكذلك «أنا تشهد لى سيرتى وأعمالى ومعجزاتي، كما يشهد الضوء للشمس إننى «**نور العالم**». **ثم يشهد لى الآب الذى أرسلنى**، أولاً بالصوت الذى سمعه اليهود من السماء، ثم بالمعجزات التى دلت على أننى والآب واحد. أى أن الاعمال التى يعملها الله الآب يعملّها الله الأبن.

١٩- فقالوا له «أين هو أبوك؟». أجاب يسوع «لستم تعرفوننى أنا ولا أبي. لو عرفتمونى لعرفتم أبى أيضاً».

قال يوحنا فم الذهب: تظاهر اليهود بقولهم له «**أين أبوك؟**» إنهم يرغبون فى معرفة الحق، حتى قال لهم المسيح إن الله أبوه يشتكون عليه بالتجديف، ويرجمونه. كما أرادوا أن يفعلوا ذلك قبلاً (راجع ص١٨:٥).

ولكونه يعلم خُبثهم وأنهم إنما أرادوا أن يصيدوه بكلمة، قال لهم «لستُم تعرفوننى أنا ولا أبي».

وعلة جهل اليهود أن يسوع هو ابن الله، علمهم الروحى الغير سليم، الذى طمس عيونهم عن رؤية الحق. لأنهم لو تجردَّوا عن الحسد والكبرياء، لعرفوا أن المسيح ليس مجرد انسان، بل هو **الكلمة (Logos)** ظهر فى الجسد. أى كان يجب عليهم أن يروا لاهوته تحت حجاب ناسوته، ولو عرفوا ذلك لعرفوا أن أباه ليس هو فى الأرض، وليس يوسف النجار، بل هو الله الآب.

٢٠- «هذا الكلام قاله يسوع فى الخزانة، وهو يُعّلِم فى الهيكل. ولم يُمسكه أحد، لأن ساعته لم تكن قد جاءت بعد».

«**الخزانة**» هى إحدى حجرات الهيكل، وكانت مُعّدة لحفظ أمتعة الهيكل وأمواله. وكان مسموح لليهود أن يدخلوها. وكان يسوع ينتهز فرصة إجتماع الكثيرين منهم ليُعلمهم. ومع أنه كان في وسط أعدائه إلا أنه لم يقدر احد منهم أن يُمسكه، لأنه أمسك أيديهم، وغلّها بقوته، لأن ساعة آلام وصلبه لم تكن قد جاءت بعد؛ لأن كل شئ له ميعاده المحدد بالضبط.

٢١- قال لهم يسوع أيضاً «أنا أمضى وستطلبوننى وتموتون فى خطيتكم. حيث أمضى أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا».

أى إنكم أيها اليهود بعد أن أُسلِّم نفسى للموت طوعاً واختياراً، تطلبون مسيحاً آخر عالمياً. أ تطلبون إنى أعود ثانيةً، فلا يكون هذا ولا ذاك، لأنه لا يكون مسيح غيري. وحيث أنكم رفضتموني أنا المسيح الحق، فلابُد أنكم «**تموتون فى خطيتكم**» لإصراركم على كُفركم بي، وبُغضك لي. وستُطرَحون فى جهنم، لأنى الواسطة الوحيدة لخلاصكم. فبرفضكم إياى تبقون بلا توب ولا مغفرة، ولا تبرير. وقوله: «**حيث أمضى أنا لا تقدرون انتم أن تأتوا**» سبق شرحناه (في ص٧: ٣٤) فراجعه هناك.

٢٢- فقال اليهود «ألعله يقتل نفسه حتى يقول حيث أمضى أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا؟!».

لما سمع خُدأَّم الرؤساء يسوع يقول «**حيث أمضى أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا**» قالوا إن يقصد أن يذهب الى شتات اليونانيين ليبشر الأمم (ص٧: ٢٥) أما هؤلاء اليهود ففسروا كلام تفسيراً يدل على زيادة بُغضهم له، إذ قالوا «ألّعله يقتِل نفسه، حتى يقول حيث أمضى أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا»؟

ومعنى كلامهم أنك إن كنتَ قصدتَ بذلك أن تمضى الى دار الموتى، فنحن لا نريد أن نأتي إليك هناك، بل نحن سنذهب حتماً الى السماء، لأننا أولاد إبراهيم. وأولاد إبراهيم جميعهم يذهبو

الى السماء لا محالة- وتفسير اليهود هذه المرة موافق لرغبة قلوبهم فى قتله، مع أن معنى كلامه ظاهر، بأنه يعود الى السماء، حيث لا يمكنهم أن يأتوا، كما بينه هو بقوله الآتي:

٢٣- فقال لهم «أنتم من أسفل. أما أنا فمن فوق. أنتم من هذا العالم. أما أنا فلستُ من هذا العالم».

ومعنى هذا القول: «أنتم أرّضيون أصلاً، وطبعاً همكم فى الأرضيات والأمور الجسدية، وترغبون فى غِنَى العالم وكراماته، فلا تستطيعون أن تدخلوا السماء ما لم تُولدوا ثانيةً. واما أنا فقد نزّلتُ من السماء (من عاَلَم السموات) ولا أطلب مجد العالم وكراماته الأرضية البالية، وسوف أرجع بعد موتى، وأصعد إلى السماء».

٢٤- «فقلت لكم إنكم تموتون فى خطاياكم، لأنكم إن لم تؤمنوا إنى أنا هو تموتون فى خطاياكم».

أى قد قُلت إنكم تموتون فى خطاياكم التى منها الكُفر، إذ لا غفران إلا بالإيمان بى. فإن لم تؤمنوا «**إنى أنا هو**» المسيح مُخلّصِ العالم، وإنى الله المتجسد والحى منذ الأزل وواهب الحياة للمؤمنين، والذى قيل عنى فى نبوّة أشعياء «لكى تعرفوا وتؤمنوا إنى أنا هو» (إش٣٤: ١٠) وعبارة «**أنا هو**» **(Ego Emi)** إشارة الى الله الكائن الأبدى.

٢٥- فقالوا له «منْ أنت؟» فقال لهم يسوع «أنا من البدء ما أكلمكم أيضاً به».

كأنهم قالوا إننا لم نفهم كلامك ولا ما تقصده، فاوضِحّ لنا «**مَنْ أنت؟**» فقال لهم يسوع «**أنا من البدء ما أُكلّمكم أيضاً به**» أى أننى الأول والأخير، والبداية والنهاية، وأنا بدء جميع الأشياء. وقد اوضحت لكم الحق تماماً منذ بدء خدمتى على الأرض، وكررّتَ ذلك مراراً. وأقول الآن ودائماً، وهو إننى المسيح وابن الله المُرسل لخلاص العالم، إذ أوضحّتُ لكم إننى الماء الحي، ونور العالم، وخبز الحياة، النازل من السماء، لكنكم لم تفهموا، بسبب ظلمة قلوبكم.

فقد شرح لهم الرب ـ بوضوح ـ كل ما يتعلّق به، ولكنهم في كبريائهم أغلقوا قلوبهم ، كما يحدُث لأهل العالم اليوم.

٢٦- «إن لى أشياء كثيرة أتكلم وأحكم بها من نحوكم. لكن الذى أرسلنى هو حق. وأنا ما سمعْتُه منه، فهذا أقوله للعالم».

كأنه يقول إنه «فى استطاعتى ان أدُينكم على أمورٍ كثيرة، وخطايا عديدة، رداً على إهانتكم إياي، ومقاومتكم لي، فوق ما حكمّتُ به عليكم قبلاً، ولكن مهما قلتم ومهما قاومتم ومهما توقحتم فالله الذى أرسلنى هو حق وصادق».

«وأنا أتكلم فى العالم وأُعلِّم بما سمعته منه. فإذن يكون كل ما أقوله حقاً وصِدّقاً. ويلزم الجميع الايمان به. وبما أننى أتيتُ لخلاص العالم لا لدينونته، فلذلك أكتفِى الآن أن أكلمكم عن طريق نوال الخلاص. وأترك دينونتكم الى يوم أجلس على كرسى الدينونة، لأدين كل واحدٍ حسب عمله» (الصالح أو الطالح).

٢٧- ولم يفهموا أنه كان يقول لهم عن الآب ٢٨- فقال لهم يسوع «متى رفعتم ابن الانسان، فحينئذ تفهمون إنى أنا هو، ولستُ أفعل شيئاً من نفسي، بل أتكلم بهذا كما علمنى أبىِ».

إن كلام يسوع كان واضحاً مفهوماً. ولو شاء اليهود أن يفهموه لما عَسُر عليهم فهمه. ولكن جهالتهم وكبرياؤهم طمست أذانهم. فقال لهم يسوع «**متى رفعّتُم ابن الانسان**». أى متى صلبتموه. وسمَّى صلبه إرتفاعاً: لأن صليبه ارتفع فى الجو، ولأن به يرتفع شأن البشر، وينال المؤمنون به مجداً وشرفاً يعجز القلم عن وصفه.

«**فحينئذ تفهمون انى انا هو**» وقد تحقق ذلك فعلاً، فإن كثيرين من اليهود لما شاهدوا الظُلمة والزلزلة وانشقاق حجاب الهيكل وقيامته، ثم حلول الروح القدس على التلاميذ، وتكلّمهم بألسنةٍ غريبة، والمعجزات التى رافقت قيامته، والتى مارسها التلاميذ، عرفوا أنه هو المسيح، وأنه متحد بالآب، فى كل فعله، ولا يفعل شيئاً من نفسه. فلم يتعلم شيئاً من الآب، كان يجهله، بل جميع الحقائق التى بشَّر وأنذر بها ، كان يعلمَّها منذ الأزل وقد أكدّت نصوص كثيرة جداً، من العهد القديم، عن صفات المسيح، الإله الظاهر في الجسد، وسُلطانه على الطبيعة والموت، ومعرفة الغَيبيّات.

٢٩- «والذى أرسلنى هو معى ولم يتركنى الآب وحدي، لأنى فى كل حين أفعل ما يُرّضيه».

قال يوحنا فم الذهب «إن الآب مع الإبن ولم يتركه وحده، ليس بالنظر الى وحدة الذات فقط، بل النظر الى تدبير الناسوت الذى أخذه الابن، لأن الآب كان مع المسيح فى كل أفعاله حتى كانت أفعال المسيح سامية وكاملة وإلهية، ولأنه فى كل حين يفعل ما يُرضَى الآب، لأن الاتحاد بينهما كامل.

٣٠- وبينما هو يتكلم بهذا آمن به كثيرون. ٣١- فقال يسوع لليهود الذين آمنوا به إنكم «إن ثبتُّم فى كلامي، فبالحقيقة تكونون تلاميذي» ٣٢- «وتعرقون الحق والحق يُحرركم».

يظهر أن إيمان هؤلاء الكثيرين لم يكن كاملا، حتى يُؤوِّل إلى خلاص نفوسهم. والدليل على ذلك قول المُخلِص للذين آمنوا به «**إنكم إن ثبّتُم فى كلامى فبالحقيقة تكونون تلاميذي**» أى إن كان إيمانكم بكلامى ليس إيماناً وقتيا، بل إيماناً مستمراً. وثبتم على طاعتي، تستطيعون أن تتبعونى صابرين فى الاضطهادات والشدائد - بصفة تلاميذ - حتى تبلغوا السماء.فتشاركوننى السعادة والمجد. وأيضاً بواسطة الثبات فى الإيمان بي.

«**وتعرفون الحق**» الذى هو أنا، لأنى الطريق والحق والحياة. وتعرفون أيضاً الحق الذى هو تعاليمى الإلهية الحقيقية. وتكون نتيجة هذه المعرفة إنكم تتحررون من نير الخطية وتنقذُون من العبودية الروحية، أى من تسُلط الأفكار الشريرة والشهوات الردية، ومن قوة الشيطان عليكم.

٣٣- أجابوه «إننا ذُرِّية إبراهيم ولم نُستعّبد لأحدٍ قط. كيف تقول أنت إنكم تصيرون أحراراً»؟!

لم يُدرك اليهود أن المسيح لم يتكلم عن العبودية المدنية (للرومان) والحرية الجسدية (التحرُّر من سجون العالم). فقالوا «إننا ذرية إبراهيم ... ألخ». وقد أظهر اليهود بهذا الجواب مُنتهَّى الجهل، لأنهم استُعِبدُوا للمصريين وللبابليين وللأشوريين ولليونانيين. وكانوا فى وقت كلام المسيح هنا

مُستعبّدين لرومانيين، ويدفعون الجزية لقيصر. نعم إن الرومانيين تركوا لهم بعض الحرية فى أمور دينهم، ولعل هذا سبب قولهم إنهم «لم يُستعبَّدُوا قط»، بمعنى أنهم لم يكونوا عبيداً يجوز بيعهم، بل بصفة رعيَّة لها بعض الحرية فى دينها وشخصيتها الإعتبارية.

٣٤- أجابهم يسوع «الحق الحق، أقول لكم إن كل من يعمل الخطية هو عبد للخطية».

أوضح المسيح بهذا القول نوع الحرية التى قصدها فى كلامه السابق، والتى أراد أن يمنحها لهم. فقال إن العبودية الشنيعة هى **العبودية للخطية**. فهذه العبودية هى أشر من عبودية الإنسان لملوك الارض.فكأنه قال أنتم مستعبدون للشيطان وللشهوات، وهذه العبودية لا يُحررّكم منها إلا أنا، فآمنوا بى تنجون من شرها. وإن ظللُّتم عبيداً للخطية، لا يمكن أن تكونوا أولاد الله الأحرار.

٣٥- «والعبد لا يبقى فى البيت الى الأبد. أما الابن فيبقى الى الأبد.
٣٦- فإن حررَكم الإبن فبالحقيقة تكونون أحراراً».

إن العبد يجوز طرده أو بيعه، لأن ليس له حقوق شرعية فى البيت. وكذلك عبد الخطية، فإنه يمكن طرده من بيت الله وبيعته المقدسة، إذا لم يُعتَّق من الخطية، ويصير إبناً لله. وهذا العِتق لا يمكن لإبراهيم ولا لموسى ولا لجميع الأنبياء (أن يمنحوه). ولا يوجد من يمكنه إنقاذ النفوس من نير الشيطان والإثم، وجعْل المؤمنين به إخوة معه، إلا المسيح. فهو الذى يُحرِّر المؤمنين من عقاب الخطية وعبوديتها، لأنه أعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله (لو١٠).

٣٧- «أنا عالم أنكم ذرية ابراهيم، لكنكم تطلبون أن تقتلونى، لأن كلامى لا موضع له فيكم. ٣٨- أنا أتكلم بما رأيتُ عند أبي. وأنتم تعلمون ما رأيتم عند أبيكم».

كأنه يقول «إننى أعلم يقيناً إنكم أولاد إبراهيم بالجسد، لكنكم لستم أولاده فى الأعمال الصالحة.. فأنتم إذن لستم مستحقين أن تُدعُوا أولاده بالمعنى الروحي». ولكون «**كلامى لا موضع له**

فيكم» لأن قلوبكم ملآنة أفكاراً دنُيوّية وشريرة. فأنتم «**تطلبون أن تقتلوني**» فلو كان إيمانكم ثابتاً، ما كنتم تشتركون مع الرؤساء فى الرغبة فى قتلي.

«**أنا أتكلم بما رأيتُ عند أبي**». وحيث أن مصدر كلامى هو الإله القدوس، فكل تعليمى مقدس. وأنتم تعلمون ما رأيتم عند أبيكم». وحيث قد أظهرّتُم الكراهية لي، وطلبتم قتلى. فقد برهنتم بذلك على أنكم لستم بالحقيقة أولاد إبراهيم، بل أولاد إبليس، (كما سيتبيَّن من الآية ٤٤).

وتُقَال العبودية على أربعة حالات:

(١) على العبودية الطبيعية، كعبودية الناس والملائكة لله تعالى.

(٢) على عبودية الرق كالمبتاعين بالمال وغيره.

(٣) على عبودية الخطية والكُفر بالله، وظلم الناس.

(٤) على عبودية الاختصاص كقول الله (موسى عبدى مات) وكالتلميذ الخاضع للمعلم، وكالخُطاة فى العبودية للشيطان.

٣٩- أجابوا وقالوا له «أبونا إبراهيم». قال لهم يسوع «لو كنتم أولاد إبراهيم لكنتم تعملون أعمال إبراهيم. ٤٠- ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلونى وأنا إنسان قد كلمكم بالحق، الذى سَمَعه من الله. هذا لم يعمله إبراهيم».

كأن يسوع يقول لهم إننى لا أُنكر أنكم أولاد ابراهيم بالجسد، والتسلسل فى النسب، ولكنكم لا تُماثلونه فى أعماله الصالحة. فأجسادكم منه، ولكن سيرتكم مُغايَرة لسيَرته. وبرهانى على أنكم لا تعملون أعمال إبراهيم (من الطاعة لله، تك ص١٢ وتصديق رُسله، تك ص١٦وص١٨) إنكم «**تطلبون أن تقتلوني**» مع إننى لم أضر أحداً منكم، بل «**أنا إنسان (شخص) قد كلمكم بالحق، الذى سمعه من الله**».

فكان يجب عليكم أن تكرمونى غاية الإكرام، وتُطيعوا كلامي، لأننى لم أتكلم به من عندي، بل من عند الآب. وأنا والآب واحد. فعملكم هذا ليس موافقاً لما كان «**يعمله إبراهيم**». فلا وَجْه شَبَه بينكم وبينه.

٤١- «أنتم تعملون أعمال أبيكم». فقالوا له«إننا لم نولد من زنا. لنا أبُ واحد وهو الله». ٤٢- فقال لهم يسوع «لو كان الله أباكم، لكنتم تحبوننى لأنى خرجّتُ من عند الله وأتيّتُ. لأنى لم آتِ من نفسي، بل ذاك أرسلني. ٤٣- لماذا لا تفهمون كلامى؟ لأنكم لا تقدرون أن تسمعوا قولى».

«**أنتم تعملون أعمال أبيكم**» أى أعمال إبليس، الذى اتخذوه أباً لهم. كما سيوُضَّح فى الآية ٤٤ فقال اليهود «إننا لم نولد من زنى. لنا أب واحد وهو الله». كأنهم قالوا نحن أولاد إبراهيم، وليس لنا أب غيره على الارض، ولم نُولَد من آباء وثنيين كافرين، حتى نكون أولاد زنى، أى كُفاراً أشراراً فأبونا على الأرض إبراهيم وأبونا السماوى الذى نعبده هو الله الواحد، الذى عَبدَه إبراهيم أبونا».

«**فقال لهم يسوع لو كان الله أباكم لكنتم تُحَّبونني**» فإن الابن يحب أن يكون شبيهاً بأبيه. فلو كانوا أبناء الله لكانوا يشابهونه تعالى فى محبته لإبنه الوحيد. والواقع إنهم أبغضوا إبنه فبالتالى ليسوا هم ابناء الله.

وأشار المسيح بقوله «**لأننى خرّجتُ من قِبَل الله**»، إلى مولده الأزلى من الآب. وبقوله «**أتيتُ**» الى مولده الزمنى متجسداً. وبقوله «**لأنى لم آتِ من نفسى بل ذاك (الآب) أرسلني**» الى وحدة الجوهر والإرادة بين الله الآب والله الإبن.

ولما كان اليهود جسديين صُمَّت آذانهم عن سماع أقوال المسيح. فقال لهم: «**لماذا لا تفهمون كلامي؟ لأنكم لا تقدرون أن تسمعوا قولي**». كأنه قال لهم إنكم أيها اليهود قد طُمِسَت أذهانكم بأميالكم الشريرة، وكبريائكم، وفساد قلوبكم، فصُمَّت آذانكم عن سماع صوتي، الذى هو صوت الله ذاته، وصوت الحق.

٤٤- «أنتم من أب هو ابليس، وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا. ذاك كان قتَّالاً للناس منذ البدء، ولم يثبُت فى الحق، لأنه ليس فيه حق. متى تكلم بالكذب، فإنما يتكلم مما له، لأنه كذَّاب وأبو الكذاب».

كأنه قال لهم أنتم قد أشبهتُم إبليس فى أفكاره وأعماله الشريرة. فإذن أنتم أولاده لأنكم تشبهوه فى صفاته الرَّدية. وليس ذلك فقط، بل إنكم تجتهدون أن تعملوا شهوته. أى ما يسّره ويُرضّيه، والخطايا التى يحثكم عليها. وأنتم تعملون ذلك طوعا واختياراً. فتميلون إليه كالخادم الطائع. وأعلموا أن إبليس هذا: «**كان قتَّالاً للناس منذ البدء**» فبواسطته وبإغرائه دخلت الخطية الى العالم، وهو الذى حَّرك قايين لقتل هابيل، والمُحّرِك للناس دائماً على ارتكاب الآثام. وهو الآن يحثكم أن تقتلوني. فأنتم مثله قتالوُن(مهلكون لغيركم. بعثراتكم، وطاعة رجال الدين لقتلى).

وهو «**لم يثبُت فى الحق لأنه ليس فيه حق**». فقد خُلِق طاهراً مثل الملائكة الأطهار، ولكنه سقط بكبريائه وعناده، ولمقاومته الحق، وسروره بالضلال والطُغّيان. وها أنتم تفعلون مثله، فى عدم محبة الحق، وفى تقلبُّكم وعدم ثباتكم.

والسبب فى عدم ثباته أنه «**ليس فيه حق**» أى لأنه يميل بكل قوته وطبيعته الى الكذب. فلا موضع للحق فى قلبه. وكذلك أنتم، لاتباّعكم ضلاله، انفصلتم كل الانفصال عن الحق. وبما أنه ليس فيه حق، فهو «**يتكلم مما له**» اى ما يوافق أمياله الشريرة. فالكنز الشرير لا يُخرِج إلا الشرور.

ولذا هو على الدوام «**كذَّاب**» فلا يقول الصدق، ولن يقوله أبدا. فكما كذب على الأبوين الأوليَّن وأسقطهما من حال السعادة، هو يكذب على الدوام، خادعا الناس ليْهلكهم بفعل الشر.

فكل الذين يُطاوعون ابليس يكونون أبناء له، لمشابهتهم صفاته الفاسدة. ويكون هو أباً لكل كذَّاب. ويُلقّب باللقب الذى يستحقه، وهو «**أبو الكذَّاب**». وبما أنكم أيها اليهود قد رفضتم كلامى وسُررتم بالكذب، فأنتم «**أولاد ابليس**» وهو أبوكم (لأن الأطفال دائماً يُقلدُّون، أو يخضعون لتعليم آبائهم السلبى، ويعيشون بالكذب، وبالخداع الذى تعلّموه من أبناء الشيطان).

٤٥- «وأما أنا فلأنى أقول الحق لستم تؤمنون بى ٤٦- منْ منكم يُبكتّنى على خطية؟. فإن كنتُ أقول الحق فلماذا لستم تؤمنون بي؟!».

«**وأما أنا فلأنى أقول الحق، لستم تؤمنون بي**» أى أنكم تصدقون الكذّاب فأنتم أبنا‌ؤ فلو كنتُ أنا أخفيّت الحق وكلمتكم بالكذب لكنتم صدقتموني، ولكن لأنى كلمتكم بالصدق، فأن رفضتُم كلامي، لأنكم تشبهون أباكم الشيطان فى كراهة الحق».

«**من منكم يُبكتّنى على خطية؟**» فإنكم جميعاً تعلمون طهارة سيرتى، وإننى خالٍ من كـ خطية وشبه خطية. وقد برهنّتُ لكم إننى لم أُخطِىء فى إبرَاء المفلوج يوم السبت- حسب زعمكـ بل إننى فعلت ما هو جائز، بل واجب فى الناموس».

«**فإن كنتُ أقول الحق**». وقد برهنّتُ على أن تعاليمى هى حق وصدق، بأدلة قاطعة ومعجزا باهرة، حتى لا يقدر أحد منكم- فيه ذرة من العقل- أن يشك فى صدقها «**فلماذا لستم تؤمنو بي؟**» مع إقراركم بأن سيرتى بارة وطاهرة، وتعاليمى صحيحة؟ إن ذلك دليل على كبريائكـ وعماوة قلوبكم.

٤٧- «الذى من الله يسمع كلام الله. لذلك أنتم لستم تسمعون، لأنكم لستم من الله».

كأنه قال إن الذى يحب الله ويثق بكلامه. وبالتالى يُدعى إبناً له. والذى يحب الشيطان يُصدّ كلامه. ولذا يُدعى إبناً له. فما دُمتم إنكم لا تقبلون كلام الله ولا تطيعونه ولا تسمعون له، فأنت لستم أولاده بل أولاد الشيطان.

٤٨- فأجاب اليهود وقالوا له «ألسنا نقول حسناً إنك سامرى وبك شيطان»؟.

كأنهم قالوا: كيف تقول لنا إننا أولاد ابليس؟ أنتَ لستَ بيهودي، بل أنت سامري. فأنت إذ عدو لليهود، ولابُد أن الذى حَمَلك على عداوتنا وإهانتنا هو الشيطان. ويسأل المفسرون لماذا د اليهود يسوع سامرياً مع علمهم الأكيد أنه يهودى صميم، وأن ولادته كانت ببيت لحم. وتربيته فـ الجليل؟

والجواب أنهم لما عجزوا عن رد البرهان بالبرهان، لجأوا إلى الشتيمة والكذب مقتدين فى ذلك بأبيهم إبليس.

٤٩- اجاب يسوع «أنا ليس بى شيطان، لكنى أكرم أبى وأنتم تهينونني. ٥٠- أنا لستُ أطلب مجدى. يوجد من يطلب ويدين».

كأن يسوع قال لهم: «إننى اعلمكم إكرام الآب. والواقع إن الشيطان يُعَلِّم الناس أن يعصوه تعالى ويغيظوه بأعمالهم الشريرة. فأنا لستُ إذن مقلداً الشيطان، لأن الذى يقوده الشيطان لا يحث الناس على إكرام الله وطاعته ومحبته مثلي.

ومع كل ذلك «**أنتم تهينونني**» وتغيظون بذلك الله الآب، وتُغضبونه، لأن الذى يُهين الرسول، يُهين الذى أرسله، وأنا لسّتُ أطلب مجدى، بل مجد أبى، فليس بى شيطان، لأنى لا أختلس مجد الله، كما اختلسه الشيطان، ومع إهانتكم لى لا أنتقم لنفسى لأنه «**يوجد من يطلب ويُدين**». وذاك هو الله الآب، فإنه سوف يُدين كل الذين افتروا عليَّ، ويجازى كل واحدٍ بما يستحق، حسب عمله.

٥١- «الحق الحق أقول لكم إن كان أحد يحفظ كلامي، فلن يرى الموت الى الأبد».

أظهر المسيح بهذا القول الفرق العظيم، بين عمله وعمل إبليس، لأن المسيح واهب الحياة للذين يحفظون كلامه. فيحييهم فى هذا العالم الحياة الروحية، أى يحفظهم بنعمته من السقوط فى الخطية. ويمنحهم بعد موت الجسد حياة المجد والسعادة الدائمة، بأن يُقيمهم فى اليوم الأخير، ليرثوا المجد السماوي. وأما إبليس فإنه قتّال (مُهلك) للناس منذ البدء (**فهو يُهلك البشر بعثراته**).

٥٢- فقال له اليهود «الآن علمنا أن بك شيطاناً. قد مات إبراهيم والأنبياء. وأنت تقول إن كان أحد يحفظ كلامى فلن يذوق الموت الى الأبد»!!

كأنهم قالوا: «الآن قد تأكدنا أن بك شيطاناً، كما قلنا. فإنك تقول إن الذى يحفظ كلامك لن يذوق

الموت، مع أن أبانا إبراهيم والأنبياء قد حفظوا كلام الله وذاقوا الموت. فأنت تجعل نفسك أعظ
من الله».

ويظهر من هذا أن اليهود فهموا أن الموت فى كلام المسيح هو الموت الطبيعى. والواقع
المسيح قصد **الموت الروحي**، أى هلاك النفس. وهذا الموت لم يذقه إبراهيم ولا الأنبياء
القديسون.

٥٣- «ألعّلك أعظم من أبينا إبراهيم الذى مات. والأنبياء ماتوا. من تجعل نفسك؟»

أى فمن أنت، حتى تمنح للذين يحفظون كلامك ان لا يذوقوا الموت؟ ألعّلك أعظم من الآ
والأنبياء؟ ويظهر من كلامهم، أنهم لم يعلموا أن يسوع ليس مجرد إنسان، أو علموا وتجاهلوا.

٥٤- أجاب يسوع «إن كنت أُمِجّد نفسي، فليس مجدى شيئاً. أبى هو الذى يُمجِّدني، الذى تقولون أنتم أنه إلهكم. ٥٥- ولستم تعرفونه. وأما أنا فأعرفه. وإن قلت إنى لستُ أعرفه أكون مثلكم كاذباً. لكنى أعرفه وأحفظ قوله».

كأن يسوع يقول: اننى لو إدعّيت لنفسى شيئاً من المجد أو السلطان أو القوة، خلاف مجد الآ
وقوته وسلطانه، لكنتم مُحقّين، إذا قلتم أن ما ادعيّته ليس شيئاً ولكن «**ابى هو الذى يُمجّدني**
فقد أظهرت إننى أعظم من الآباء والأنبياء. وأثبّتُ دعوّاى بما أجريّته من المعجزات.

وذلك الله الآب «**تقولون أنتم أنه إلهكم**» بقولكم إنه «إله إبراهيم وإسحق ويعقوب، فتدعو
إنه الهكم». والحقيقة انكم «**لستم تعرفونه**» لأنكم لو كنتم تعرفونه حق المعرفة ماكنتم تُنكرو
شهادته لي، وما كنتم ترفضونني. «**وأما أنا أعرفه**» معرفة ذاتية كاملة، لا معرفة مكتسبة، لأن
والآب واحد فى الجوهر.

«**وإن قُلت إنى لستُ أعرَفه أكون مثلكم كاذباً**». فقد قُلتم إنكم تعرفونه. والواقع إنك
تجهلون أنه مثلث الأقانيم، وإننى إبنه الكلمة المتجسد». «**ولكننى أعرفه وأحفظ قوله**» فإن

أعرفه المعرفة الذاتية. فأعرف قدرته وقدوسيته، وسائر صفاته الكاملة، ولأنى وهو ذات واحدة. فأحفظ قوله، لأنه قولى أيضاً.

٥٦- «أبوكم إبراهيم تهلّل بأن يرى يومي، فرأى وفرح».

أى تمنّى إبراهيم أن يُشاهد هذا الوقت الذى يأتى المسيح فيه بركة وخلاصاً للعالم. فرآه بالنية والإيمان، وفقاً لقول الرسول عن إبراهيم وسائر الآباء والأنبياء. «فى الايمان مات هؤلاء أجمعون وهم لم ينالوا المواعيد، بل من بعيدٍ نظروها وصدُّقوها وحيُوها» (عب ١١:١٣).

ولما أمره الله أن يذبح إبنه قرباناً، عاين مثال صلبى (فإن ذبح إسحق كان رمزاً لصلْب المسيح). وقيل إن إبراهيم رأى يوم المسيح فى رؤيا، فتهلل بأنه فى نسله تتبارك كل أمم الأرض.

٥٧- فقال له اليهود «ليس لك خمسون سنة بعد. أفرأيت إبراهيم؟».

أى كيف وأنت لم تبلغ سن الشيخوخة بعد، فإنك مازلتَ ابن ثلاث وثلاثين سنة تستطيع أن تُشاهِد منْ مات منذ أكثر من ألفيّ سنة، حتى تقول إن إبراهيم كان يتمنى أن يرى يومك. فهل رأيت إبراهيم؟ إنك تقول المستحيل.

ويظهر من قول اليهود هذا إنهم لم يفهموا قصد المسيح من قوله «**يرى يومي**» ففسروه بأنه رأى إبراهيم، وإبراهيم رآه رؤية العين الجسدية.

٥٨- «قال لهم يسوع الحق الحق أقول لكم: قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن» ٥٩- فرفعوا حجارة ليرجموه. أما يسوع فاختفى، وخرج من الهيكل مجتازاً فى وسطهم ومضى هكذا».

صرح المسيح بقوله «قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن» أى بلاهوته، لأنه بالنظر الى ناسوته لم يكن إلا منذ أقل من خمسين سنة. أما لاهوته فكائن منذ الأزل. وحقاً كما قيل عنه «من قبل أن تولد الجبال أو أبدأت الأرض والمسكونة منذ الأزل الى الأبد أنت الله» (مز ٩٠:٢).

فلما سمع اليهود منه ذلك اعتبروه مُجدفاً. «**فأخذوا حجارة وأرادوا أن يُرجموه**». أما يسو
«**فاختفى، وخرج من الهيكل مجتازاً فى وسطهم**».

وقيل إن اختفاءَه كان معجزة، أى أن لاهوته جعل ناسوته غير منظور، فمرّ فى وسطهم بدون أ
يروه. وقيل إنه مرّ بطريقة اعتيادية، لأنه كان فى الهيكل جمهور عظيم من الناس، ومنهم أصدقا
وتلاميذه، فاختفى بينهم. وقد علّمنا المسيح بعمله هذا وجوب الهروب من غضب المتكبرين.

الإصحاح التاسع

١- «وفيما هو مجتاز رأى إنساناً أعمى منذ ولادته ٢- فسأله تلاميذه قائلين «يا مُعلّم منْ أخطأ: هذا أم أبواه حتى وُلِد أعمى»؟. ٣- أجاب يسوع: «لا هذا اخطأ ولا أبواه، ولكن لتظهر أعمال الله فيه. ٤- ينبغى أن أعمل أعمال الذى أرسلنى ما دام نهار. يأتى ليل حين لا يستطيع أحد أن يعمل».

هذه المعجزة لم يذّكرها سوى يوحنا. ويُرجّح المُفسّرون أنها حصلت عند مدخل الهيكل، حيث كان يجتمع المتسولون (أع ٣:٢) وقد صنعها يسوع علانية أمام جمهور الشعب. وكون هذا الانسان «**أعمى منذ ولادته**» جعَل إبراءه أعجب مما لو كان فَقَدَ البصر، بعد ولادته.

وسؤال التلاميذ بقولهم «**يا معلم، منْ أخطّأ: هذا أم ابواه حتى وُلِد اعمى؟**» يدل على أن اليهود كانوا يعتقدون أن مصدر المصائب وعلّتها هى الخطايا. وأن علة مصائب الأولاد قبل الولادة «خطايا» والديهم.

نعم إن الخطية سبب كل المصائب والشرور. وبلايا نسل آدم نتيجة معصيته، ولكن فى بعض الأحيان قد تكون البلايا للإمتحان وإظهار الفضل. فأيوب كان باراً وامتحنه الله بمصائب تقشعر من ذكرها الأبدان. وكثيرون غيَرَه امتحنّهم الله بمصائب فادحة، وكانوا من القديسين الأبرار.

قال يوحنا فم الذهب «إن التلاميذ لم يرتابوا فى كون الأعمى أخطأ قبل مولده بل ارتابوا فى علة مصابه بالعَمَى، قبل مولده. فمعنى قولهم «**منْ أخطأ هذا أم أبواه؟**» إن الله كثيراً ما يعاقب الأبناء بذنوب الآباء. فكثيراً ما يُولد الأولاد وهم عميان أو مُقعدون. أو مشوهو الخِلْقة. وكثيراً ما يموتون حالاً عقب ولادتهم، كما مات ابن داود المولود من الزنا. ولعل الذى حمل التلاميذ على هذا السؤال هو قوله للمفلوج عند إبرائه «ها أنت قد بَرئتَ، فلا تُخطِئ أيضاً لئلا يكون لك أشّر» (يو٥:١٤).

«أجاب يسوع، لا هذا ولا ابواه، لكن لتظهر أعمال الله فيه». قال يوحنا فم الذهب «لا يلزم من قول المسيح أن ذلك الاعمى كان بلا خطية، وأن أبويه لم يقترفا إثما. فإنه من المقرر الثابت أن الخطية الاصلية أصابت كل نسل آدم، وكذلك النتائج الصادرة عنها كالأمراض. وكل الناس زاغوا».

ولم ينكر أيضاً أن الخطايا هى العلة لكثير من المصائب والأمراض (كما صرح فى مر٢:٥
ويو٥:١٤) ولكن قصد المسيح من ذلك القول أنه لم يُحكَم عليه بالعَمَى، نظراً لخطاياه أو خطايا
والديه، بل لحكمة يعرفها الله سمح أن يفقد هذا الانسان بصره قبل أن يولد، لكى يُظهر الله قّوته
فيستنير الأعمى جسداً ونفساً. ويكون شفاؤه سبباً فى خلاص آخرين.

وقال بعض المفسرين ليس العمَى علةً فى ظهور قُدرة الله بل إن حكمة الله سمحت بحصول
العَمَى، فكانت الرحمة بشفائه علة فى ظهور القدرة. وقيل إن أعمال الله لم تكن علة فى ولادة هذا
اعمى، بل إن ولادته أعمىً كانت سبباً لإظهار أعمال الله به. فإنه لو لم يُصَب بالعَمَى، لما احتاج
الى الشفاء. ولو لم يقبل الشفاء. لمَاَ أظهر المسيح فيه تلك المعجزة الكُبرَى. ولو لم تحصل هذه
المعجزة لما آمن هو ولا آمن غيره بسببه.

والنهار فى قوله «**ينبغى أن أعمل أعمال الذى أرسلنى مادام نهار. يأتى ليل حين لا يستطيع أحد أن يعمل**» يريد به زمان حياته له المجد فى الجسد على الأرض.

وأراد بالليل وقت موته، وغيبته بالجسد عن الأرض. فكأنه قال إننى فى المدة الباقية من خدمتى
أعمل أعمال الذى أرسلنى، أى أعمال القوة والمحبة والرحمة، وكل الاعمال المختصة بفداء العالم
وخلاصه.

وهذا لا يُنافى إنه بعد صعوده يُجرِى أعمَالَه فى الكنيسة والعالم بروحه. وقيل إن معناه إنه لابد
أن يشفىَ الأعمى فى ذلك اليوم (يوم السبت)، ولا يُبقّى شفاءه الى يومٍ آخر.

٥- «مادُمتُ فى العالم فأنا نور العالم»

كأنه يقول كما أنه من خاصية النور أن يُضئ. وبما إنى أنا النور الحقيقى، فينبغى أن أنير
عينيَّ هذا الأعمى، لأُظهّر إننى نور العالم وشمسه. وإنارة العيون الجسدية رمز إلى إنارة العيون
الروحية، التى هى النفوس (البصيرة الروحية).

٦- «قال هذا وتفل على الأرض وصنع من التفل طيناً، وطلى بالطين عيَّنى الأعمى».

قال يوحنا فم الذهب «إن المسيح أنار الأعمى بواسطة الطين، وهو مُضَّر وجالب العَمَى، ليُبيِّن أنه شفاه بقوة تفوق الطبيعة. لا بقوة طبيعية. وأنه جابل الجُبلَة الطبيعية وخالق البشرية بأسْرها. وليوضح لنا أنه غير مُقيّد بوسيلة واحدة لإظهار آياته وعجائبه. فتارة يشفى المريض بكلمة، وتارة باللمس، وتارة بالتفل فى عينيه، ووضع يديه عليه» (مر٨:٢٣).

٧- وقال له «إذهب اغتسل فى بركة سلوام». الذى تفسيره مُرّسل. فمضى واغتسل وأتى بصيراً.

«**سلوام**» هى عين فى سفح جبل صهيون يجرى ماءُها ساعات وأيام ثم يختفى. وسميت سلوام بمعنى المرسلة او المبعوثة، لأن ماءِها كان يُنقل لسقى البساتين. وقال بعض المفسرين إن سبب إرسال المسيح ذلك الأعمى اليها ليُذكّره إن الذى شفاه. هو مُرسل من الله، لأن المسيح يُسمىَّ (شيلون) كما ورد فى (تك٤٩:١٠) وشيلون العبرية لفظها بالسريانى «سلوام».

وقال يوحنا فم الذهب إنه أرسله الى بركة سلوام ليمر فى طريقه إليها فى وسط المدينة. فيشهد آخرون بعماه وبرئه منه.

«**فمضى واغتسل وأتى بصيراً**» ليس بقوة الإغتسال بالمياه، بل بقوة المسيح. وقد شُفِيَت نفسه أيضاً، بطاعته لأوامر المسيح والإيمان به.

٨- فالجيران والذين كانوا يرونه قبلاً أنه كان أعمى، قالوا «أليس هذا الذى كان يجلس ويستعّطى؟» ٩- آخرون قالوا «هذا هو». وآخرون «إنه يُشّبهه». وأما هو فقال «إنى أنا هو». ١٠- فقالوا «كيف انفتحت عيناك؟» ١١- أجاب ذاك وقال: «إنسان يُقال له يسوع صنع طيناً وطلى عينيَّ وقال لى اذهب الى بركة سلوام، واغتسل. فمضيتُ واغتسلتُ فأبصرتُ». ١٢- فقالوا له «أين ذاك؟». قال «لا أعلم». ١٣- فأتوا الى الفريسيين بالذى كان قبلاً أعمى. ١٤- وكان سبت حين صنع يسوع الطين وفتّح عينيه. ١٥- فسأله الفريسيون أيضاً «كيف أبصر؟». فقال لهم «وضع طيناً على عينيَّ واغتسّلتُ. فأنا أُبصِر».

إن عِظَم الاعجوبة أورث المشاهدين الحيرة، حتى كادوا لا يُصدُّقون أنه هو الذى كان أعمى
لكنهم لما تفرسُوا فيه تأكدوا أنه بعينه، وخاصة جيرانه، والذين اعتادوا أن يمروا به، أو يعط
صدقةً. أما الذين كانوا لا يرونه إلا نادراً فقالوا «**إنه يُشّبهه**» وكل هذا يدل على أن إنفتاح عين
قد غيّر فى منظره بعض التغيير.

فلما أكد لهم بنفسه قائلاً «**إنى أنا هو**»، أرادوا ان يعرفوا منْ الذى شفاه؟ «**فقالوا كيف
انفتحت عيناك؟**» فأجابهم بالواقع، وذكر لهم اسم المحسن إليه أى يسوع. أما عن سؤالهم ع
مكانه، وجواب الذى كان أعمى بأنه لا يعلم، فيدل على أن المسيح شفاه، ثم اعتزل عن الجمع، فرا
من المدح. إذ لم يكن يطلب مجدَه. ليُعلّمنا أن لا نطلب المجد الباطل (مديح الناس).

فأخذ الجميع «**الذى كان قبلاً اعمى**» وأتوا به الى الفريسيين. وكان بعضهم يقصد فحص
هذا العمل الغريب، والأكثر يقصدون شكاية يسوع، لكونه أبرأه فى السبت. وكان هذا بتدبير الل
لتشتهر الأعجوبة أكثر، وتشهد بصحة تعليم المسيح. وذكر البشير أنه «**كان سبت حين صنع
يسوع الطين وفتح عينيه**» ليُبيِّن السبب الذى من أجله أبغض اليهود المسيح وقاوموه. إذ زعم
أن عمل الرحمة مُخالِف للسبت، والواقع إنه تقدّيس للسبت، لا مُخالفةً له.

فسأل الفريسيون الذى كان أعمى «**كيف أبصر**».؟ فأجابهم بواقع الحال باختصار. ويظهر م
عدم ذكره إسم يسوع أنه كان يعرف خبث نيتهم، فأراد أن يجتنب ذِكر ما يُهيّجهم. ولعله لم يذ
اسمه، لأنه معلوم، أو أن الذين أخذوه الى الفريسيين ذكروا لهم إسم يسوع فعلاً.

**١٦- فقال قوم من الفريسيين «هذا الانسان ليس من الله، لأنه لا يحفظ السبت».
آخرون قالوا: «كيف يقدر خاطىء أن يعمل مثل هذه الآيات؟». وكان بينهم
انشقاق.١٧- قالوا أيضاً للأعمى «ماذا تقول أنت عنه من حيث أنه فتّح عينيك؟».
فقال إنه «نبى». ١٨- فلم يُصدِّق اليهود عنه أنه كان أعمى فأبصر، حتى دعوا
أبويّ الذى أبصر. ١٩- فسألوهما قائلين «أهذا إبنكما الذى تقولان إنه وُلد أعمى؟.
فكيف يُبصِر الآن؟». ٢٠- أجابهم أبواه وقالا «نعلم أن هذا إبننا وأنه وُلِد اعمى».
٢١ «وأما كيف يُبصر الآن فلا نعلم. أو منْ فتّح عينيه، فلا نعلم. هو كامل السن.
أسألوه فهو يتكلم عن نفسه».**

الذين قالوا عن المسيح «**هذا الانسان ليس من الله لأنه لا يحفظ السبت**»، هم اليهود المنافقون الذين اتخذوا الدين ستاراً لحقدهم، وبُغضهم للمسيح. فإنه قد برَّهن لهم ببراهين قاطعة أن أفعال الرحمة ليست جائزة فقط فى السبت بل واجبة أيضاً.

أما الذين قالوا «**كيف يقدر إنسان خاطىء أن يعمل مثل هذه الآيات**»؟ فهم ذوو الفطنة، الذين لا يذهبون مع الهوى. فإنهم وإن لم يُصّرحوا جهاراً إن اعماله تدل أنه نبى، إلا انهم صرَّحُوا بما يفيد ذلك ضمناً، ويفيد صراحةً أن الذى معه الله لا يمكن أن يكون رفيق الشيطان.

فلما حصل بينهم الإنشقاق، سألوا «**الأعمى**» باعتبار ما كان «**ماذا تقول أنت عنه من حيث انه فتّح عينيك**»؟ متعشمين أنه ينقض كلامه: «**فقال إنه نبى**» ولو كان قال «**النبى**» لكان أصاب الحق تماماً، ولكنه على كلٍ أظهَّر شجاعةً، أمام قومٍ أغلبهم أعداء المُخلِّص.

فلما خجل الفريسيون بجواب الأعمى، لجأوا الى حيلة. وهى أن يسألوا والديه عسى أنهما يُكذّبان إبنهما ويُنكران إنه وُلِد أعمى، إكراماً لخاطرهم. فأظهر الوالدان صدق ولدهما. وأما منْ فتّح عينيه، وكيف فتحهّما فلا يدريان، ويظهر من قولهما «**هو كامل السن**». إن ولدهما بلغ الثلاثين من عمره، لأن السن الكامل عند اليهود هو من الثلاثين فما فوق.

أما السبب الذى حَمَل الوالدين على أن يقولا: «**لا نعلم منْ فتَّح عينيه؟ أو كيف أبصر؟**» فقد أوضحه البشير، كما سنرى فيما يلى:

٢٢- قال أبواه هذا لأنهما كانا يخافان من اليهود. لأن اليهود كانوا قد تعاهدوا أنه إن اعترف أحد بأنه المسيح يُخرُج من المجمع. ٢٣- لذلك قال ابواه: «إنه كامل السن اسألوُه».

يُراد بالإخراج من المجمع، الحْرم من الحقوق الدينية والمدنَّية. إما لمدة معينة. وإما لمدى الحياة. وكان يجوز أن يُقَرن الحرْم بجواز رجم المحروم، وهو عقاب هائل. ولذا خاف الوالدان أن يعترفا بالمسيح. وأحالا المسألة على إبنهما.

فهل يخاف الإنسان البشر؟ أم الله الديَّان القدير؟!.

٢٤- فدعوا ثانيةً الانسان الذى كان أعمى، وقالوا له «اعطِ مجداً لله. نحن نعلم أن هذا الانسان خاطئ». ٢٥- فأجاب ذاك وقال: «أخاطيء هو؟. لستُ أعلم. إنما أعلم شيئاً واحداً: إنى كنتُ أعمى والآن أُبصِر». ٢٦- فقالوا له ايضاً «ماذا صنع بك؟ كيف فتّح عينيك؟ ٢٧- أجابهم «قد قُلتُ لكم ولم تسمعوا. لماذا تريدون أن تسمعوا أيضاً؟. ألعلكم أنتم تريدون أن تصيروا له تلاميذ؟»».

وقُولهم «**أعطِ مجداً لله**» هو نوع من الحلفان، كان يستعمله العبرانيون. والإنسان فى قوله «**نحن نعلم أن هذا الانسان خاطىء**»، يريدون به يسوع.

أما الذى كان أعمى فلم يسلّم بهذه التهمة وقال «**أخاطيء هو. لستُ أعَلم إنما أعلم شيئاً واحداً: إنى كنتُ أعمى والآن أُبصر**». وهذا لا يقدر أن يعمله رجل خاطيء.

فلما رأوه ثَبتَ على شهادته الأولى استعادوه لسرد القصة، لعله يُخطيء، فى إعادة الحديث فيجدون منفذاً يتخلصّون به من حيرتهم. فقال لهم «**إنكم لم تُصدّقوا كلامى**». هل «**تُريدون أن تصيروا له تلاميذ**» لان كثرة فحصكم تستلزم ذلك الإستنتاج.

٢٨- فشتموه وقالوا أنت تلميذ ذاك. وأما نحن فإننا تلاميذ موسى. ٢٩- نحن نعلم أن موسى كلَّمه الله. وأما هذا فما نعلم من أين هو؟». ٣٠- أجاب الرجل وقال لهم «إن فى هذا عجباً. إنكم لستم تعلمون من أين هو، وقد فتحّ عينىَّ.
٣١- ونعلم إن الله لا يسمع للخُطاة. ولكن إن كان أحداً يتقّى الله ويفعل مشيئته، فلهذا يسمع. ٣٢- منذ الدهر لم يُسمع أن أحداً فتّح عينىَّ مولوداً أعمى. ٣٣- لو لم يكن هذا من الله لم يقدر أن يفعل شيئاً».

إن شتيمة الفريسيين للذى كان أعمى، تدل على شدة حُنقهم وغيظهم. وأما ادعاؤّهم بأنهم لا يعرفون من أين أتى يسوع، فدليل على غباوتهم وتعنتّهم، لأن الذى يعمل مثل تلك العجائب التى لم يقدّر موسى ولا الأنبياء أن يعملوا مثلها، لابُد أن يكون مُرسَّلاً من الله. وهذا الاستنتاج قد فَهِمه الرجل الذى كان أعمى، مع أنه لم يكن عالماً بالكتب مثلهم.

قال لهم «**عجباَ. إنكم لستم تعلمون من أين هو وقد فتّح عينّى**» إنه كان يجب عليكم ذلك بصفتكم قادة الشعب فى الروحيات. فكيف لا تعرفون يسوع من أين هو؟ ومن أين سلطانه. وهو

قد صنع معجزة لا يستطيع أحد أن يفعلها من البشر، نحن «**نعلم أن الله لا يسمع للخُطاة**» فهل سمعنا فى زمن من الأزمان أن الله سمع لنبى كاذب، أو لمعلم محتال أو لمسيح دجّال؟!.

فقد رأينا إنه سمع للنبى إيليا. ولكنه تعالى لم يسمع لكهنة البعل. «**ولكن إن كان أحد يتقيَّ الله ويفعل مشيئته فلهذا يسمع**». فيسوع إذن ليس بخاطئ كما تَدعُون باطلاً، بل هو من الله، لأننا «**منذ الدهر لم نسمع أن أحداً فتحّ عينىّ مولود أعمىً**».

فها هى أخبار الكتاب وحوادث العجائب مدوُنة فيه واحدة فواحدة، وليس بينها أن نبياً فتحَ عينىّ مولود أعمى. فينتُج من ذلك أن يسوع أعظم من جميع الأنبياء على الإطلاق.

والنتيجة لهذه المقدمات، أن يسوع مُرسَّل من الله. فدعوَّاكم إنكم لا تعرفون من أين هو، تدل على كبريائكم وحقدكم عليه، بدون مُبرر.

٣٤- أجابوا وقالوا له «فى الخطايا وُلدت أنتَ بجُملَّتك وأنت تُعلَّمنا؟» فأخرَجوه خارجاً.

لما خاب أمل الفريسيين فى حْمل الأعمى على إنكار الأعجوبة. إلتجأوا الى شتيمته. فلما لم يفلحوا بهذه أيضاً، انتقموا منه شر إنتقام: «**فأخرجوه خارجاً**» أى قطعوه وحرموه من حقوقه المدنية والدينية، كما شرحنا ذلك (فى شرح الآية٢٢). وقولهم له «**فى الخطايا وُلدّتَ بجُملتك**»، يدل على أنهم كانوا يعتقدون أن ولادته أعمى من بطن أمه، دليل على أنه خاطىء نفساً وجسداً.

٣٥- فسمع يسوع أنهم اخرَّجوه خارجاً. فوجده وقال «أتؤمن بابن الله؟» ٣٦- أجاب ذاك وقال: «منْ هو يا سيد لأومن به»؟. ٣٧- فقال له يسوع «قد رأيته والذى يتكلم معك هو هو» . ٣٨- فقال «أومن ياسيد، وسجد له».

كون يسوع سمع الناس ينشرون خبر طرد الذى كان أعمى، وحْرمه من المجمع، لا يُنافِى إنه عالم المستورات. وقوله «**أتؤمن بابن الله**»؟ أى المسيح الموعود به. فلم يكتفِ المسيح بشفاء جسده، بل تحنن عليه وأراد ان يُنير قلبه بالإيمان. فقال الأعمى «**من هو يا سيد لأومن به**»؟ لأنه لم يكن قد رآه قبل فتح عينيه لعماه. وبعد شفائه خطفه الفريسيون، فلم يتمكن من العودة لرؤية الذى شفاه.

وغاية ما اعتقد فيه أنه نبى مُرسّل من الله وقادر أن يصنع معجزات بإذن الله. ولم يقدر آخ
أن يعملّها. فصرَّح له المسيح بأن الذى تشاهده الآن بعينيك وتسمع صوته بأذنيك، هو **ابن الله**

«**فقال أومن يا سيد**» إنك ابن الله حقيقةً. وها أنا أسجد لك، لأنك ربى وإلهى. قال المفسرو
ومن العجيب إن الفريسيين لم يطلبوا أن يقتلوا يسوع هذه المرة لإبرائه الأعمى فى يوم السبت، ك
أرادوا قتله عندما أبرأ المفلوج فى سبت.

٣٩- فقال يسوع «لدينونة أتيتُ أنا إلى هذا العالم حتى يُبصر الذين لا يُبصرون، ويعمى الذين يُبصرون». ٤٠- فسمع هذا الذين كانوا معه من الفريسيين، وقالوا له «ألعلّنا نحن أيضاً عميان؟». ٤١- فقال لهم يسوع «لو كنتم عمياناً لَمَا كانت لكم خطية ولكن الآن تقولون إننا نُبصر، فخطيتكم باقية».

كأن يسوع قال «أتيتُ لهذا العالم لإعلان مافى قلوب المؤمنين، وغير المؤمنين، وتمّييز الأبرا
من الأشرار. فأُنير الذين كان يظهر أنهم عميان، لجهلهم بالله وأمور الخلاص. وأُرذِل المُتكبِّري
الذين رفضونى ـ أنا الينبوع الحى ـ مثل الفريسيين».

فالذين كان يحسبهم الفريسيون عمياناً، أهبهم البصيرة الروحية لتواضعهم وبساطتهم، فيرو
طريق الحق والخلاص. وأما الذين يحسبون أنفسهم أنهم لا يحتاجون الى النور، وأنهم الحُكما
والفُهمَاء، فهؤلاء يُترَكون فى الظلمة التى اختاروها لأنفسهم، حتى يأتيهم هلاكهم بغتة.

فلما سمع الفريسيون هذا الكلام قالوا: لعلنا «**نحن أيضاً عميَّان**». والمعنى «إنك توبخنا بأنن
عُميَّ القلوب والنفوس، مع إننا علماء الشريعة، فكيف تتجاسر على ذلك؟» فقال لهم ما معناه: «ل
كنتم عمياناً لجهلكم بالكتاب المقدس والشريعة الطبيعية، ولا قدرة لكم على تمييز الحلال م
الحرام، لَمَا كنتُ أدينكم على عدم معرفتكم إنى أنا المسيح».

«ولكن بما أنكم تُقرُّون أن لكم وسائط معرفة الحق، وأنكم حُكماء وأنكم قادرون على تمييز
المُرسل من الله، والمُرسل من الشيطان «**فخطيتكم باقية**» لأن عماكم عن الحق اختيارى. فق
أصرَّرتُم على عنادكم، ولم تؤمنوا إنى أنا المسيح، مع أنه قد برَهنّت على ذلك النبوات العديد
ومعجزاتى وكلماتى، ونور العقل ونور الضمير، فأغمضتم عيونكم عن الحق والإعلان السماوى
فلا رجاء لكم فى الخلاص».

الإصحاح العاشر

١- «الحق الحق أقول لكم إن الذى لا يدخل من الباب الى حظيرة الخِرَاف بل يطلع من موضع آخر، فذاك سارق ولص. ٢- وأما الذى يدخل من الباب فهو راعى الخراف».

قيل إنه يُريد «**بباب حظيرة الخراف**» الشريعة القديمة. والخراف يريد بهم أهل هذا العالم. والبواب يشير به الى موسى، الذى رعى الشعب بالناموس. ورَاعِى الخراف يشير به الى المعلم الصالح، الذى يتصرّف حسب الحق، والشريعة. ويحث الناس على أن يتصرّفُوا بحسبها.

واللص أوالسارق يريد به الذى يتصرَّف بعكس ذلك. فكأنه يقول «لننظر منْ منا يستحق أن يكون فى رئاسة كرسى التعليم؟ ومنْ هو الحافظ للوصايا؟» والحقيقة إنى «أنا وحدى المُتصِف بتلك الصفات. وأما أنتم فليس فيكم صفة واحدة من صفات الراعى الحقيقى».

«فأنا بالواجب أسَمَّى راعياً، لأننى حريص على ما يصلُح للغنم. ولذا إذا تركتُ أنا إنساناً فهو مطروح وساقط من الحق. ومن تطرَحُونَه أنتم أقبلّه انا بالواجب».

وقيل إنه يُراد بالحظيرة «الكنيسة» وبرب الحظيرة رب الكنيسة، وهو الله الآب وبالباب «المسيح» وبالبواب «الروح القدس» وبالخراف «جميع المؤمنين». فالرعاة والرؤساء الحقيقيون إنما هم الذين يدخلون الكنيسة بالمسيح، ويفتح لهم الروح القدس الباب، لأن الايمان بالمسيح من مواهب الروح القُدس (غل ٥:٢٢).

وأراد المسيح بقوله «**فذاك سارق ولص**» الفريسيين، لأن أعمالهم فى رعية الله كانت أعمال سُرَّاق ولصوص.

والسَارق منْ دخل الحظيرة، بالمكر خفية، واللص من دخل إجباراً وعلانيةً. وقيل إن «الراعى» هو المسيح، يدخل من الباب، أى بنفسه، إلى الكنيسة، لأنه يدخل. بسُلطانه، وأما الرُعَاة الآخرون، فيدخلون بسلطان يستمدُّونه منه.(١)

(١) يُقرأ هذا الإصحاح، عند رسامة الآباء البطاركة والأساقفة الأقباط.

٣- «لهذا يفتح البواب والخراف تسمع صوته. فيدعو خرافه الخاصة بأسماء ويُخرّجها. ٤- ومتى أخرّج خرافَه الخاصة يذهب أمامها، والخِراف تتبعه، لأنها تعرف صوته. ٥- وأما الغريب فلا تتبعه بل تهرب منه، لأنها لا تعرف صوت الغُرباء».

البواب هو الروح القدس، لأنه هو الذى يفتح قلوب الناس لقبول التعليم الصحيح. وقو «**والخراف تسمع صوته**» معناه كما أن الخراف تعرف صوت الراعى وتُطيعه وتسير وراء كذلك الشعب يقبل التعليم من الراعى الأمين، لأنهم يعرفون أنه من الله.

وكما أن راعى الخراف «**يدعُو خَرافَه الخاصة بأسماء ويُخرّجها**» الى المراعى الخص والمياة العذبة. هكذا راعى جماعة المؤمنين، فإنه يقود المؤمنين الى طريق الاستقامة، ويبذ جهده فى تحصيلهم المعارف الدينية، ونيل البركات الروحية.

«**ومتى أخرَّج خرافَه الخاصة، يذهب أمامها والخراف تتبعه، لأنها تعرف صوته**». فكما راعى الخراف يمشى أمامها ليحميّها من الذئب، ويهديها إلى المرّعى الخصيب، هكذا الراعى الأمي يقود النفوس إلى فاديهم العظيم، متشبهاً فى ذلك بالمسيح «**الراعى العظيم**» الذى ذهب أمام شع فى طريق التواضع وإنكار الذات. وفى حَمِلْه الصليب، ودخوله القبر، ثم صعوده الى السماء.

وبالجملة يجب على كل راعٍ أن يتقدّم المؤمنين بفضائله، ومثال سيرته الفاضلة. والغريب ف قوله «**وأما الغريب فلا تتبعه**» يريد به المُعلِم المُضِل والخادع النفوس، الذى يُشابه الفريسيي فإن مثل هذا لا يتبّعه المؤمنون بل يعرفون حيله، بإرشاد الروح القدس، ويهربون منه، أى يصغون لضلاله فى تعاليمه.

٦- هذا المَثَل قاله لهم يسوع. وأما هم فلم يفهموا ماهو الذى كان يكلّمهم به. ٧- فقال لهم يسوع أيضاً «الحق الحق أقول لكم إنى أنا باب الخراف. ٨- جميع الذين أتوا قبلى هُم سرّاق ولصوص. ولكن الخراف لم تسمع لهم. ٩- أنا هو الباب. وإن دخل بى احد فيَخلُص ويدخل ويخرج ويجد مرعىً».

أعّمت الكبرياء أذهان الفريسيين. فلم يفهموا مثَل الراعى. ولو كانوا من خراف المسيح لسمعوا صوته وفهموا كلامه، لأنه واضح من نفسه. فأخذ المسيح يشرح لهم المسألة بايضاح أوفر. فقال **إنى انا هو باب الخِرَاف**» فلا يمكن لأحد ـ راعيا كان أو رعية ـ أن يدخل الكنيسة ـ ولا السماء إلا بى. وأما «**جميع الذين أتوا قبلى هم سُرَّاق ولصوص. ولكن الخراف لم تسمع لهم**» أولئك ليس هم الأنبياء الذين أرسلهم الله، وتوضحت إسماؤهم فى العهد القديم، بل المقصود بهم الذين أتوا قبّله **مُدّعين أنهم المسيح**، مثل يهوذا الجليلى وتيوداس وغيرهما (أع٥: ٣٦-٣٧). فإن هؤلاء لم تسمع لهم الخراف. فثقوا إنى ـ أو أنا ـ هو الباب. إن دخل بى أحد (عن طريقى) فيخلُص **ويدخل ويخرج ويجد مرعىً**».

«فمن سمع صوتى وآمن بى يدخل كنيستى، فيتبرر، وينال الخلاص. وإذا احتاج الى ما يُغذِى نفسَه، فيخرج الى المَراعِى الروحية الخصيبة. وأنا أحمّيه من أعداء نفسه».

وقال يوحنا فم الذهب إن المقصود بالدخول والخروج أن منْ يؤمن يسلك بحرية. وكل ما يفعله داخل الحظيرة، أو خارجا عنها (من ممارسات) من أجل المسيح يجد به مرّعىً لنفسه» (حاجته الروحية).

١٠- «السارق لا يأتى إلا ليسّرق ويذبح ويُهلِك. وأما أنا فقد أتيتُ لتكون لهم حياة وليكون لهم أفضل».

بهذا القول أبان الرب يسوع الفرق ما بين قصد الفريسيين والمعلمين الكذبة وما بين مقصوده. فالفريسيون ومنْ شَاكَلهُم من المُضلِّين إنما يطلبون مصالح أنفسهم، من الكرامة والغِنىَ. ولا يهتمون بمصالح الرعية، بل يعملون على هلاكها.

أما المسيح، فنزل من السماء الى الأرض، لا من أجل نفسه، بل من أجل المؤمنين، ليعتقهم من عبودية الخطية، وليمنحهم الحياة الروحية الفُضّلى على هذه الأرض بالنعمة، والحياة الأبدية السعيدة فى السماء.

وقال يوحنا فم الذهب عن قول الرب «**وليكون لهم أفضل**» فإنه يعطيهم ما يجعل تلك الحياة

فى أعلى درجات السعادة الروحية، وحتى تكون أفضل من الحياة التى فقدها آدم بمعصيته لأنها كانت قابلة للفُقدان. أما الحياة السعيدة التى يهبَّها المسيح للمؤمن فأبدية ولا تضيع أبداً.[1]

١١- «أنا هو الراعى الصالح. والراعى الصالح يبذل نفسه عن الخراف. ١٢- وأما الذى هو أجير وليس راعياً، الذى ليست الخراف له، فيرى الذئب مُقبلاً، يترك الخراف ويهرب. فيخطف الذئب الخراف ويُبددَّها.١٣- والأجير يهرب لأنه أجير ولا يُبالى بالخراف».

قال يوحنا فم الذهب: «إن المسيح بموته منح المؤمنين به الحياة الأبدية السعيدة. والأنبياء والرُسل، وإن ماتوا من أجل الايمان، فلم يكن المؤمنون خرافهم، بل خراف المسيح. ولم ينقذوهم بموتهم من الخطية، بل الذى أنقذهم يبذله نفسه عنهم، إنما هو المسيح.

وأما الأجير فلا يُعّرِض نفسَه للخطر فى الدفاع عن الخِرَاف، بل بمجرد أن يرى الوحوش المفترسة مُقبلة يهرب.

وهكذا الراعى الغير الأمين، فإنه لا يحتمل الخطر لخير رعيته، بل لا يُبالى بنفوسها فيهرب ويتركها فريسة للتعاليم الفاسدة. والأجير يُراد به هنا الذى يطلب ماهو لنفسه، لا ما هو للمسيح.

ولا يلزم من قوله «**والأجير يهرب**» أنه لا يجوز قط للراعى الروحى الأمين أن يهرب فى بعض الاحوال لحفظ حياته. فقد هرب بولس من دمشق، وبرنابا من إيقونية. وهرب كثيرون من الآباء البطاركة واختفوا من وجه الأعداء حتى زال الخطر، ثم عادوا إلى رعيتهم وقيادتهم لها (مثل البابا أثناسيوس الإسكندرى).

١٤- «أما أنا فإنى الراعى الصالح، وأعرف خاصتى، وخاصتى تعرُّفنى.

١٥- كما أن الآب يعرفنى وأنا أعرف الآب. وأنا أضع نفسى عن الخراف».

(١) يتمتع المؤمن بثمار الروح القدس كلها (غل٥: ٢٢-٢٣) بممارسة وسائط النعمة والخلاص.

١٦- «ولى خراف أُخَرَ ليست من هذه الحظيرة، ينبغى أن آتى بتلك أيضاً. فتسمع صوتى وتكون رعية واحدة وراعٍ واحد. ١٧- لهذا يحبنى الآب لأنى أضع نفسى، لآخذها أيضاً. ١٨- ليس أحد يأخذها منى، بل أضعها أنا من ذاتى. لى سلطان أن أضعها، ولى سلطان أن آخذها أيضاً. هذه الوصية قبلتُّها من أبى».

قال يوحنا فم الذهب: كما أن الراعى الأمين يعرف كل واحدة من غنمه. هكذا المسيح يعرف كل شخص من شعبه. وكل المؤمنين يعرفونه. فهو يعرف ضيقاتهم وتجاربهم واحتياجاتهم، وهو يحبهم. وهم يعرفونه صديقاً ومُخلّصاً، ومحامياً عنهم. يسمع صلواتهم ويعتنى بهم. فمغنطيس المحبة هو المحبة. فان شئت أن تُحَبَّ فحِبْ أولاً.

«**وقوله كما أن الآب يعرفنى وأنا أعرف الآب**» فيه مقابلة بين معرفته بالآب ومعرفة الآب به. وبين معرفته بالمؤمنين. ومعرفة المؤمنين به، ليس بالمقدار (الكم) بل بالنوع (الكيف). وقوله «وأنا أضع نفسى عن الخرَاف» معناه أنه يموت عنها ليُحييّها بموته.

والخراف الأُخَر التى له، وليست من هذه الحظيرة، **هم الأمم**. وقد تمت هذه النبوّة. فقد سمع الوثنيون وتركوا أباطيلهم وآمنوا وأطاعوا وهم يتمتعون بالمواعيد التى اختصت بها أمته. والكل صاروا «**رعية واحدة**» اذ بَطُل التمييز ما بين اليهود والأمم «**لأنه هو سلامنا الذى جعل الإثنين واحداً**» (أف ٢:١٤) «**ولراعٍ واحد**». وهو الرب يسوع.

وقوله «**لهذا يُحبنى الآب**» منذ الأزل «**لأنى أضع نفسى لآخذها أيضاً**» فإنى أسلم نفسى البشرية باختيارى حُباً فى الآب، الذى ارتضى أن أَموت على الصليب، وبعد قليل أسترجِّعها وأقوم من بين الاموات و«**ليس أحد يأخذها منى**» أى لا يأخذ أحد نفسى منى، جبراً عنى «**بل أنا أضعها من ذاتى**» باختيارى، لأجل خلاص العالم.

«**لى سلطان أن أضعها ولى سلطان أن آخذها**». وهذا دليل أنه إِله، لأنه ليس لأحد من البشر مثل هذه القوة، أى أن يقيم نفسه وهو ميت.

«**وهذه الوصية قبلتُها من أبى**» أى أن المسيح ارتضى ان يتألم ويموت ويقوم من تلقاء إرادته، لا جبراً وقسراً عنه. وهو ما يؤكد هدفه من مجيئه للعالم.

١٩- فحدث أيضاً انشقاق بين اليهود بسبب هذا الكلام. ٢٠- فقال كثيرون منهم «به شيطان وهو يهذى، لماذا تستمعون له؟». ٢١- آخرون قالوا «ليس هذا كلام من بهْ شيطان. ألعل شيطاناً يقدر أن يفتح أعين العُميان؟».

قال إشعياء النبى عن المسيح «ويكون مقدساً وحجر صدمة وصخرة عثرة لبنى اسرائيل، وفخاً وشَركاً لسكان أورشليم» (إش ٨:١٤) وقال سمعان الشيخ «إن هذا قد وُضِع لسقوط وقيام كثيرين فى اسرائيل، ولعلامةٍ تُقاوَم» (لو٢:٣٤) وها هى قد تمت هذه النبوات فعلاً.

فإن بعض الذين سمعوا كلام يسوع جدفوا عليه، وقالوا به شيطان، وكلامه هذيان. وآخرون شهدوا أن كلامه دليل على التقوّى والحكمة، وأنه لا يمكن أن يكون به شيطان، لأن الشيطان لا يُريد الأعمال الخيرية، ومن شأنه أنه يُعمّى المُبصِرين، لا أن يفتح أعين العميان.

٢٢- وكان عيد التجديد فى أورشليم وكان شتاء. ٢٣- وكان يسوع يتمشىَّ فى الهيكل فى رواق سليمان. ٢٤- فأحاط به اليهود، وقالوا له «إلى متى تُعلِّق أنفسنا؟ إن كنت أنت المسيح فقُل لنا جهراً»؟.

«**عيد التجديد**» هو عيد تطهير الهيكل، عينَّه يهوذا المكابى تذكاراً لتطهير الهيكل من النجاسة التى نجسّه بها أنتيخوس إبيفانوس. فإن هذا الملك الطاغية الكافر استولى على أورشليم وخربَّها وقتل من أهلها أربعين ألفاً. وباع منهم أربعين ألفاً آخرين عبيداً. وذبح خنزيرة على باب الهيكل. وهذا العيد سماه يوسيفوس المؤرخ «**عيد الأنوار**» لكثرة المصابيح التى كانت توقد فيه. وكانت مدته ثمانية أيام مثل عيد المظال. وكانوا يحتفلون به ـ مثل احتفالهم بعيد المظال ـ بكل علامات الفرح والتسابيح الروحية.

وكان بداءة ذلك العيد يوم ١٥ كانون الاول (ديسمبر) ولذا «**كان شتاء**» لأن هذا الشهر يقع فى الشتاء. ونظراً للبرد «**كان يسوع يتمشى فى الهيكل فى رواق سليمان**» لانه كان مكاناً مسقوفاً، منعاً من المطر.

وقال يوسيفوس إن هذا الرواق هو الجزء الوحيد، الباقى مما بناه سليمان. وقد أصلحه زربابل وهيرودس الكبير.

وبينما يسوع يتمشى فى ذلك المكان «أحاط به اليهود وقالوا له الى متى تُعلّق أنفسنا: إن كنت أنتَ المسيح فقل لنا جهراً؟» أى لماذا تتركنا فى الارتياب والحيرة. فهل أنتَ المسيح الموعود به؟!

وقيل إن الذين سألوه ذلك هم من الكتبة والفريسيين. ولم يكونوا مُخلصين فى طلبهم، بل كان غرضهم أن يقول إنه هو المسيح، لكى يشتكوا عليه بأنه مُجدِّف!!

٢٥- أجابهم يسوع «إنى قُلتُ لكم ولستم تؤمنون. الأعمال التى أنا أعملها باسم أبى هى تشهد لى. ٢٦- ولكنكم لستم تؤمنون، لأنكم لستم من خرافى، كما قلتُ لكم». ٢٧- خرافى تسمع صوتى، وأنا أعرَّفها فتتبَّعنى. ٢٨- وأنا أُعطيها حياة أبدية، ولن تهلك إلى الأبد، ولا يخطِّفها أحد من يدىَّ. ٢٩- أبى الذى أعطانى إياها هو أعظم من الكل، ولا يقدر أحد أن يخطف من يد أبى.٣٠- أنا والآب واحد».

صرح يسوع بعبارات عديدة تكفى لتعريفهم إنه هو «**نور العالم**» و «**الراعى الصالح**» وإنه «**ابن الله**» والآن يَدعُّون إنهم فى شكٍ وارتيابٍ؟ فهذا دليل على إنهم يُنكرون الحق ويتعامون عنه.

فقال لهم «ما دُمتُم لا تُصّديقون أقوالى، فيجب أن تستنتجوا من العجائب التى أعملها بسلطان أبى، إننى المسيح المنتظر، «**ولكنكم لستم تؤمنون**» حتى بأعمالى، والسبب فى ذلك هو «**لإنكم لستم من خرافى**» لأن الخراف تعرف راعيها. فلو كنتم خرافى لسمعتم صوتى، ولكن كبرياءكم وحسدكم وبُغضكم لى منعكم من أن تقبلونى».

لأن «**خرافى تسمع صوتى**» أى تُطيعَنى وتحبنى وتقبل تعليمى «**وأنا أعرَّفها**» اى أُحبها وأرضّى عنها وأحفظها. وأقوم بحاجاتها. وأعرف أحزانها، فأعزّيها، وتجاربها فأنقذها منها.

وهى «**تتبعنى**» أى تسير فى خطواتى، وتتكل عليَّ بالتواضع والطاعة الكاملة «**وأنا أعطيها حياة أبدية**». فتستريح ضمائرهم، ويسيرون برضَى الله عنهم، فى هذا العالم. ويتمتعون بالأمجاد السماوية، فى العالم الآخر.

فهل نتبع الرب فى دُنيَّاه، حتى نتبعه أيضاً فى سماه؟!.

«**ولن تهلك الى الأبد**» كما يهلك الأشرار فى النار، حيث يُعاقَبون على خطاياهم. «**ولا يخطفها أحد من يديَّ**» أى لا يستطيع أحد أن يجذبّها الى الخطية، ويُبعّدها عنى.

فلا خوف عليها ما دامت فى يديَّ، من أن تنخدع بمهارة الأبالسة وحيلهم، ولا بفصاحة المُضّلين، ولا بتخوّيف المُضطّهِدين وقوتهم وجبروتهم وظلمهم، لأن «ابى الذى أعطانى إيَاها هو أعظم من الكل، ولا يقدر أحد أن يخطف من يد أبى».

أى كما أنه لا يقدر أحد أن يخطف هذه الخراف من الآب، فهكذا لا يقدر أحد أن يخطفها منى، لأن الآب هو الذى أعطانى إياها، ولأننى «**أنا والآب واحد**» فى الجوهر والمجد والقوة وسائر الكمالات الإلهية.

٣١- «فتناول اليهود أيضاً حجارة ليرجموه».

إن تناول اليهود حجارة ليرجموا يسوع دليل على أنهم لم يكونوا مُخلصين فى سؤالهم إياه، إن كان هو المسيح؟ ولكنهم لم يقدروا أن يرشقوه بالحجارة، لأن الرب يسوع غلَّ أيديهم بقدرته من أن يُنفذّوا مُرادَهم.

٣٢- أجابهم يسوع أعمالاً كثيرة حسنة أريتكم من عند أبى. بسبب أى عمل منها ترجموننى؟. ٣٣- أجَابَه اليهود قائلين «لسنا نرجمك لأجل عمل حسن، بل لأجل تجديفٍ. فإنك وأنت إنسان تجعل نفسك إلهاً».

كأنه يقول إننى قد شفيت المرضى منكم، وطهرّتُ البُرّصَ وأقمت المقعدين وفتحّتُ أعين العميان، وأقمتُ الموتى، والى غير ذلك من العجائب التى عملتها بسلطان الآب، وبرهنّت بعملها إنى والآب واحد، فنسيتم الجميل وكفرُتم بالنعمةً.

«قولوا لى ماذا وجدتم من الشر فى أعمالى حتى تريدوا أن ترجمونى؟» فقالوا «**لسّنا نرَّجمك من أجل عمل حسن**» لأننا نعترف أن كل الأعمال التى عملّتها خير محض، «**بل لأجل تجديف. فإنك وأنتَ انسان تجعل نفسك إلهاً**» ويُستدل من قول اليهود إنهم فهموا من أقواله أنه مساوٍ للآب فى الجوهر، الأمر الذى غاب عن فكر أريوس، ومن جرى مجّراه من الهراطقة، مثل نسطور وأوطاخى ... ألخ.

٣٤- أجابهم يسوع «أليس مكتوباً فى ناموسكم أنا قلتُ إنكم آلهة؟». ٣٥- إن قال آلهة لأولئك الذين صـــارت إليهم كلمة الله. ولا يمكـن أن يُنقـض المكتــوب. ٣٦- فالذى قدّسه الآب وأرسله إلى العالم أتقولون له إنك تُجَدِف، لأنى قلتُ إنى ابن الله. ٣٧- إن كنتُ لستُ أعمل أعمال أبى فلا تؤمنوا بى. ٣٨- ولكن إن كنتُ أعمل، فإن لم تؤمنوا بى، فآمنوا بالأعمال، لكى تعرفوا وتؤمنوا أن الآب فىَّ وأنا فيه».

كأنه يقول قد ورد فى ناموسكم، أى فى الكتاب المقدس (العهد القديم) فى المزمور الثانى والثمانين قوله «أنا قلتُ إنكم آلهة». وقد خاطب الله بهذا القول القضاة، ودعاهم آلهة، لأنهم رؤساء الشعب ومنزلتهم أرفع من منزلة غيرهم[١] ولأنه: «**صارت إليهم كلمة الله**». أى أوحى إليهم بكلامه. وأعطاهم سلطاناً ان يقضوا بإسمه «**ولا يمكن ان يُنقض المكتوب**» فلا يمكن نسخّه أو إبطال حرف منه، بل يجب أن تقبلوه باحترام (**ولذلك تؤمن المسيحية بالتوراة وكل العهد القديم**).

فإن كان قد جاز فى كتاب الله تسمَّية الذين صارت إليهم كلمته «**آلهة**»، ولا يمكن أن يقال إن هذه التسمية تجديف. وإن كان جاز تسّمية الرؤساء آلهة. فذلك دليل قاطع إننى لم أُجدّف بقولى «**إنى ابن الله**».

«فإننى إبنه منذ الأزل، وقد قدّسنى وأرسلنى الى العالم، لأخلّص البشر بموتى على الصليب، فلا سبيل لكم أن تتهمونى بالتجديف، لأن ناموسكم قد أجاز هذه التسمية لأُناسٍ مثلكم، فمن باب أوّلى تجوز لى».

ومع ذلك «فإن كنتُ لستُ أعمل أعمال أبى» مثل إقامة الموتى وتفتيح عيون العمى، وماشابه ذلك من الأعمال التى لا يستطيع أن يعملها إلا الله «**فلا تؤمنوا بى**» أى تُصدّقوا إنى المسيح ابن الله.

«**ولكن ان كنتُ أعمل**» كما تشاهدون «فإن لم تومنوا بي» تعنتاً وكبرياءً «**فآمنوا بالأعمال**» التى أعملّها «**لكى تعرفوا وتؤمنوا أن الآب فيَّ وأنا فيه**»، لأنى «**أنا والآب واحد**» والاتحاد بيننا كلى، والمساواة كاملة.

---

(١) كلمة الرب (إله) قد تعنى رئيس، أو كبير، مثل رب أسرة، رب عمل... إلخ.

قال القديس أغسطينوس: «إنك فى الله لأن الله يحويك، والله فيك لأنك صَرت هيكلاً له، ولـ
من حيث أنك فى الله، والله فيك فهل لك ان تقول من رآنى فقد رأى الآب؟ كما قال المسيح: م
رآنى فقد رأى الآب، وأنا والآب واحد؟ فاعرف خاصية الرب، ووظيفة العبد. فخاصية الرب المساو
للآب، ووظيفة العبد الإشتراك مع المُخلِّص».

٣٩- فطلبوا أيضاً أن يمسكوه، فخرج من أيديهم. ٤٠- ومضى أيضاً الى عبر الاردن الى المكان الذى كان يوحنا يُعمّد فيه أولاً، ومكث هناك. ٤١- فأتى إليه كثيرون وقالوا «إن يوحنا لم يفعل آية واحدة. ولكن كل ما قاله يوحنا عن هذا كان حقاً». ٤٢- فآمن كثيرون به هناك.

فلم يقتنع اليهود ببرَاهينه، ليس لأنها غير مُقنعَة، ولا بشهادة معجزاته لأنها ليست كافية، ـ
لجهالتهم وغباوتهم وحسدهم، فأرادوا أن يقتلوه. أما هو فجعل نفسه غير منظورة بقوته الإلهـ
فجاز من وسطهم، ولم يستطيعوا أن يمسكوه, ومضى وأقام فى المكان الذى كان يوحنا المعمد
يُعمِّد فيه أولاً، أى فى بيت عَبَرة (كما ذُكِر فى ص١:٢٨).

فأَتى إليه كثيرون من غير المتعنتين والمتكبرين وقالوا «إن يوحنا لم يفعل آية واحدة» اى
يعمل معجزة واحدة، ومع ذلك فقد صدّقنا أنه نبى، بدليل أن «كل ما قاله يوحنا عن هذا (المسيـ
كان حقاً».

فإنه شهد أن هذا هو المسيح، وأنه هو «**الآتى**» وها نحن قد تحققنا صدق شهادته بما شاهـ
من معجزاته، وبما سمعنا من تعاليمه.

وكانت نتيجة ذلك أن «**آمن كثيرون به هناك**» من الذين ابتعدوا عن الفريسيين والكتبة، لأنـ
لو لم يبتعدوا ما كانت نفوسهم تصفو من الحسد ومحبة الذات، لأن المعاشرة الردية تُفسد الاخلا
الجيدة. فسبيلنا أن نعتزل الأفكار الردية، ونجتّنب المعاشرات السيئة.

الإصحاح الحادى عشر

١- «وكان إنسان مريضاً، وهو لعازر من بيت عنّيا من قرية مريم ومرثا أختها. ٢- وكانت مريم التى كان لعازر أخوها مريضاً هى التى دهنت الرب بطيب ومسحت رجليه بشعرها».

هذه المعجزة أى إقامة لعازر من الموت لم يذكرها سوى يوحنا. و «بيت عنيا» قرية تبعُد ثلاثة أرباع ساعة عن أورشليم. وهى فى سفح جبل الزيتون. وهى «قرية مريم ومرثا أختها» اى وطنهما الذى كانتا تسكنان فيه.

وقد ميَّز الرسول يوحنا مريم بقوله «وهى التى دهنت بطيب ومسحت رجله بشعرها» لأنه كانت مريمات كثيرات، وقد ذُكِرَ فى البشائر منهنّ ثلاث، خلاف مريم أخت لعازر، وهن مريم أم يسوع ومريم إمرأة كلوبا (أختها) ومريم المجدلية، ومريم أم مرقس الرسول.

ويجب ان نميز ايضاً بين هذه وبين مريم التى دهنت رجليَّ، الرب فى الجليل، لأن هذه الأخيرة كانت خاطئة. وأما **أخت لعازر فكانت تقية فاضلة**، بدليل قول المسيح لها أنها: «**اختارَّت النصيب الصالح**».

٣- فأرسلت الأختان اليه قائلَين «ياسيد هوَّذا الذى تُحبه مريض». ٤- فلما سمع يسوع قال «هذا المرض ليس للموت، بل لأجل مجد الله، ليتمجدّ ابن الله به».٥- وكان يسوع يحب مرثا وأختها ولعازر. ٦- فلما سمع أنه مريض، مكث حينئذ فى الموضع الذى كان فيه يومين.

أرسلت الأختان الى يسوع تُخبرَانه بمرض أخيهما، لأنه لم يكن من اللائق أن تذهبا بنفسَّيهما، ولأن المسافة طويلة ولاحتياج أخيهما الى خدمّتهما. وغايتهما من إخبار يسوع إتيانه ليشفيّه، أو أن يشفّيه بكلمة يقولها وهو على بْعد.

فهل تطلب من الرب أن يساعدك فى الوقت الصعب؟!.

وقول المسيح «**هذا المرض ليس للموت**» معناه ليس للموت العام المستمر، إنه له المجـ عالم أنه سيُقيمه للحياة الجسدية ثانيةً. وذلك «**لأجل مجد الله**» أى لإظهار مجده تعالى. وبالتالـ «**ليتمَّجد ابن الله به**» من إيمان كثيرين بالمسيْح، لسبب هذه المعجزة، كما ذُكِر فى (الآية ٤٥)

وبما أن مجد الله الآب، ومجد الله الكلمة واحد، فمتى تمجّد أحدهما تمجَّد الآخر بالمساواة.

وقوله «وكان يسوع يحب مرثا وأختها ولعازر» دل على حُسن إيمانهم وفضلّهم وإتفاقهم فـ المحبة، وعلى حنو يسوع عليهم. وإرادته الخير لهم. وقد ذكر الإنجيلى محبة المسيح لهم، دفـ لما يتَّوهم البعض من عدم محبته لهم، لتباطئه عن الذهاب إليهم حالاً، كما يظهر من قوله «**فلـ سمع أنه مريض مكث حينئذٍ فى الموضع الذى كان فيه يومين**».

أى أقام فى بيت عَبَرة، كما مر فى الاصحاح السابق. وكان إبطاء يسوع لحكمة اقتضتها إرادة الصالحة، وهى تعظيم الأعجوبة بإقامته لعازر، بعد أن صار له أربعة أيام فى القبر، وقد أنتر ولتقوية إيمان تلاميذه وهو مُقبِل على تجربة الصلب الصعبة، بعد أسبوع واحد، كما قاله البعض

٧- ثم بعد ذلك قال لتلاميذه «لنذهب الى اليهودية أيضاً». ٨- قال له التلاميذ «يا مُعلم الآن، كان اليهود يطلبون أن يرجموك، وتذهب أيضاً الى هناك؟». ٩- أجاب يسوع «أليسَّت ساعات النهار إثنتيّ عشرة؟ إن كان أحد يمشى فى النهار لا يعثُر، لأنه ينظر نور هذا العالم. ١٠- ولكن إن كان أحد يمشى فى الليل يعثُر لأن النور ليس فيه».

لم يُذكَر فى البشائر الثلاثة، غير هذه المرة، أن يسوع أخبر تلاميذه قبل سفره إلى أين يمضَـ وهذا دليل إنهم كانوا يخافون جداً عليه، وعلى أنفسهم. فأخبرَهم لئلا يضطربوا إذا ذهبوا بغتـ ويتضَّح خوفهم من قولهم: «يا معلم الآن كان اليهود يطلبون أن يُرجموك وتذهب أيضاً الى هناك» وقد أشاروا بهذا القول الى ما حدث فى عيد التجديد، حيث أراد اليهود أن يقتلوه. فكأنهم أراد بقولهم هذا أن يعدُل عن الذهاب الى اليهودية، تجنباً للخطر الذى توقعوه لحياتهم وحياته.

فقال لهم «**أليست ساعات النهار إثنتى عشرة ....إلخ**» ومعناه: كما أن وقت النهار محدو بإثنتى عشرة ساعة. وهكذا زمان خدمتى على الأرض محدود. وحيث أن ذلك الوقت لم ينتهِ، فـ

شى أن يوذينى أحد أدنى أذىً، حتى آخر نهارى، أى مدة خدمتى، وتأتى ساعة موتى، وعندها
م نفسى باختيارى».

«فيلزم إذاً أن أقوم بأعمالى، وإن كنتُ وسط الأعداء الطالبين قتلى، بدون أن أخشى منهم، لأنهم
مكنهم قتلى قبل الوقت المُعيَّن. فلا تخافوا أيها التلاميذ. ولتطمئّن قلوبكم، لأن صيانتى من
طر مضمونة، وبالتالى رعايتكم مضمونة، لأنكم معىَ».

وقيل إن هذا القول معناه: «إذا دُمتم ايها التلاميذ معى، فلا تخافوا لأنكم لستم تموتون لا معى
قبلى، وسوف أرتفع وتقعون فى الشدائد. وهى المشار إليها «**بالليل**». وستنالون المجد من
احتمالها.

١- قال هذا وبعد ذلك قال لهم: «لعازر حبيبنا قد نام. لكنى أذهب لأُوقظه». ١٢- فقال تلاميذه «يا سيد إن كان قد نام فهو يُشفى». ١٣- وكان يقول عن موته. وهم ظنوا أنه يقول عن رُقاد النوم. ١٤- فقال لهم يسوع حينئذ علانيةً «لعازر مات». ١٥- «وأنا أفرح لأجلكم إنى لم أكن هناك لتؤمنوا. ولكن لنذهب إليه».

بعدما ضرَب المسيح لهم ذلك المثل لتطمئن قلوبهم، قال لهم «لعازر حبيبنا» أى المحبَوبَ
كم أيضاً أيها التلاميذ، وليس اليَّ فقط «**قد نام**» اى قد مات. وسُمّى الموت نوماً، لأنه يريد أن
مه. ولذا قال «**ولكنى أذهب لأوقظه**» اى لأعِيُده الى الحياة.

ظهر المسيح بهذه العبارة :

١) أنه يعلم المستورات والخفيات. فلو لم يكن المسيح إلهاً يعلم كل شى ما استطاع معرفة موت لعازر.

٢) أن له السلطان ان يمنح الحياة لمن شاء: وأن الإقامة من الموت لا تعسُر عليه أكثر من الايقاظ من الرقاد.

فقال تلاميذه «**يا سيد إن كان قد نام فهو يُشفًى**». ومعناه إن النوم يكون عادة دليل النقاهة

أى توجه المريض الى الصحة، بعد أرق الحُمَّى، وعليه يكون رقاد لعازر مبشراً بعودته الى الص
فلماذا نذهب اليه؟ لندَعَه يرقد فإن الرُقاد نافع للصحة.

قالوا ذلك لأنهم ما كانوا يفهمون أن يسوع «**يقول عن موته**»، بل ظنوا «**أنه يقول عن ر** **النوم**». حينئذ ترك المسيح المجاز وتكلم بالتصريح فقال «**لعازر ماتْ**».

ومعنى قوله «**وأنا افرح لأجلكم إنى لم أكن هناك لتؤمنوا**» أننى لو كنت هناك لشفيّته. مات وأنا هناك لأقمته فى الحال، ولكن غيابى جعل الأعجوبة أعظم، لأنها كانت بعد أربعة أيام موته، وبعد أن أنتن جسده فى القبر. فأنا أفرح لأن هذا يقوّى إيمانكم بأنى المسيح، ولكن لنذ اليه». ولم يقل الى قبره، ليدل أنه يريد إقامته من الموت.

١٦- فقال توما الذى يُقال له التوأم للتلاميذ رفقائه: «لنذهب نحن أيضاً لكى نموت معه».

كأنه قال بما أن معلمنا الرب يسوع لم يعدل عن الذهاب الى اليهودية مع طلبنا منه ذلك، و أن الخطر على حياته مؤكد، لأن اليهود متهيجون عليه جداً، فيجب علينا نحن تلاميذه ألا نُفا بل نذهب معه الى هناك، ولو أدّى ذلك إلى قتلنا نحن أيضاً. وهذا الكلام يدل على الحُب المُتنا ولابُد أن التلاميذ وافقوه على هذه الفِكَرة.

١٧- «فلما أتى يسوع وجد أنه قد صار له أربعة أيام فى القبر».

قال يوحنا فم الذهب مات لعازر ودُفن يوم أُخِبَر المسيح بمرضه. ومكث السيد فى بيت ع يومين وأتى فى اليوم الرابع إلى بيت عنيا فصار للعازر أربعة أيام فِى القبر. ولا يخفى أن م أربعة أيام عليه فى القبر يدفع أى توهم أنه كان قد أُغمى عليه، ولم يمُت حقيقةً.

١٨- «وكانت بيت عنيا قريبة من أورشليم نحو خمس عشرة غلوة. ١٩- وكان كثيرو من اليهود قد جاءوا إلى مرثا ومريم ليعزوهما عن أخيهما. ٢٠- فلما سمعت مرثا أن يسوع آتٍ لاقته. وأما مريم فاستمرَّت جالسة فى البيت».

الغُلوة تساوى ١٢٥ خطوة وهى ثُمنْ الميل لأن الميل يساوى ألف خطوة بالمقياس القديم. كون الخمسة عشرة غلوة ١٨٧٥ خطوة أى أقل من ميلين. ويمكن للذى يمشى على قدميه أن طع الميل فى ثُلث ساعة، وبناءً عليه يمكنه أن يقطع الميلين فى ثلثى ساعة وهى المسافة التى ن يجوز لليهود أن يمشوها يوم السبت بدون أن يخالفوا شريعة حفظ السبت، وسُمّيت عندهم **سفر سبت**» (أع ١١:١٢).

وقد ذكر البشير يوحنا مقدار المسافة من أورشليم الى بيت عنيا بياناً لمجئ كثيرين من اليهود ى هناك لتعزية مرثا ومريم عن أخيهما. «**فلما سمعت مرثا أن يسوع آتٍ لاقته**» ولم تخبر أختها جيئه. ولذا قال البشير «**وأما مريم فاستمرت جالسة فى البيت**». مستغرقةً فى الحزن. ولو ت أختها، لاتبّعها جميع اليهود الذين كانوا فى البيت لتعزيتها. فينشأ عن ذلك ضوضاء وزحام.

٢١- فقالت مرثا ليسوع «ياسيد لو كنتَ ههنا لمَ يمُت أخى. ٢٢- لكنى الآن أيضاً أعلم أن كل ما تطلب من الله يُعطيك الله إياه». ٢٣- قال لها يسوع «سيقوم أخوكِ». ٢٤- قالت له مرثا «أنا أعلم أنه سيقوم فى القيامة فى اليوم الأخير».

يظهر من قول مرثا ليسوع «ياسيد لو كنتَ ههنا لم يَمُت أخي» أنها كانت تعتقد أن المسيح كان حاضراً عند مرض أخيها، لشفاه، لأنه كان يحبه، فلا يسمح بموته، ولكنها لم تكن تؤمن اناً تاماً بلاهوت المسيح. ولأنه يعلم كل شيء ويقدر على كل شيء، وأن حضوره بشخصه كان روريا لشفاء المريض ودفع الموت عنه.

ويظهر من قولها «لكنى الآن أعلم ان كل ما تطلب من الله يعطيك الله إياه» أنها لم تعتبر سيح إلهاً بل نبياً فقط يصنع العجائب، ليس بقوّتِه الذاتية، إنما ينال القوة على ذلك من الله، سلواته مثل إيليا وأليشع.

فأجابها يسوع قائلاً «**سيقوم أخوكِ**» ولم يصرّح لها هل يقوم يوم الدينونة أو فى ذلك النهار؟ ذا «**قالت له مرثا أنا أعلم أنه سيقوم فى القيامة، فى اليوم الأخير**» مثل غيره لأنها كانت تقد ـ كسائر الإسرائيليين- فى ذلك الوقت ـ أن النفوس لا تموت، وأن الاجساد سوف تقوم فى وم الأخير للدينونة والمجازاة حسب الأعمال.

٢٥- قال لها يسوع «أنا هو القيامة والحياة. منْ آمن بى ولو مات فسيحيا. ٢٦- وكل من كان حياً وآمن بى فلن يموت الى الأبد، أتؤمنين بهذا؟» ٢٧- قالت له «نعم يا سيد. أنا قد آمنت أنك أنت المسيح ابن الله الآتى إلى العالم».

قوله «**أنا هو القيامة والحياة**» معناه إننى أُقيم وأُحيى. فأنا علة القيامة الجسدية والقي الروحية. وليس ذلك فى اليوم الأخير فقط بل فى أى وقت أشاءُ. فلا يقوم أحد إلا بى، ولا حياة لا من الناس بدونى.

«**ومن آمن بى ولو مات**» كما مات لعازر الموت الجسدى، ولكن موته هذا يكون وقتياً. ول «**فسيحيا**». فتعود إليه الحياة الجسدية يوم القيامة. وتحيا نفسه حياة النعمة والمجد، لأنى سأ جسدَه للحياة الأبدية.

«**وكل منْ كان حياً**» بالجسد وآمن بى «**فلن يموت الى الأبد**» موتاً روحياً، أى لا يكون للم الثانى، الذى هو العذاب فى جهنم، سلطة عليه، بل سيحيا مع المسيح ويتنَّعم بالأمجاد السم الى الأبد. ولما سأل يسوع مرثا قائلاً «**أتؤمنين بهذا**»؟ أجابت «**إنى قد آمنتُ أنك أنت المس ابن الله الآتى الى العالم**».

وقال يوحنا فم الذهب إن مرثا لم تفهم قول المسيح «أنا هو القيامة والحياة». ولهذا أج بالتباس، غير مميزة بين كونه إبناً طبيعياً لله، أو إبناً له بالتّبنى، وأقرَّت فقط أنه أسمّى من س القديسين والأنبياء، لأنه إذا كان الرسل أنفسهم من قبل نزول الروح القدس عليهم يوم الخمس لم يكن علمهم بأمر المسيح خالصاً فكيف بالنساء؟.

وذهب آخرون أن إيمانها خالص، بل أكمل من إيمان الرسول بطرس نفسه (مت١٦:١٦) !

٢٨- ولما قالت هذا مضت ودعت مـــريم أختها ســـراً قائلةً «المُعلّم قـد حضر وهـــو يدعوكِ». ٢٩- أما تلك فلما سمعت، قامـت ســريعاً وجاءت إليه. ٣٠- ول يكن يسوع قد جاء الى القرية، بل كان فى المكان الذى لاقته فيه مرثا.

«**ودَعَت مريم اختها سراً**» لئلا تُتعِب الذين كانوا حاضرين لتعزيتهما. وقيل إن المُعزّين ان بعضهم من أعداء يسوع، فخافت من اجتماعهم لئلا يتمكنوا من إضراره. ويظهر من قولها **لمُعلم قد حضر وهو يدعوكِ**» أن المسيح أمرَها بأن تدعو أختها.

فتركت مريم المعزيين الكثيرين «**وجاءت إليه**» لأنه المُعَزِى الحقيقى. فعسانا لا نُبطيء عندما دعونا الله إليه، ولا نتمهل حتى نستشير الأهل والأقارب والأصحاب.

ويُستدّل من قوله «ولم يكن يسوع قد جاء الى القرية بل كان فى المكان الذى لاقته فيه مرثا»، ، يسوع بقى خارج القرية ولم يزر بيت مريم ومرثا، لأنه إنما أتى لإقامة أخيهما لا لزيارتهما.

وقال يوحنا فم الذهب إنما بقى يسوع خارج القرية مجانبةً للمجد الباطل، إذا دخل القرية ثم رج منها يتبعه الجمهور الغفير، ليُقيم لعازر من الموت.

٣١- ثم إن اليهود الذين كانوا معها فى البيت يعزونها، لما رأوا مريم قامت عاجلاً وخرجت، تبعوها قائلين «إنها تذهب الى القبر لتبكى هناك». ٣٢- فمريم لما أتت الى حيث كان يسوع ورأته، خرَّت عند رجليه قائلةً له «يا سيد لو كنتَ ههنا لم يَمُت أخى».

إن خروج الكثيرين وراء مريم كان القصد منه أن يمنعوها من الحزن الشديد، لأنهم ظنوا أنها هبة إلى القبر تبكى، حسب عادة اليهود، ومن المعلوم أن مشاهدة القبر تُثير الحزن والأسف. كان ذلك بعناية من الله ليكثر الشاهدون بالمعجزة التى صنعها يسوع.

أما كلام مريم للمسيح فكان مثل كلام مرثا (ع ٢١) وهو أن المسيح لو كان حاضراً قبل موت خيها لشفاه. وأنه أنقّطع الأمل عند موته. وسجود مريم «عند رجليه» دليل على أن الحزن قد أشتد بها سحق قلبها أكثر من مرثا. وعلى إكرامها للمسيح، وعلى أعترافها بإحسانه ومجيئه إليها لتعزيتها.

٣٣- فلما رآها يسوع تبكى واليهود الذين جاؤا معها يبكون، أنزعج بالروح واضطرب. ٣٤-وقال «أين وضعتموه»؟ قالوا له «يا سيد تعال وأنظر» ٣٥- بكى يسوع ٣٦- فقال اليهود «أنظروا كيف كان يُحبُّه» ٣٧- وقال بعض منهم «ألم يقدر هذا الذى فتّح عينىَ الأعمى أن يجعل هذا أيضاً لا يموت؟»

إن إنزعاج يسوع بالروح، واضطرابه أى تنهده وغيظه، فلكى يحقق لنا ناسوته التام، كما حقـ
لنا معجزته بإقامته لعازر لاهوته التام. فبإظهار الحزن والأسف أوضح أنه يُشارك المؤمنين
أحزانهم، وأنه يحزن من الخطية التى هى العلة الأصلية للموت ولكل الأحزان.

وبإظهار الغيظ أبان أنه أغتاظ من رياء بعض الحاضرين، لأنه علم، وهو علاَّم الغيوب،
معجزة إقامة لعازر، ستكون من ضمن الأسباب المُهمَّة التى تحمِّل اليهود على قتله.

وقوله «**أين وضعتموه**»؟ ليس لجهله المكان، لأن الذى يستطيع أن يُقيم الميت لا يحتاج
أن يدله أحد على قبره.

وقال يوحنا فم الذهب إن غرض المسيح من هذا السؤال رفْع الشُبَّهة. فلو أظهر إنه عالم
دُفِن لخُيّل للحاضرين أنه أتفق مع لعازر على إقامته. وقيل إن الغرض ليدل بسؤاله على ناسو
كما دل بإقامته لعازر على لاهوته.

وقيل إنه اختار أن يدله الحاضرون على القبر، ليذهبوا معه ليشاهدوا الأعجوبة. أما بكاء يسـ
فدليل على رقة قلبه وفرط محبته للمؤمنين، وللدلالة على ناسوته التام ويُعلّمنا أن نبكى
الباكين. وأنه يجوز أن نبكى على موت أقربائنا وأصحابنا.

فتعَّجب بعض اليهود من بكائه، واستنتجوا منه كيف كان يحب لعازر. وتشكك آخرون وقـ
«ألم يقدر هذا الذى فتّح عينىَّ الأعمى، أن يجعل هذا أيضاً لا يموت؟» كأنهم قالوا إذا كان هذا
المسيح حقاً. وإن صح أنه هو الذى فتّح عينى الأعمى من بطن أمه، فلماذا لم يمنع الموت
لعازر. ولم يعلموا أنه كان قادراً أن يمنع الموت عنه بكلمة. ولكن شاء أن يعمل ماهو أعظم،
إقامته بعد أربعة أيام من الموت.

٣٨- فانزعج يسوع أيضاً فى نفسه وجاء إلى القبر. وكان مغارة. وقد وُضِع عليه
حجر. ٣٩- قال يسوع «أرفعوا الحجر». قالت له مرثا أخت الميت «ياسيد قد أنتن
لأن له أربعة أيام» ٤٠- قال لها يسوع «ألم أقل لكِ إن آمنتِ ترين مجد الله».

قد سبق شرح سبب أنزعاج يسوع فى (ع ٣٣) وكون قبر لعازر كان فى مغارة لا فى التر
دلالة على أنه كان من عائلة ذات ثروة. فلما وصل المسيح إلى هناك أمر الحاضرين أن يرفـ
الحجر عن القبر، لكى تفوح الرائحة النتنة منه، فيتأكد الشهود من صدق الأعجوبة.

فاعترَضته مرثا وقالت «**ياسيد قد أنتَّن لأن له أربعة أيام**» وهو قول يدل على يأسها من إقامة أخيها بعد أن أنتن. فلما رأى المسيح عدم إيمانها، وبخها بقوله «ألم اقل لكِ إن آمنتِ ترين مجد الله»؟ ولم يقل المسيح هذا القول قبلاً باللفظ بل بالمعنى (راجع ع٢١-٢٧) ومجد الله يريد به أنه بانتصاره على الموت وبإقامته لعازر، يتمَّجد الله.

٤١- فرفعوا الحجر حيث كان الميت موضوعاً. ورفع يسوع عينيه إلى فوق وقال «أيها الآب أشكرك لأنك سمعت لى ٤٢- وأنا علمت أنك فى كل حين تسمع لى. ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت، ليؤمنوا أنك أرسلتنى».

عدَلَت مرثا عن الأعتراض، فرفعوا الحجر فى الحال. وعندها «**رفع يسوع عينيه إلى فوق**» ينسب فعله إلى الآب، حتى لا يبقى لليهود حُجَّة عليه، لئلا يقولوا إنك لستَ من عند الآب. وليطفئ نيران حسدهم، ولبيان كون عمله ليس بقوة سحرية أو شيطانية، كما جدَّف اليهود، وقالوا إنه ببعلزبول رئيس الشياطين يُخرِج الشياطين. بل بقوة أبيه السماوى، هكذا فسرَّ يوحنا فم الذهب.

«**وقال أيها الآب أشكرك لأنك سمّعتَ لى**» والمعنى حسب رأى فم الذهب: أن هذا القول ليس صلاة لله بغية أن يُعينه على عمل المعجزة، إنما هو تقديم الحمد والشكر له، لبيان الإتحاد التام بينه وبين الآب فى الفكر والفعل. فكأنه قال أشكرك أيها الآب إذ أستجبت رغبتى فى قيامة لعازر أردتَها. إذ رأيتنى أرغب فيها. وقال «سمعت» بصيغة الماضى ولم يقُل تسمع بصيغة المستقبل، لأنه تحقق من قيامة لعازر، فاعتبره قد قام. وقوله «**وأنا علمت أنك فى كل حين تسمع لى. ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت، ليؤمنوا أنك أرسلتّنى**» معناه : أن إسدائى الشُكر لك أيها الآب ليس لأنك سمعت لى الآن، كأن استجابتك لى أمر حديث ونادر الوقوع، لعلمى أنك تسمع كل حين، بل أسدَّيت لك الشكر، **ليؤمن هذا الشعب المجتمع أنك أرسلتنى إذ يرون استجابتك لى بإقامة لعازر.**

ومنْ تأمل فى صلاة المسيح هذه وصلاة إيليا عندما أقام الميت يجد فرقاً عظيماً لما فى صلاة إيليا من اللجاجة وعلامات الخوف، من أن الله لا يستجيبه، وما فى صلاة المسيح من الاقتصار على الحمد والشكر، والتحقيق إن لعازر سيقوم بلا محالة. الأمر الذى يدل على تمام الأتحاد ما بين الآب والإبن. وعلى أن المسيح هو إبن الله، وأنه المسيح المنتظر.

٤٣- ولما قال هذا صرخ بصوتٍ عظيم «لعازر هلَّم خارجاً».

«**صرخ المسيح**» ليبُيّن للحاضرين أنه يقيم لعازر من الموت بأمر نفسه وسلطانه. ولم يأ
بأن يقوم باسم الآب ليُبيّن أن ما يفعله الآب يفعله الإبن أيضاً وأنهما متساويان فى الجوهر والق

وكان صراخه «بصوتٍ عظيم» لينُبّه الحاضرين إلى أنه هو الذى أقام لعازر، وليدلهم على
سلطانه فإنه بعثه أمراً لا متوسلاً، كما كان يفعل الأنبياء والرسل، عند فعل العجائب، وليُبيِّن
نفس لعازر موجودة بعيداً عن الجسم، وليست متصلة به، أى انفصلت عنه أنفصالاً تاماً منذ أر
أيام حتى أنتن.

٤٤- فخرج الميت ويداه ورجلاه مربوطات بأقمطة ووجهه ملفوف بمنديل. فقال لهم
يسوع «حلّوه ودعُوه يذهب».

كان من عادة اليهود أن يقمطُّوا يدّى الميت ورجلّيه بأقطمة (لفائف) ويلفوا وجهه بمند
منعاً للإشمئزاز من منظره.

وقال يوحنا فم الذهب إن المسيح لم يُقمِ لعازر محلولاً من الأقطمة واللفائف، ليرى اليهود
لعازر نفسه الذى كانوا قد كفنُّوه وشدوه بتلك الأقمطة واللفائف، لا شبح، أو رجلٍ اختفى فى الق

ولما عادت الحياة إليه **لم تمنّعه تلك الأربطه من المشى**، فجعل هذا الأمر الأعجوبة مضا
أى أن مشيَّه مستقيماً وبسرعة، مع وجود تلك الموانع كان أعجوبة أخرى. وقوله لهم «**حُ**
ودعوه يذهب» لكى يرى الجميع وجهه ويتحققوا أنه لعازر نفسه، وأنه حى. ولو لم يحلوه
كان يمكنه أن يذهب إلى بيته.

٤٥- فكثيرون من اليهود الذين جاءوا إلى مريم ونظروا ما فعل يسوع آمنو
به ٤٦- وأما قوم منهم فمضوا إلى الفريسيين وقالوا لهم عما فعل
يسوع ٤٧- فجمع رؤساء الكهنة والفريسيون مجمعاً وقالوا «ماذا نصنع، فإن
هذا الإنسان يعمل آيات كثيرة ٤٨- إن تركناه هكذا يؤمن الجميع به، فيأتى
الرومانيون ويأخذون موضعنا وأُمتّنا».

يقول القديس يوحنا إن «**الذين جاءوا إلى مريم**» ولم يذكر مرثا أيضا، ليُبيّن أن سبب خروج الكثيرين ومجيئهم إلى القبر ومشاهدتهم المعجزة كانت مريم، لأنها عند خروجها من البيت مسرعة حملتهم على أن يشيعُّوها. والكثيرون الذين آمنوا من اليهود هم الذين خلُصَت نيتهمّ ولم تَسِر فى قلوبهم بُغضة الفريسيين ليسوع.

وذهاب القوم الآخرين إلى الفريسيين وإخبارهم بما فعل يسوع، كان بسوء نية. فكانت غايتهم شفاء حسدهم وحزازات صدورهم، وتهَّييج غضب الرؤساء والفريسيين عليه، ليتمُّوا قصدهم الشرير فى قتله.

وقد تم غرضهم السَّئ، لأن رؤساء الكهنة والفريسيين بدلاً من أن يؤمنوا بيسوع - حسب الواجب ـ عقدوا مجمع السبعين. وأخذوا يُدبرون «**كيف نمنعه عن التعليم**؟» وكيف نحتال على الشعب حتى لا يُصدقّوه، لأننا نرى أنه «**يعمل آيات كثيرة**» لا يسعنا إنكارها. فلابُد من اتخاذ وسائط قويّة وفعَّالة لمقاومته ومنعه. فإننا «إن تركناه هكذا» يصنع الآيات الباهرة والقوات (المعجزة) «**يؤمن الجميع به**» ويتركون مجمعنا وديننا ويتهيجون على الرومانيين فيغتاظ الرومانيون منا. فيأتون«**ويأخذون موضعنا وأُمتّنا**» باستيلائهم على مدينتنا وهيكلنا واستعباد أمتنا، بعد ان تركوا لنا كل حقوقنا الدينية وبعض حقوقنا السياسية.

وهذا الأدعاء كان من الرؤساء والفريسيين إدعاءً باطلاً، بل زُوَراً وبُهتانا، لأن المسيح لم يدّعِ أنه ملك أرضى، بل قال إن ملكوته ليس من هذا العام، وقال لهم «أعطوا ما لله لله وما لقيصر لقيصر» فأوجب عليهم الخضوع لقيصر ودفع الجزية له فلو آمن جميع اليهود بيسوع لبقى هيكلهم ومدينتهم بعظمتها إلى اليوم، خلافاً لما أدعوه كذباً.

٤٩- فقال لهم واحد منهم وهو قيافا. كان رئيساً للكهنة فى تلك السنة: «أنتم لستم تعرفون شيئاً ٥٠- ولا تفكرون أنه خير لنا أن يموت إنسان واحد عن الشعب ولا تهلك الأمة كلها» ٥١- ولم يقل هذا من نفسه بل إذ كان رئيساً للكهنة فى تلك السنة تنبَّأ أن يسوع مُزمِع أن يموت عن الأمة ٥٢- وليس عن الأمة فقط، بل ليجمع أبناء الله المُتفرّقين إلى واحد.

ظهر لقيافا رئيس الكهنة أن البعض لا يُسلِّمون بعقاب يسوع ، والبعض الآخر يرون أن بقاء يؤول إلى هلاك أمة اليهود. فقال للفرقتين «**أنتم لستم تعرفون شيئاً**» أى أن الأمر الذى تتباحثون فيه لا تعرفون كيف تحكمون فيه. فأنكم غير مختبرين الأمور مثلى «**ولا تفكرون أنه خير لنا أن يموت إنسان واحد عن الشعب ولا تهلك الأمة كلها**» كأنه يقول إنكم جهلة لا تفهمون. وأما أنا فمن حيث أنى عظيم الأحبار (وبواسطة الأوريم والتميم) (خر٢٨:٣٠) يستنير عقلى.

وبناءً عليه أَحكُم أنه يليق بنا أن نقتل يسوع، حتى وإن كان باراً وصنع عجائب. لئلا نوقع الأمة كلها تحت الخطر من تشديد الرومانيين المستعمرين على العبادة اليهودية.

وكان قيافا هذا «**رئيساً للكهنة فى تلك السنة**» تولاها إحدى عشر سنة، كما قال يوسيفوس، وقد أخبرنا هذا المؤرخ أنه منذ أيام هيرودس الكبير لم تبّق رياسة الكهنوت حسب الشريعة (خر٢٨) فى بيت هرون، بل انتقلت منه. وكان الرئيس لا يبقى فى وظيفته حتى يموت، بل كان يتوّلاها مدة ثم يُعزل، حتى أنه من أيام هيرودس إلى خراب أورشليم، تولاها خمسة وعشرون رئيساً فى نحو ١٠٧ سنة.

فيقول البشير يوحنا إن قيافا «**لم يقل هذا من نفسه**» أى لم يفهم معنى كلامه، ولم يعتمده لأن معناه أن المسيح يلزم أن يموت، لخلاص الناس، بموته فداءً للبشر، ولكن قيافا لم يفهم هذا الفهم الروحى السليم.

وقوله إنه «تنَّبأ أن يسوع مُزمع أن يموت عن الأمة» ليس المقصود منه أن قيافا كان نبياً حقيقياً. فإن الأمر لم يتم بحسب فكُره، لأن فكَره كان أن موت يسوع يكون واسطة لبقاء سُلطة رؤساء الكهنة وبقاء الهيَكل والمدينَة المقدسة (أورشليم) بعيدة عن عبودية المُستعمّر الشديدة.

والحقيقة إن موت يسوع كان عكس ذلك، فإنه أثار غضب الله على تلك الأمة، فأرسل عليها الرومانيين فهدموا مدينة أورشليم وشتتوا الأمة اليهودية مابين الشعوب (سنة ٧٠م).

ولذا قال يوحنا فم الذهب «إن الروّح حّرك لسان قيافا، لا قلبه، فنطق الوحى بلسانه، كما نطق على لسان أتان بلعام. وحيث أن موت يسوع لم يكن لخلاص الأمة اليهودية وحدها، استرسل البشير وقال «**وليس عن الأمة**» اليهودية فقط «**بل ليجمّع أبناء الله المُتفرّقين إلى واحد**» أى

ليجمع المؤمنين به من اليهود والأمم إلى حظيرة واحدة. فتكون الرعية كلها واحدة، لراعٍ واحدٍ هو المسيح.

٥٣- فمن ذلك اليوم تشاوروا ليقتلوه ٥٤- فلم يكن يسوع أيضاً يمشى بين اليهود علانية، بل مضى من هناك إلى الكورة القريبة من البرية، إلى مدينة يقال لها «إفرايم» ومكث هناك مع تلاميذه.

يُفهَم من قوله «**فمن ذلك اليوم تشاوروا ليقتلوه**» أن مجلس السبعين اليهودى وافق قيافا على أنه خير أن يموت واحد عن الشعب. وأنه بناءً على هذا الرأى يجب قتل يسوع.

ولما كانت ساعة يسوع لم تأتِ بعد، لم يعُد يمشى بين اليهود ظاهراً، بل أخذ يتوارَى عن عيونهم و«**مضى من هناك**» (من أورشليم) «إلى الكورة القريبة من البرية (الصحراء) إلى مدينة يقال لها إفرايم». ولم يُعلَم موقع هذه المدينة تماماً. وقيل إنها قريبة من أريحا، وتُسمَّى عفرة (إش ١٨:٢٣) «ومكث هناك مع تلاميذه» فراراً من غضب رؤساء الكهنة والفريسيين. وليُعلّمنا أن نجتّنب الخطر، والهرب من مكان العثَرة للنفس والناس.

٥٥- وكان فصح اليهود قريباً. فصعد كثيرون من الكور إلى أورشليم قبل الفصح ليُطهُّروا أنفسهم ٥٦- فكانوا يطلبون يسوع ويقولون فيما بينهم وهم واقفون فى الهيكل «ماذا تظنون؟ هل هو لا يأتى إلى العيد» ٥٧- وكان أيضاً رؤساء الكهنة والفريسيون قد أصدروا أمراً أنه إن عرف أحد، إين هو فليدُّل عليه لكى يمسكوه.

«**وكان فصح اليهود قريباً**» وهو الفصح الأخير، الذى فيه ضحى المسيح بنفسه كَحَملٍ على الصليب، لخلاص العالم. وحسب شريعة موسى النبى التى تقضى بأن جميع الذكور البالغين يجب أن يأتوا إلى أورشليم «**صعد كثيرون من الكُوَر إلى أورشليم قبل الفصح ليُطهُّروا أنفسهم**»، أى ليقدموا الذبائح المُعيَّنة، على من لمس ميتاً أو قبرا، أو غير ذلك من المدنسات.(١)

(١) إن المسيحية ترى أن الذى يُدّنس الجسد والقلب هو الشر (الخطيّة).

ومن بين هؤلاء كثيرون كانوا يحبون أن يروا يسوع ويسمعوا تعاليمه «فكانوا يطلبون يسو
ويقولون فيما بينهم وهم واقفون فى الهيكل «**ماذا تظنون؟ هل هو لا يأتى إلى العيد**»؟ وكلامهم
هذا يدل على أنهم كانوا فى شكٍ من حضوره، لأنهم كانوا قد علموا بحكم المجمع عن شأنه، ولكنه
كانوا يتمنون أن يأتى. وأنهم كانوا يفتشون عليه. أما الرؤساء والفريسيون فكانوا بعكس ذلك قد
«**أصَدرُوا أمراً أنه إن عرف أحد أين هو، فليدُل عليه لكى يمسكوه**» تنفيذاً لرأى قيافا الذى
أجمعوا عليه، كما سبقت الإشارة (آية ٥٣).

✝ ✝ ✝

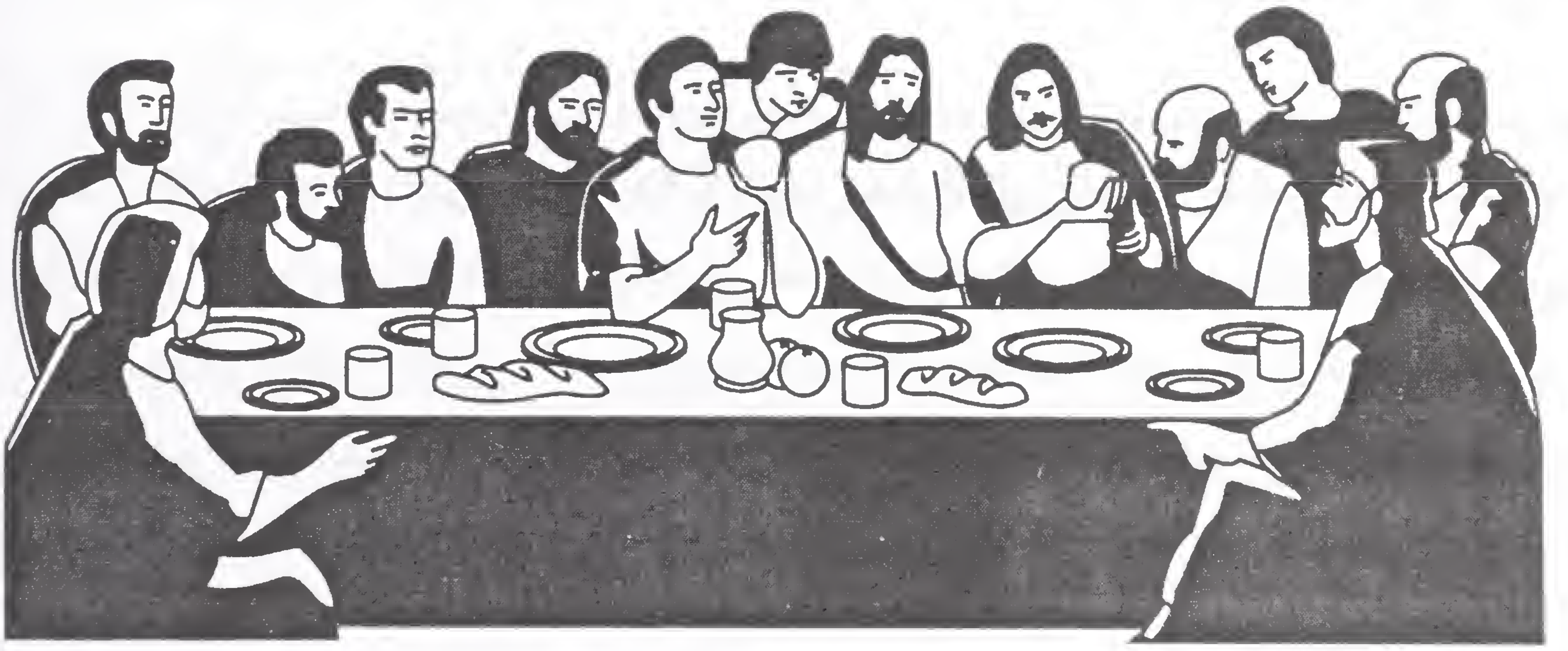

الإصحاح الثانى عشر

١- ثم قبل الفصح بستة أيام أتى يسوع إلى بيت عنيا، حيث كان لعازر الميِّت الذى أقامه من الأموات.
٢- فصنعوا له هناك عشاءً . وكانت مرثا تخدم. وأما لعازر فكان أحد المتكئين معه.
٣- فأخذت مريم مناً من طيب ناردين خالص، كثير الثمن، ودهنت قدّمى يسوع ومسحت قدميه بشعرها. فامتلأ البيت من رائحة الطيب.

«**قبل الفصح بستة أيام**» أى يوم الجمعة من الأسبوع السابق على أسبوع الآلام (جمعة ختام الصوم) وقبل أحد السعف. فتكون الستة أيام هى السبت والأحد والأثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس «أتى يسوع إلى بيت عنيا حيث كان لعازر الميت الذى أقامه من الأموات» لكى يعتزل أورشليم بعض الوقت.

«**فصنعوا له هناك عشاءً**» إكراماً له، وإظهاراً لسرورهم بزيارته. وهذا العشاء هو الذى ذكره البشيران متى ومرقس. وقالا إنه كان فى بيت سمعان الأبرص والد مرثا ومريم ولعازر (راجع مت ٢٦ومر١٤) فأخذت مريم مناً من طيب ناردين خالص الثمن إلخ.

قال متى ومرقس أنها دهنت رأسه. وزاد يوحنا أنها دهنت أيضاً قدميه. فقامت أولاً بالأمر الذى كان يحصل غالباً، وهو دهن رأسه، ثم زادت ودهنت قدميه إظهاراً لسخائها ووفرة شكرها، على إقامة أخيها من الموت.

وقوله «**ومسحت قدميه بشعر رأسها**» لا يفيد أنها مسحتهما بعد الدهن بالطيب لأنها تكون قد مسحت شعرها، لا قدميَّ يسوع. بل المراد أنها مسحت قدمّى يسوع أولا من الغبار، إذ كان يسير كعادة اليهود بالنعل وحده، ثم دهنتهما بالطيب. «فأمتلأ البيت من رائحة الطيب» لكثرة الطيب وجوَّدته.

٤- فقال واحد من تلاميذه وهو يهوذا سمعان الأسخريوطى، المُزمِع أن يُسلِّمه. ٥- «لماذ لم يُبَع هذا الطيب بثلاث مئة دينار ويُعطَّ للفقراء»؟ ٦- قال هذا ليس لأنه كان يُبالى بالفقراء، بل لأنه كان سارقاً. وكان الصندوق عنده. وكان يحمل ما يُلقَّى فيه.

واقتصر متى ومرقس على أن التلاميذ تذمرُّوا، ولكنهما لم يُصرَّحا أيهم كان البادئ. أما يوحنا فذَكرَه بالإسم. ثم أوضح السبب بقوله إنه كان أمين الصندوق الذى يحفظ المال الزهيد الذى كان يكرم به المؤمنون يسوع وتلاميذه. وأنه كان خائناً فأظهر غيرته على الفقراء رياء لأن يده لم تصل إلى ثمن ذلك الطيب فيختلس منه، كما جرت عادته.

وتتعلم من وجود صندوق نفقة عند المسيح – معلم الكمال وتلاميذه – أنه يجوز أن يكون للكنيسة صناديق ومقتنيات، ولا يُخالِف الكمال الحصول على أملاك للكنيسة للنفقة المعتدلة على الخدمة والخُدَّام.

٧- فقال يسوع «أتركوها، إنها ليوم تكفينى قد حفظته»؟ ٨- «لأن الفقراء معكم فى كل حين. وأما أنا فلستُ معكم فى كل حين» :

ويظهر من قول يسوع «**أتركوها**» إن التذُّمر كان عاماً من كل التلاميذ، وأن الذى ابتدأ بتهييجهم هو يهوذا اللص.

٩- فعلِم جمع كثير من اليهود أنه هناك. فجاءوا ليس لأجل يسوع فقط، بل لينظروا أيضاً لعازر الذى أقامه من الأموات.١٠- فتشاور رؤساء الكهنة ليقتلوا لعازر أيضاً. ١١- لأن كثيرين من اليهود كانوا بسببه يذهبون ويؤمنون بيسوع.

لا عجب فى مجئ اليهود عموماً، سواء كانوا من أعداء يسوع، أو من أصدقائه، لرؤية لعازر، لأن قيامته بعد أربعة أيام من موته أمر لا نظير له. فاغتاظ رؤساء الكهنة من هذه الحالة. وأرادوا قتل لعازر، ليتخلُصوا من شهادته بصحة دعوى يسوع أنه المسيح، لأنه ما دام حياً، لابُد أن تتوافد الجماهير لمشاهدته، والمحادثة معه وسماع شهادته. وهذا الوضع كان يحمل الكثيرين منهم على الإيمان بيسوع.

قال أغسطينوس: «ما أحمق أفكار رؤساء الكهنة وما أقسىً قلوبهم، وما أشد عماهم وجهالتهم. فالمسيح الذى أستطاع أن يُقيم لعازر بعد موته ألا يقدر أن يقيمه بعد قتله؟ فإذا قتلتم لعازر هل تسلبون من المسيح قوته. فإن كان الميت عندكم غير القتيل، فهوذا الرب فعل الأمرين. فأقام لعازر بعد موته، وأقام نفسه بعد قتلكم إياه».

١٢- وفى الغد سمع الجمع الكثير، الذى جاء الى العيد، أن يسوع آتٍ إلى أورشليم. ١٣- فأخذوا سعوف النخيل وخرجوا للقائِه. وكانوا يصرُخون «أُوصَّنا مبارك الآتى باسم الرب ملك اسرائيل». ١٤- ووجد يسوع جحشاً فجلس عليه كما هَو مكتوب. ١٥- «لا تخافى يا إبنة صهيون. هوذا ملكِكِ يأتى جالساً على جحش أتان». ١٦- وهذه الأمور لم يفهّمها تلاميذه أولاً. ولكن لما تمجَّد يسوع، حينئذ تذكروٌّا أن هذه مكتوبة عنه. وأنهم صنعوا هذه له. ١٧- وكان الجمع الذى معه يشهد أنه دعا لعازر من القبر، وأقامه من الأموات. ١٨- لهذا أيضاً لاقاه الجمع لأنهم سمعوا أنه كان قد صنع هذه الآية. ١٩- فقال الفريسيون بعضهم لبعض «انظروا. إنكم لا تنفعون شيئاً، هوذا العالم قد ذهب وراءه».

راجع مت ٢١:١-١١ ومر١١:١-١١ ولو١٩:٢٨-٣٩ تجد أحداث هذا الاحتفال بالتفصيل الوافى. وقد اختلف البشيرون فى روايته لفظاً، لكنهم اتحدوا معنىً. فذكرها يوحنا بالإجمال: وأما البشيرون الآخرون فذكرُوها بالتفصيل.

وقوله إن التلاميذ «**لم يفهموا هذه الأمور**» أى لم يفهموا أن دخول المسيح الى أورشليم بهذا الاحتفال، كان إتماماً للنبوة، وأن ما قاله النبى زكريا فى المسيح وملكوته لم يدل على ما ظنوه من أنه مَلِك أرضى، بل أن مُلكه روحى.

وقوله «**لما تمجَّد يسوع**». معناه لما قام من الموت، وصعد الى السماء وجلس عن يمين الآب فى العظمة. وقوله «**تذكروا**» معناه «فهموا معنى النبوات المتعلقة بيسوع على الحقيقة».

وقول الفريسيين بعضهم لبعض: «**انظروا إنكم لا تنفعون شيئاً**» يدُّل على شدة غيظهم من خيبة كل الوسائل التى اتخذّوها، لإبعاد الشعب عن يسوع، ومآلها الى ذهاب الجماهير وراءه، وتسارعهم فى إكرامه، حتى خاف الفريسيون أن يكون عاقبة ذلك ضياع سلطتهم الدينية تماماً.

٢٠- وكان أُناس يونانيون من الذين صعدوا ليسجدوا فى العيد. ٢١- فتقدم هؤلاء إلى فيلبس الذى من بيت صيدا الجليل، وسألوه قائلين «ياسيد نُريد أن نرى يسوع». ٢٢- فأتى فيلبُّس وقال لإندراوس، ثم قال إندراوس وفيلبس ليسوع. ٢٣- وأما يسوع فأجابهما قائلاً «قد أتت الساعة ليتمجَّد ابن الانسان».

«**اليونانيون**» هم الوثنيون على وجه العموم الذين يُعبَّرعنهم فى العهد القديم «**بالأمم**». ويجوز أن تطلق هذه الكلمة على اليهود الذين تغرَّبوا عن اليهودية وتكلموا باليونانية. أو الوثنيين الذين تهودُّوا.

ويدل ذلك على صعودهم ليسجدوا فى العيّد، أنهم كانوا إما من الشتات أو من الوثنيين المتهودين، وهو الأرجح، لا من الأمم الباقين على عبادة الأوثان.

ورغبتهم فى رؤية يسوع تدل على أنهم سمعوا بتعاليمه وعجائبه ورأوا دخوله باحتفالٍ فى أورشليم. ولم يذهبوا لملاقاة يسوع مباشرة لأن اليهود كانوا يشمئزون من الأمم على نحو ما قاله يوحنا فم الذهب. أو لازدحام الجمع، كما قال آخرون.

والعلة فى اختيارهم فيلبس دون غيره هى معرفتهم السابقة به، أو لأنه أول من إلتقى بهم، أو لأنه كان فى دار الأمم. وأما يسوع وتلاميذه فكانوا فى دار أخرى لا يجوز للأمم أن يدخلونها.

وذهاب فيلبس الى إندراوس لأنه كان أقدم منه دعوةً، وأكبر منه سِناً. وكانت نتيجة مشاورتهما اتفاقهما على إنباء يسوع بذلك.

فأجابهما يسوع قائلاً «**قد أتت الساعة ليتمجّد ابن الانسان**» أى ليُصلب ويموت ويقوم من الاموات ويصعد إلى السماء، فيعود الى مجده، ويتمجَّد أيضاً بامتداد ملكوته على جميع شعوب الأرض، من اليهود والأمم على السواء.

فكأنه قال «لا وجه لمنع الأمم من الإتيان اليّ إذ قد اتت الساعة، التى يتمجَّد فيها ابن الانسان، لا من اليهود فقط بل من الأمم ايضاً. فقد جاءت ساعة موتى وقيامتى وصعودى، وإرسال الروح القدس. فأتمجَّد من كل العالم».

٢٤- «الحق الحق أقول لكم إن لم تقع حبة الحِنّطة فى الأرض، وتَمُت. فهى تبقى وحدها. ولكن إن ماتت تأتى بثمرٍ كثير».

كأنه يقول: كما أن حبة الحنطة ـ أى القمحة ـ إذا لم تُزرَع، بل حُفِظَت فى المخزن فوق سطح الأرض، حيث لا تصيبها الرطوبة (الرَى) تبقَّى سالمة وصحيحة، ولكن بلا منفعة ولا زيادة. أى لا تأتى بثمر، ولكن إذا زُرِعَت فى الأرض، ودُفِنت فى التربة ماتت من جهة صورتها الأولى وخواصها الأَصلية، فتنشأ من موتها حياة جديدة تظهر فى ساق النبات ثم السُنبل ثم القمح، فتأتيِ بثمر: عشرين، وثلاثين، وستين، ومئة حبة.

هكذا، أنا فإننى قد جئت من السماء، لأموت فداءً عن العالم، لأن موتى هو الوسيلة الوحيدة إلى حياة نفوس لا تُحصَى، تُفدَّى من خطاياها بى. فإن لم أَمُت أبقَّى كحبة حنطة غير مزروعة. أى لا أفدى العالم.

فموتى لازم وضرورى ليصدر منه، ومن استحقاقى ونموذجى، ثمار (روحية) وافرة. وكذا الذين يؤمنون بى. فقد حَدث أنه عندما كان يُقتَل أحد الشهداء يؤمن كثيرون بسببه، حتى قال ترتوليانوس فى ختام دفاعه عن الإيمان «إن دم الشهداء بذار المسيحيين».

٢٥- «منْ يحِب نفسه يُهلكها. ومن يُبغِض نفسَه فى هذا العالم يحفَّظها إلى حياة أبدية».

(راجع مت١٠:٣٩و ١٦:٢٥ ومر٨:٣٥ ولو٩:٩-٢٤ و١٧:٣٣) وخُلاصة القول إن المؤمنين يجب عليهم أن يكونوا مستعدين لخُسَّران كل شيء، حتى حياتهم الجسدَّية، لنوال الحياة الأبدية، متمثلين بسيّدهم الإلهى، الذى بَذَل حياته ليهبَّهم حياة أبدية. أما الذين يُنكرون إيمانهم ولا يُمكنهم أن يرضوا بخسران شىء من غناهم، أو قمع شهواتهم الدُنّيوية، فهؤلاء يفقدون الحياة الأبدية، إذ يُلقون بعد الموت فى عذاب جهنم.

٢٦- «إن كان أحد يخدّمنى، فليتبعنى. وحيث أكون أنا هناك يكون خادمى. وإن كان أحد يخدّمنى يُكرّمه الآب».

كأنه يقول: إن من آثر أن يكون لى تلميذاً أميناً، يجب عليه أن يقتدِى بى فى إنكار الذات، وعدم الالتفات الى شرف العالم وغناه ومجده. ويقتدى بأمانتى واتضاعى وأعمالى الصالحة.

فالذى يفعل هكذا يكون معى فى ملكوت المجد، حيث السعادة والفرح الدائم، إلى الأبد، ويُكرِمُه الآب. وهذا الإكرام لا يستطيع اللسان ان يُعبِّر عن عظمته وروعته.

٢٧- «الآن نفسى قد اضطرَّبت. وماذا أقول؟ أيها الآب نجنّى من هذه الساعة. ولكن لأجل هذا أتيتُ الى هذه الساعة».

إن اضطراب نفس يسوع هنا كاضطرابها فى بستان جثسيمانى. والصلاة التى قدّمها هنا، كالصلاة التى قدّمها هناك. واضطَرابه ليس مُكرهَاً كما يحصل لنا، بل اضطراب بإرادته، ومتشوقاً للألم من أجل خلاص العالم.

وقال يوحنا فم الذهب إن المسيح كان قد حرّض تلاميذه على إتباعه بالموت. فلئلا يقولوا إن الكلام فى الموت والتحريض عليه سهل، على من كان عنه بعيداً. فأظهر المسيح أنه سيموت قريباً ليفدينا من الخطية الجدَّية (الموروثة) حسب وعوده القديمة للآباء والأنبياء.

ومعنى قوله «ماذا أقول»: إن اضطَرَابى من الموت هو لكى أحقق تأنّسى. فلا يليق حينئذ أن أقول: أيها الآب نجنى من الموت» لأننى كيف أطلب نجاتى من الموت. فإننى لو طلبت من أبى أن يُنجنَّى منه، لنجانيّ منه فعلاً، وكانت نتيجة ذلك أن يبقى العالم فى الهلاك الى الأبد. وأنا «**لأجل هذا**» أى لأجل فداء البشر بموتى «**أتيتُ الى هذه الساعة**» من السماء، إلى الأرض، لخلاص الناس ومن المُذود إلى الصليب، لأموت. ولذا أتجرّع كأس الموت راضياً مُختاراً.

٢٨- «أيها الآب مجدّ إسمك». فجاء صوت من السماء «مجدّت وأُمجِد أيضاً». ٢٩- فالجمع الذى كان واقفاً وسمع، قال «قد حدَث رعد». وآخرون قالوا قد «كلّمه ملاك».

كأنه قال: «بما إننى أتيتُ لخلاص البشر، فإنما أقول «**أيها الآب مجّد إسمك**»، بموتى الذى هو مشورة محتومة منذ الأزل، والذى اتجرَّعه طوّعاً واختياراً، لأنى أريد أن إسمك يتمجَّد، مهما لحقنى

بذلك من الآلام وتقديم نفسى ضحية عن خطايا العالم كلهُ، لأرُدّ الناس الهالكين بالخطية، إلى حياة النعمة، واقتادَهم إلى السماء، ليُمجُدوك إلى الأبد. كما فسَّره يوحنا فم الذهب.

«**فجاء صوت من السماء، مجدّتُ وأُمجِّدَ أيضاً**». أى قد مجدتُ اسمى باعلاناتى للآباء والأنبياء، وبكل ذبائح الشريعة. وقال أغسطينوس «مجدت إسمى بإشراكى إبنى بمجدى وعزتى ولاهوتى منذ الأزل، وبخلقتى به العالم. وكل ما وُجِدَ فى العالم.

ومجدّته بالصوت أولاً عند عماده (مت٣:١٧) وثانياً حين التجّلى (مت١٧:٥) وأمجدّه الآن بهذا الصوت. وسأُمجدّه فى موته، وبعد موته وصعوده، وحلول الروح القدس، وببشارة الرسل. فإنه حينئذٍ يؤمن جميع الأمم بأن المسيح هو ابن الله حقاً. ويمجّدونه، ويمّجُدون الآب أيضاً.

فلما سمع الجمع الذين كانوا واقفين هذا الصوت ـ الآتى من السماء ـ اختلفوا فى مصدره. فقال بعضهم «**هذا رعد**» ولعل الذين قالوا هذا الرأى هم اليونانيون الذين لم يفهموا اللغة العبرانية، أما الذين فهموّها فقالوا «**قد كلَّمه ملاك**» لأن صوته كان أجمل من كل الاصوات البشرية.

٣٠- أجاب يسوع وقال «ليس من أجلى صار هذا الصوت بل من أجلكم».

كأنه يقول: إن هذا الصوت لم يصدر لتعزَّيتى، أو لإزالة شك عندى، لأننى والآب واحد، بل صدر لأجل فائدتكم، حتى تؤمنوا إننى ابن الله، وتطرحوا كل شك بأننى مُرّسل لخلاص العالم.

إننى أعلم إنكم لا تستفيدون الآن من هذا الصوت، ولكن ستأتى أيام فيها تتذكرون هذا الصوت، وتستفيدون منه.

٣١- «الآن دينونة هذا العالم. الآن يُطرح رئيس هذا العالم خارجاً».

قال يوحنا فم الذهب، ليس المقصود بالدينونة هنا، حساب اليوم الأخير، بل المقصود شجب اليهود وانتقام الله منهم، لحكمهم على المسيح بالموت وهو برئ.

وقيل إن الدينونة هنا يُرَاد بها وقت إنقاذ العالم من عبودية الشيطان،وإعلان أن العالم أثيم، وأنه تعالى آخذ فى إزالة كل ما يُغيظه فيه، ولاسيما عبادة الأوثان. وما طرأ على الدين اليهودى من الفساد والرياء، واستيلاء الشيطان على قلوب الناس.

ولهذا قال «**الآن يُطرَح رئيس هذا العالم خارجاً**». أى أن قوة الشيطان تَضعُف وتتضاءل، فلا يستطيع أن يُجرِّب الناس بالقوة التى كانت له قبل أن يمنحهم المسيح نعمته الفعّالة، التى بها يُقاومون تجارب إبليس وحيله. فلا يكون له سُلطان عليهم، إلا إن فتحوا قلوبهم وقبلوه فى بيت أنفسهم (فى قلبهم) **طوعاً واختياراً.**[1]

٣٢- «وأنا إن ارتفعّتُ عن الأرض أجذب اليَّ الجميع». ٣٣- قال هذا مُشيراً إلى أية ميتة كان مُزمعاً أن يموت.

كأنه يقول: «واذا ارتفعت على الصليب، لأموت كفارةً عن خطايا العالم، ثم قمتُ وصعدّت إلى السماء، أجذِب إليّ- أى إلى الإيمان بى ـ كل صفوف البشر من اليهود والأمم، فى كل زمان ومكان، ولكن ليس غصباً أو قِسَراً، بل بالحرية والاختيار، وقوة الإقناع، سواء بالعجائب أو البراهين العقلية أو بتشويقهم إلى أمجاد السماء وأفراحه الدائمة.

٣٤- فاجابه الجمع «نحن سمعنا من الناموس أن المسيح يبقّى إلى الأبد. فكيف تقول أنت أنه ينبغى أن يرتفع ابن الانسان؟ منْ هو هذا إبن الانسان؟!».

ظن اليهود أن المسيح يكون **ملكاً زمنياً. وأنه يملك على الأرض الى الأبد، مُلكاً منظوراً.** ويكون له جيوش ووزراء وحُكّام، وأنه يُنقذهم من عبودية أعدائهم (الرومان)، وأنه يستمر هكذا ملكاً الى الأبد، فلا يذوق الموت مطلقاً!!.

فساقهم هذا الخطأ الى الإعتراض على المسيح بقولهم: «**نحن سمعنا فى الناموس**» أى فى اسفار العهد القديم «**أن المسيح يبقّى الى الأبد**»، باعتبار مُلكِه الروحى الذى فهموه أرضياً.

«**فكيف تقول أنت إنه ينبغى أن يرتفع**» أى يتألم ويموت على خشبة الصليب. فقل لنا «منْ هو هذا ابن الانسان؟» أي« فإن كنتَ أنتَ ابن الانسان، كما صرَّحتَ بذلك مراراً، فكيف تريد أن نعتبرك المسيح المنتظر. وقد تعلّمنا من الكتب المقدسة أن المسيح يبّقى الى الأبد؟ وإن كان ابن الانسان الذى سيرتفع هو غيرك فقل لنا من هو ذاك؟»،

(١) الإنسان «مُخيَّر» فى أعماله وأقواله وتصرفاته، لذلك سيتم محاسبته (دينونته) عليها يوم القيامة.

٣٥- فقال لهم يسوع «النور معكم زماناً قليلاً بعد. فسيروا مادام لكم النور، لئلا يُدرككم الظلام. والذى يسير فى الظلام لا يعلّم الى أين يذهب؟!».

قيل إن معناه: إننى لا أبقى فى الموت أبداً، لكننى كالنور، الذى يطلع تارة ويغيب تارة. وهذا حسب الاحتياج إليه. فسأضع نفسى مدة يسيرة من الزمان ثم استعيدها بقوتى وسُلطانى، ويبقى جسمى غير فاسد. وأظهر فى الوقت الذى يصلح (المحدد) للدينونة.

فيجب عليكم أن تفهموا قولى، ما دمُتُ فى هذا العالم، وتتصرفوا بحسب شريعتى الفُضّلى، لئلا يدرككم الموت، فيفوَتكم إدرَاك الحق».

وقال يوحنا فم الذهب «إن المسيح أجابهم على سؤالهم إنه سوف يموت إلا أنه سيقوم، ويبقى إلى الأبد. وشَّبه نفسه «**بالنور**» لأنه كما أن نور الشمس لا يُظلِم بل يحجبه الليل (دوران الأرض يومياً حول محورها) فيختفى زماناً يسيراً، ثم يعود للظهور. هكذا المسيح وإن مات فسيقوم، ويدوم الى الأبد.

وقيل إن معناه: «إننى المسيح نور العالم، المنير له بالتعليم، ومعرفة أمور الخلاص، وسأبقّى معكم «**زماناً قليلاً بعد**» بالجسد. «إذ قد اقترب زمان موتى».

«**فسيروا مادام لكم النور**» أى فاغتنموا فُرصة وجودى معكم بالجسد هذا الزمان الوجيز الآن. وآمنوا بى، واسمعوا لى، فأرشدكم إلى طريق الحياة. وأعلّمكم كيف أموت لأجل خلاصكم؟ وكيف أبقّى الى الأبد؟

وإياكم أن تتقاعسوا عن إغتنام الفُرصة «**لئلا يُدرككم الظلام**». فأنزع نعمتى منكم، فتعَمُون عن معرفة الحق. وأترَككم فى جهالتكم، وأحجّب عنكم النور بموتى، فتسيرون فى ظلام الضلالات والغوايات الشيطانية، وأخيراً تقعون فى حُفرَة جهنم، حيث ظلام اليأس والشقاء الدائم.

وقد تم هذا القول فعلاً على اليهود. فإنهم برفضهم المسيح، صاروا كتائهين فى الظلام فى العالم، بلا مُرشد ولا غاية (اهتمام بالأبدية).

وقد تعرّض اليهود إلى التشتّيت، فى كل العالم، اعتباراً من عام ٧٠ م.

٣٦- «مادام لكم النور آمنوا بالنور لتصيروا أبناء النور». تكلم يسوع بهذا. ثم مضى واختفى عنهم.

كأنه يقول «آمنوا بى أنا النور الحقيقى، واتكلوا عليَّ، واتخذونى مُرشداً ومُخلِّصاً. فإذا فعلتم ذلك تصيرون «**أبناء النور**» أى أطهاراً لا غش فيكم. فتكونون مجبولين على الاخلاص، وعدم الرياء، وعدم الخداع. وتُنيرون على غيركم بقُدّوتكم الصالحة.

وبصفة عامة، تكونون مثلى، «**أنا النور الحقيقى**». أما سبب إختفاء المسيح، بعد هذا القول، فهو لأنه رأى أن أعداءه يريدون القبض عليه، وأن وقته للصلب لم يأتِ بعد.

٣٧- ومع أنه كان قد صنع أمامهم آيات هذا عددها، لم يؤمنوا به. ٣٨- ليتم قول إشعياء النبى الذى قاله «يارب منْ صدّق خبرّنا ولمن اسُعّلنت ذراع الرب؟». ٣٩- لهذا لم يقدروا أن يؤمنوا.لأن إشعياء قال أيضاً ٤٠- «قد أعمى عيونهم وأغلظ قلوبهم لئلا يُبصّروا بعيونهم، ويشعروا بقلوبهم ويرجعوا فأشفّيهم». ٤١- قال إشعياء هذا، حين رأى مجده وتكلم عنه.

فى هذه الآيات أوضح البشير يوحنا قساوة قلوب اليهود. وكيف عموا عن معرفة الحق، ورفضوا البرَاهين الراهنة، التى قامت على لاهوت المسيح. فقال «**ومع أنه**» أى المسيح «**كان قد صنع أمامهم آيات**» ومعجزات «**هذا عددها**» أى لا تُحصى كلها.

على مثال المعجزات التى ذُكرت، ومنها مثلاً تحويل الماء خمراً، وفتْح عينيَّ الأعمى من بطن أمه. وإقامة المفلوح وإقامة لعازر من الموت، وغيرها الكثير.

مع كل هذه المعجزات «**لم تؤمنوا به**». وقد كان كفرهم وفقاً لنبوة إشعياء القائل: «يارب منْ صدَّق خبرّنا؟ ولمن استُعلنت ذراع الرب؟» ومعناها ما أقل اليهود الذين يؤمنون بالمسيح، وبقوة الله التى ظهرت فى أعماله ومعجزاته وتعاليمه، وقيامته من الموت وصعوده إلى السموات.

وإن النبوّة ليست علة لعدم إيمانهم، بل تنبأ إشعياء النبى أنهم لا يؤمنون، لأنه رآهم بوحى الله أنهم لا يؤمنون.

وزاد النبى على ذلك، مُوضحاً أسباب كفرهم فقال: «**قد أعمىّ عيونهم**». أى فسمح الله أنهم يغمضون عيونهم عن الحق. «**وأغلَّظ قلوبَهم**» أى أن يُقسّوا عنه بإرادتهم واختيارهم.

فان الله عقاباً لهم على ذنوبهم وإصرارهم على الشر، **سمح أن يتركهم فى الحال التى أختاروها لأنفسهم**، حتى ينالوا جزاَءهم، فلا يعودوا الى الله فيشفهيم من أمراض الذنوب والآثام بل يموتون بها ويُطرحون فى جهنم.

«**قال إشعياء هذا حين رأى مجده، وتكلم عنه**» وأشار بذلك إلى قوله «رأيتُ السيد جالساً على كرسيّ عالٍ ومرتفع وأذياله تملأ الهيكل. السيرافيم واقفون فوقه لكل واحد ستة اجنحة. بأثنين يغطى وجهه وبإثنين يغطى رجليه وبإثنين يطير. هذا نادى ذاك وقال «قدوس قدوس قدوس رب الجنود مجده ملء كل الارض» (إش٦:١-٣) وقد أجمع علماء البيعة أن المجد الذى رآه إشعياء هو **مجد الأقنوم الثانى**، لأن الله الآب لم يَره أحد قط (يو١٨) «ولم يَره أحد من الناس ولا يقدر أن يراه (١تى٦:١٦) فإشعياء رأى منذ مئات من السنين «**المسيح**» أما اليهود فكان بينهم متجسداً فعموا عن رؤيته.

وقال يوحنا فم الذهب «إن المجد الذى رآه إشعياء. هو **مجد الله الآب**، ولكن الرأى الأول أرجح بالطبع.

٤٢- ولكن مع ذلك آمن به كثيرون من الرؤساء أيضاً. غير أنهم لسبب الفريسيين لم يعترفوا به. لئلا يصيروا خارج المجمع. ٤٣- لأنهم أحبُّوا مجد الناس أكثر من مجد الله.

قال الإنجيلى فيما سبق إن اليهود أصرُّوا على عدم الايمان بالمسيح مع كثرة المعجزات التى صنعها أمامهم، واستدرك الآن إنه: قد «**آمن به كثيرون من الرؤساء**».

أى اقتنعوا بأن هذا هو المسيح المنتظر، اقتناعاً عقلياً، ولكن لم يؤمنوا به إيماناً قلبياً. ولا جاهروا بإيمانهم، لأنه لو كان إيمانهم قلبياً ما كانوا يخافون من طرد المجمع لهم، أى حرمانهم من الحقوق المّدنية والدينية. وقد كانوا يحبون «**مجد الناس**» أى مدحهم ورضاهم «**أكثر من مجد الله**» (رضاه).

فخالفوا بذلك أحكام عقولهم، وشهادات ضمائرهم. فأهلكوا نفوسهم، إن كانوا قد بقوا على تلك الحال، ولم يُجاهِروا بإيمانهم فيما بعد.

٤٤- فنادى يسوع وقال: «الذى يؤمن بى ليس يؤمن بى، بل الذى أرسلنى. ٤٥- والذى يرانى يرى الذى أرسلنى. ٤٦- أنا قد جئت نوراً للعالم، حتى كل من يؤمن بى لا يمكث فى الظُلمة. ٤٧- وإن سمع أحد كلامى ولم يؤمن فأنا لا أدينه. لأنى لم آتِ لأُدين العالم، بل لأُخلِّص العالم. ٤٨- من رذلنى ولم يقبل كلامى فله منْ يُدينه. الكلام الذى تكلمت به هو يُدينه فى اليوم الأخير. ٤٩- لأنى لم أتكلم من نفسى، لكن الآب الذى أرسلنى هو أعطانى وصية ماذا أقول؟ وبماذا أتكلم؟ ٥٠- وأنا أعلم أن وصيته هى حياة أبدية. فما أتكلم أنا به، فكما قال لى الآب هكذا أتكلم».

إن كلام السيد المسيح فى هذا الفصل، مُكرر لما قاله سابقاً. ومختصره، فإن قوله «**الذى يؤمن بى ليس يؤمن بى، بل بالذى أرسلنى**» (ورد مثله فى ص٥:٣٦ و٧:١٦ و٢٩و٨: ١٩و١٠:٣٥) وفى هذه الاية تصريح بأن الايمان بالمسيح يتضمن الإيمان بالله الآب، وهذا دليل على الاتحاد التام بين المسيح وأبيه.

وقوله «**والذى يرانى يرى الذى أرسلنى**». ورَدَ مثله (فى ص٥:١٧) والمُراد منه أن الذى يرى يسوع يرى كل ما يمكن من معلنات الآب. وهذا دليل واضح على مُساواة الإبن للآب. وقوله «**انا قد جئت نوراً الى العالم حتى كل من يؤمن بى لا يمكث فى الظلمة**» ورد مثله (فى ص ٨:١٢) والقصد منه أن يسوع، لنفوس الناس، بمنزلة الشمس لأجسادهم. فهو أصل التنوّير والبَركَة والسعادة، ووسيلة الوقاية من الخطر.

والمُرَاد بالظُلمة الجهالة، والضلال الذى يقود صاحبه الى جهنم. وقوله «**وإن سمع أحد كلامى ولم يؤمن فأنا لا أُدينه. لأنى لم آتِ لأُدين العالم، بل لأُخِلِّص العالم**» (ورد مثله فى ص٨:١٥ وص ٣:١٧).

والمُراد منه أن المسيح أتى، **المجىء الأول**، ليُعّد الخلاص للجميع، ليس للدينونة التى ستكون هى الغرض من المجىء الثانى.

وقوله «**مَنْ رذلنى ولم يقبّل كلامى، فله من يُدينه. الكلام الذى تكلمت به هو يُدينَه فى اليوم الأخير**» (ورد مثله فى ص١٨:٣و٤٥:٥ و٣٠:٨ و٢٥:٥-٢٧) والمُرَاد منه أن كلامه الذى سمَعَه اليهود ولم يؤمنوا به هو يشكوهم (يشهد عليهم) فى اليوم الأخير، ويهتف إنهم يستحقون جهنم. ويشهد بعدل الله الديّان أيضاً.

وقوله «لأنى لم أتكّلم من نفسى، لكن الآب الذى أرسلّنى هو أعطانى وصية: **ماذا أقول؟ وبماذا أتكلم؟**» ورَدَ مثله (فى ص٣٠:٥و ١٦:٧ – ١٨و ٢٦:٨ و ٢٨ و ٣٨) والمراد منه أن الذين رفضوا كلام المسيح رفضوا كلام الله الآب.

وقال يوحنا فم الذهب إن المسيح تكلم هنا بمنزلة فادٍ ووسيطٍ، وناسوته تام. ولذا ارتضى أن يكون رسولاً يأخذ وصية من الآب ويوّصلها للشعب.

«**وأنا أعلم**» علماً ذاتياً جوهرياً اختبارياً «**أن وصيته هى حياة أبدية**» لأنها علة الحياة الأبدية، ومصدرها لكل من يقبلّها ويُطيعها. وقوله «**فما أتكلم أنا به، فكما قال لى الآب هكذا أتكلم**» (ورد مثله فى ص١٦:٧-١٨) والمُرَاد أن اليهود الذين رفضوا كلام المسيح، رفضوا كلام إله آبائهم إبراهيم وإسحق ويعقوب.

الإصحاح الثالث عشر

١- أما يسوع قبل عيد الفصح، وهو عالم أن ساعته قد جاءت، لينتقل من هذا العالم الى الآب، إذ كان قد أَحَّب خاصته الذين فى العالم أحبهم الى المُنتّهى. ٢- فحين كان العشاء وقد ألقَّى الشيطان فى قلب يهوذا سمعان الاسخريوطى أن يُسلّمه. ٣- يسوع وهو عالم أن الآب قد دفع كل شىء إلى يديه، وأنه من عند الله خرج، وإلى الله يمضى. ٤- قام عن العشاء وخلع ثيابه وأخذ منشفةً واتزر بها. ٥- ثم صب ماءً فى مغسل. وابتدأ يغسل أرجل التلاميذ ويمسحها بالمنشفة التى كان مُتزِراً بها.

لم يذكر مسألة غسْل المسيح أرجل الرسل، ثم الخُطْبة التى تلاها عليهم بعد ذلك، سوى يوحنا البشير، والرسول الحبيب. فقال إن يسوع «**قبل الفصح**» أى فى مساء الخميس وبقوله (قبل) أبان أن المسيح أكل العشاء السرى مع تلاميذه فى الوقت الذى هو ما بين استعداد اليهود وبيّن أكلهم الفصح، أى وهم على وشك أن يبتدئوا فى أكله.

«**وهو عالم أن ساعته قد جاءت**» أى أن الساعة المحددة لموته قد جاءت، «لينتقل» من العالم أى ليموت على عود الصليب.

وعبَّر عن الموت بالإنتقال لأنه فى الحقيقة إنما هو انتقال من مكان الى مكان. وكذلك يكون موت المؤمن بالمسيح، فإنه ليس سوى الذهاب الى وطنه السماوى.

«**إذ كان**» المسيح «**قد أحبَّ خاصته الذين فى العالم**» الذين اختصهم بحُبه وهم تلاميذه (وبالتالى جميع المؤمنين به) «**أحبهم الى المنتهى**». أى حُباً سامياً كاملاً لا يساويه فى كماله حُب آخر.

وقال يوحنا فم الذهب إن معنى «**الى المُنتَهى**» دائماً. وهو مثل قوله «**إلى إنقضاء الى العالم**» أى إلى الأبد (إر ٣١:٣).

«**فحين كان العشاء**» قيل إنه يقصد «بالعشاء» هنا عشاء الفصح. وقيل إنه يقصد عشاء الإفخارستيا، لأن المسيح صنع ثلاثة أعشية: الأول العشاء الفصحى وأكلوا فيه خروف الفصح والثانى العشاء المعتاد الذى كانت تصنعه العائلات التى لا يكفيها خروف فتتناول أطعمة أخرى، والثالث عشاء الإفخارستيا (وهو رأى خاص).

وقوله «**وقد ألقّى الشيطان فى قلب يهوذا الإسخريوطى أن يُسلّمُه**». أى أثاره على أن يُسلِّم سيده. وقد ذكر الانجيلى خيانة يهوذا بياناً لعظمة اتضاع المسيح. ولفرط المحبة التى أظهرها لتلاميذه بغسله أرجلهم، مع أن واحداً منهم خائن، فإنه له المجد «**وهو عالم إن الآب قد دَفع كل شىء فى يديه، وأنه من الله خرج والى الله يمضى**» أى مع علمه بأصله الإلهى وأنه خرج من الله بدون أن يتركه، وسيرجع اليه، ولكنه لم يتّركُنا.

تنازل وغسل أرجل تلاميذه بما فيهم التلميذ الخائن، ليترك لهم ولجميع المؤمنين مثال الإتضاع العجيب. وذلك أنه «**قام وخلع ثيابه**» الخارجة عن ردائه وشعاره ليكون نشيطاً فى العمل «**وأخذ منشفة واتزر بها**» أى تمنطّق بجانب منها ودّلى الباقى نحو رجلّيه.

«**ثم صبَّ ماءً فى مغسل**» كل ذلك صنعه بنفسه دون مساعدة من آخرين، ليعلمنّا الجِدّ والنشاط. «**وابتدا يغسل أرجل التلاميذ ويمسحها بالمنشفة التى كان مُتزراً بها**». فما أعظم اتضاع المسيح إلهنا. لأن غسل الأقدام ومسّحها كان من الأعمال المختصة بالعبيد فقط.

٦- فجاء إلى سمعان بطرس فقال له ذاك «ياسيد أنت تغسل رجلىَّ؟!»

ويظهر من هذه الآية أن يسوع غسل أرجل كثيرين من التلاميذ قبل سمعان بطرس، وقيل إنه ابتدأ بيهوذا الاسخريوطى، **ليحمله على التوبة ولُيعلمنا الإحسان لمن يُسىء إلينّا**. ولا شك أن التلاميذ كلهم خجلوا من تنازل يسوع لغسل ارجلهم، ولكن لم يتجاسروا أن يعترضوا. وأما بطرس فإنه أظهر تعجبه قائلاً «أنتَ تغسل رجلىَّ؟» أى فكيف وأنت سيد السادات وملك الملوك تغسل بيديك المقدستين اللتين فتحتا أعين العميان، رجليَّ أنا الصياد الحقير؟».

٧- أجاب يسوع وقال له «لسّتَ تعلم أنت الآن ما أنا أصنع، ولكنك ستفهم فيما بعد». ٨- قال بطرس «لن تغسل رجْليَّ أبداً». أجابه يسوع «إن كنت لا أغسِّلك فليس لك معى نصيب».

كأنه يقول أنت يا بطرس تعترض على عملى هذا، لأنك تجهل المقصود منه: «**لكنك ستفهم فيما بعد**» إننى قدمتُ لكم ولخلفائكم من بعدكم - ولكافة المؤمنين - مثالاً للتواضع والمحبة العملية التى يجب أن يُظهِرَّها بعضهم لبعض.

وإن هذا الغسل لا يقصد به ذلك فقط، بل هو يشير أيضاً الى الغسل الرمزى وهو «**تطهير النفوس بدمى، الذى سأبذله عن الجميع**». فلم يقتنع بطرس بهذا الكلام، ورفض أن يغسل المسيح رجلّيه. فأجابه يسوع «**إن كنتُ لا أغسلك**» أى إن كنتَ لا توافق على إرادتى فى هذا الامر «**فليس لك معى نصيب**» أى شركة فى محبتى وخدمتى وملكوتى ومجدى.

وبالمعنى الروحى «**إن كنتَ يا بطرس** لا تُطهّر خطاياك بدمى المُهرَّاق على الصليب، متذّرعاً بوسيلة التوبة الصحيحة، لتستحق التطهير بدمى، لا تدخل السماء، لأنه لا يدخلها نجس أو دنس».

٩- قال له سمعان بطرس «ياسيد ليس رجّلى فقط بل أيضاً يدَّى ورأســى». ١٠- قال له يسوع: «الذى قد اغتسل، ليس له حاجة إلا إلى غسَّل رجليه بل هو طاهر كله. وأنتم طاهرون، ولكن ليس كلكم» ١١- لأنه عرف مُسلِّمه. لذلك قال «لستُم كلكم طاهرين».

يظهر من جواب بطرس أنه ارتعب من تهديد المسيح، فلم يقبل فقط غسل رجليه بل طلب أن يغسل المسيح أيضاً يديه ورأسه. فقال له يسوع «**الذى قد اغتسل**» أى غسَّل خطاياه، وتطهّر من دنسها بدم المسيح بواسطة المعمودية والتوبة، ليس له حاجة «**إلا غسل رجليه. بل هو طاهــر كله**».

وقد أشار يسوع بهذا القول إلى أمر اعتيادى، وهو أن الذى يغتسل فى الحمامّ لا يحتاج – بعد أن يرجع الى بيته- سوى الى غسل رجليه مما يعتريّهما من الغبار. وأما بقية جسمه فلا يحتاج الى غسل.

فكأنه قال إن الذى يغتسل أغتسالاً روحياً، ويتحرَّر من الخطية بواسطة المعمودية والتوبة، فإنه يَطهُر نفساً. ولكنه يحتاج الى غسل رجليه أى الى غفران خطايا خاصة يرتكبها بعد التجديد، مثل تنقية أمياله، فيطهُر منها بالندامة وبتناوله من سر الشكر(الإفخارستيا).

ثم قال يسوع «**وأنتم**» يا تلاميذى «**طاهرون**» مُتبررَّون ومقاصدكم (نياتكم) طاهرة. وقلوبكم نقية «**ولكن ليس كلكم**» لأنه يوجد فيكم واحد لم يزل قلبه فاسداً. ولم يستفّد من تعليمى، ولم يتأثر ويتغيّر بعمل نعمتى فى قلبه.

وهذا الكلام كان تنبيهاً ليهوذا بالذات، ليرجع عن خيانته وإثمه. ولم يُسّمهِ المسيح بالاسم، لئلا يفضحه، ويثور الرسل عليه.

١٢- فلما كان قد غسل أرجلهم وأخذ ثيابه واتكأ أيضاً، قال لهم «أتفهمون ما قد صنعتُ بكم؟». ١٣- أنتم تدعوننى مُعلماً وسيداً. وحسناً تقولون، لأنى أنا كذلك. ١٤- فإن كنتُ وأنا السيد والمُعلم قد غسلتُ أرجلكم، فأنتم يجب عليكم أن يغسل بعضكم أرجل بعض. ١٥- لأنى أعطيتكم مثالاً، حتى كما صنعتُ أنا بكم تصنعون أنتم أيضاً. ١٦- الحق الحق أقول لكم إنه ليس عبد أعظم من سيده ولا رسول أعظم من مُرسِلُه. ١٧- إن علمتم هذا فطوباكم إن عملتموه».

عمل الرب يسوع هو مثال عملى فى التواضع والمحبة. ثم أخذ يعلم تلاميذه. ونستدل من هذا، ومن كثير غيره، أن يسوع كان تعليمه بعمله،أكثر منه بقوله.

فقال لهم «**أتفهمون ما قد صنعتُ بكم**» من غسل الأرجل؟ «أنتم تدعوننى معلماُ وسيداً وحسناً تقولون لإنى أنا كذلك» فيجب ان تُطيعوا وصيتى وتسيروا على مثالى، لأنى «إن كنتُ وأنا السيد المعلم قد غسلتُ أرجلكم، فأنتم يجب عليكم ان يغسل بعضكم أرجُل بعض». فإنكم مهما تنازلتم لخدمة بعضكم، لا يُحسب ذلك شيئاً يُذكر، فى بجانب تنازُل الرب له المجد، لخدمة عبيده وجُبلة يديه.

والخُلاصة إنه يجب على الرسل وخلفائِهم، وعلى المؤمنين عموماً: أن يُظهروا التواضع وإنكار الذات، فى خدمة بعضهم البعض. ولا يجوز لهم ان يتكبَّروا أو يطلبوا الشرف والأولوية لأنفسهم، لأن المسيح قد أعطانا مثالاً للتواضع. وهو رب السموات والارض.

فيجب أن نتمثل به بالقلب، لا مجرد الفعل، لأنه «ليس عبد أعظم من سيده، ولا رسول أعظم من مُرسله».

فلا يجب ان يأنف التلميذ مما رضَّيه المُعلم. ولا يتكبَّر الرسول من أن يقوم بما قام به سيده فطوبى لمن علم هذا المثال، وعمل به، كما قال بفمه الطاهر «إن علمتُّم هذا فطوباكم إن عمّلتُموه» (فالحاجة الى العلم + العمل الصالح).

١٨- «لستُ أقول عن جميعكم. أنا أعلم الذين اخترتهم، لكن ليتم الكتاب: «الذى يأكل معى الخبز، رفع عليَّ عَقَبه». ١٩- أقول لكم الآن قبل أن يكون حتى متى كان تؤمنون إنى أنا هو».

كأنه يقول: «إننى أعطيتكم الطوبى أيها التلاميذ، ولكن يُستّثنى منكم واحد، فإنه لخيانته وحُب للمال، سيؤدى ذلك إلى هلاكه. ولذا قد علِمَ النبى داود بروح النبَّوة فأنبأ عنه وقال «آكل خُبزى رفع عليَّ عَقَبه» (مز٤١:٩) أى أن الذى غمرّته بإحساناتى وتوقعت منه الخير، كان أكثر الناس سعي الى الإضرار بى.

وقد سبقّتُ وأنباتكم عن خيانة هذا التلميذ «**حتى متى كان**» وأسلمنِّى لرؤساء اليهود «تؤمنون إيماناً لا شك فيه «**إنى أنا هو**» المسيح المنتظر، لأن تسليم يهوذا إياى ليس لعدم معرفتى به أو عدم قدرتى على منعه. ولمعرفتى بالمستقبل أيضاً.

٢٠- «الحق الحق أقول لكم الذى يقبل منْ أرُسله يقبّلنى، والذى يقبلّنى يقبل الذى أرسلنى».

فكأن المسيح يقول إن الذى يقبلكم ويُكرَّمكم يقبلّنى ويُكرَّمنى، والذى يُهينكم ويضطهدكم يُهيننى ويضطهدنى. كما أن الذى يقَّبلنى يقبل الآب الذى أرسلنى الخ.

لأنكم - أيها الرسل - كنواب عنى، فأنا أحسب كل تعدٍ عليكم تعدياً عليَّ. وفى ذلك القول عزاء جميل للرسل وخلفائِهم من الآباء، فى زمان الاضطهاد. وفيه أيضاً تلميح لفظاعة ما أرتكبه يهوذا بتسليمه سيده. فإنه تعدى بذلك على الله الآب ذاته.

٢١- لما قال يسوع هذا اضطرب بالروح، وشهد وقال:«الحق الحق أقول لكم إن واحداً منكم سيُسّلمنى». ٢٢- فكان التلاميذ ينظرون بعضهم الى بعض وهم محتارون فى منْ قال عنه؟. ٢٣- وكان متكئاً فى حُضن يسوع واحد من تلاميذه، وكان يسوع يحبه. ٢٤- فاتكأ ذاك على صدر يسوع وقال له: «يا سيد منْ هو؟». ٢٦- أجاب يسوع «هو ذاك الذى أغمس أنا اللقمة وأعطيه». فغمس اللُقمة وأعطاها ليهوذا سمعان الاسخريوطى. ٢٧- فبعد اللُقمَّة دَخَله الشيطان. فقال له يسوع «ما أنتَ تعمله فاعمله بأكثر سرعة». ٢٨- واما هذا فلم يفهم أحد من المتكئين لماذا كلَّمه به؟ ٢٩- لأن قوماً إذ كان الصندوق مع يهوذا ظنوا أن يسوع قال له «اشترِ ما نحتاج إليه للعيد. أو أن يعطى شيئاً للفقراء». ٣٠- فذاك لما أخذ اللقمة خرج للوقت وكان ليلاً.

هذا الفصل عن الإنباءُ بخيانة يهوذا وتسليمه سيده. وذكر النبَّوة بخيانته، وحيرة التلاميذ وتوقعهم أن الجانى لابُد أن تظهر علامات الخزى على وجهه. وإعطاء المسيح العلامة لمعرفته ...الخ، ذَكَره البشيرون الآخرون (مت٢٦:٢١-٢٥ ومر١٤:١٨-٢١ ولو٢٢:٢١-٢٣).

ولم يذكر يوحنا ما ذكره متى من أن يهوذا سأل المسيح «هل أنا هو؟» وأن المسيح أجابه «**أنتَ قلتَ**»، ولكنه ذكر ما لم يذكره غيره من الإنجيليين الثلاثة، وهـــو:

(١) أنه كان يتكىء فى حضن يسوع واحد من تلاميذه، كان يسوع يحبه. ولاشك أن هذا المحبوب هو يوحنا الإنجيلى ولم يذكر اسمه تواضعاً.

(٢) أن سمعان أَوَمأ إلى التلميذ المحبوب، أن يسأل يسوع، وأن يسوع أجاب على السؤال بعلامة، بدلاً من التصريح علناً بإسم الخائن.

(٣) أن المسيح أذِنَ ليهوذا بالذهاب بقوله «ما أنت تعمله فاعمله بأكثر سرعة». أى لا تكن مُرائياً، بل بادر بتنفيذ قصدك متى شئت، بإرادتك واختيارك، فإنى مستعد ولا شىء يضُرنى أو يُكرّهنى أو يُحزننى لأننى أُسلِّم نفسى باختيارى.

(٤) أن التلاميذ لم يفهموا ماقصد يسوع بذلك القول مع يهوذا، لأنهم ظنوا أنه كلفه بشرا لوازم العيد. أو أن يُعطى صدقة للفقراء، لأنه كان أمين الصندوق.

(٥) أن يهوذا خرج للوقت وكان ليلاً، فكانت الظلمة فى قلب يهوذا. ومن الأفضل أن يفعل خيانته فى ظلمة الليل.

ويستدل بعض المُفسرّين من قوله «**فذاك لما أخذ اللقمة**» أن يهوذا لم يحضر العشاء السرى لأن تلك اللقمة يُشير بها الى خبز المائدة العادى، لا إلى السر العظيم (**وهو رأى الكنيسة القبطية**) وخروجه ليلاً يدل أيضاً على جسارته، إذ لم يُعقه الليل عن فعل شره (مثل المجرمين واللصوص).

٣١- لما خرج، قال يسوع «الآن تمجّد ابن الانسان، وتمجدَّ الله فيه.
٣٢- إن كان الله قد تمجّد فيه، فإن الله سيمُجّده فى ذاته، ويُمجّده سريعاً».

«**فلما خرج**» يهوذا الخائن «قال يسوع **الآن قد تمجَّد ابن الانسان**» بالصلْب وبالموت. وقد قال المسيح ذلك لتلاميذه، ليدفع عنهم اليأس الذى ينشأ عن خيانة يهوذا، ومن موته هو.

وبما أن الآب والإبن واحد فى الجوهر، فمتى تمجّد الابن «**تمجد الله فيه**». فإنه عندما يتمجّد الابن (ويُستدل على ذلك المجد بكسوف الشمس وتشُقق الصخور، وتفتيح القبور وقيامة بعض الموتى وزلزلة الأرض) يظهر حينئذ مجد الله الآب، أى يعلن للبشر عدله وقداسته وبُغضه للخطية ورحمته للخاطئ (المريض بالروح).

ومن حيث «أن الله» الآب «**قد تمجَّد**» فى المسيح «**فإن الله سيُمجده فى ذاته**» بإظهار اللاهوت المتحد به. «**ويمجِده سريعاً**» لأنه قام فى اليوم الثالث، وصعد الى السماء وجلس عن يمين الآب فى العظمة، وسكب (مواهب) الروح القدس على التلاميذ، ووهبهم المعجزات، لنجاح (بشارة) الانجيل. وكل ذلك تم فى أيامٍ وجيزة. (انتشرت المسيحية فى القارات الثلاثة فى نحو ٣٠ سنة فقط).

٣٣- «ياأولادى أنا معكم زماناً قليلاً بعد وستطلبوننى، وكما قلت لليهود حيث أذهب أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا، أقول لكم أنتم الآن».

بقول المسيح لتلاميذه «**يا أولادى**» أظهرّ لهم مقدار حُنُوّه وعنايته بهم، كما يعتنى الوالد بأولادِه «**أنا معكم زماناً قليلاً**» وبعده أتألم وأموت على الصليب، فأودعّكم وأعزّيكم «**ستطلبوننى وكما قلتُ لليهود**» (فى ص ٧:٣٣و ٣٤ وص٨:٢١) وحيث أذهب لا تقدرون أنتم أن تأتوا». ولأنهم لم يؤمنوا بى. فعدم إيمانهم مانع من إتباعى «أقول لكم أنتم الآن». أى حيث أذهب أنا لا تقدرون أنتم يا تلاميذى أن تأتوا، لأننى سأمضى، بعد قيامتى، من الموت الى السماء. وأنتم لاتستطيعون أن تتبعونى فى الحال، لأنه يجب عليكم أن تخدمونى على الأرض. فلابُد أنه يمضى وقت، حتى تنالوا الشهادة، فتلحقونى بها إلى السماء.

٣٤- «وصية جديدة أنا أعطيكم أن تُحبُّوا بعضكم بعضاً. كما أحببتكم أنا تُحبوّن أنتم أيضاً بعضكم بعضاً».

ليس المقصود من قوله المسيح «**وصية جديدة**» أن هذه الوصية لم يرد ذكرها فى العهد القديم (اذ قد وردت فى لا ١٩:١٨) بل سمَّاها جديدة:

(١) لأن المؤمن يخلع بها الانسان العتيق، ويلبس الإنسان الجديد.

(٢) لأنها كانت قد اندثرت من قلوب الناس (اليهود فى زمانه).

(٣) لأنها صارت علامة للمؤمنين بالمسيح، بها يُعرفَون أنهم مسيحيون.

(٤) لان أنموذجها ومثالها جديد، وهو محبة المسيح للمؤمنين به، فإن المحبة كانت عند اليهود مقيدة بحب اليهودى لليهودى.

أما المسيح فأُوجّبها على المؤمنين، لكل مؤمن من كل أمة، وفى كل عصر ومكان. وكذلك محبة الإعداء وكل من يُسىء إلينا. وقوله «**كما أحببتكم أنا تحبون أنتم أيضاً بعضكم بعضاً**» لا يُقصد به إنه من الممكن ان تكون محبة المؤمنين بعضهم لبعض بمقدار محبة المسيح لنا، بل من نوعها، أى يجب أن نحب بعضاً على مثال محبة المسيح لنا، **أى محبة قائمة على التضحية من أجل الآخرين.**

٣٥- «بهذا يعرف الجميع أنكم تلاميذى، إن كان لكم حُب بعضاً لبعض».

جعل المسيح محبة تلاميذه بعضهم لبعض، الامتياز الخاص الذى يمُيزّهم عن بقية الناس، فإذا رأوهم يحبون بعضهم بعضاً يعرفون أنهم مشابهون للمسيح، الذى أحبّهم الى المُنتهى فيحكمون أنهم تلاميذه. فيكون ذلك داعياً الى أن الكثيرين يؤمنون به ويؤمنون بدينه، ويتخذو معلماً وفادياً.

فالمحبة المضحية هى العلامة التى يتميّز بها أولاد الله، عن أولاد العالم.

قال يوحنا فم الذهب «لماذا لم يجعل المسيح صنع المعجزات والعجائب علامة لتلاميذه» ويجيب قائلاً «لأن كثيرين سيقولون له فى يوم الدينونة يارب أليس بإسمك تنّبأنا، وبإسمك صنّع قوات. فيُجيبهم له المجد: اذهبوا عنى إنى لا أعرفكم».

٣٦- قال له سمعان بطرس «ياسيد الى أين تذهب؟» أجابه يسوع «حيث أذهب لا تقدر الآن أن تتبعنى. ولكنك ستتبعنى أخيراً».

إن سؤال بطرس يدل على أن التلاميذ لم يفهموا قصد المسيح من قوله «حيث أذهب لا تقدرو أنتم ان تأتوا». فلم يُدركوا أنه ذاهب الى الصليب والموت.

وقال يوحنا فم الذهب إن سؤال بطرس ليس المقصود منه معرفة المكان فقط، بل لكى يتبع الى أين يذهب، لفرط محبته له. وجواب المسيح يُستَفاد منه أنه وإن كان بطرس لا يستطيع أ يتبع المسيح فى الحال، إلا أنه سيتبعه فى المستقبل. فقد تَبَعه بعد ذلك بنوالِه إكليل الشهادة وذهابه الى السماء والمجد، مع بقية التلاميذ، بعد جهادهم فى خدمتهم ونيل أكاليلهم.

٣٧- قال بطرس «يا سيد لماذا لا أقدر أن أتبعك الآن؟ إنى أضع نفسى عنك».

انظر الى حرارة بطرس وشدة محبته، فإنها حملته أن يَدّعى انه. شُجاع ولا يهاب الموت، وأن مستعد أن يضع نفسه بدلاً من سيده. ولم يعرف أنه ضعيف بنفسه وقوى بالمسيح. وأنه باتكال على نفسه، لا يحتمل وحده التجربة الصعبة، كما أثبتته كل الأحداث التالية.

فهل تأخذ الدرس من نتيجة تصرُّف القديس بطرس؟!.

٣٨- أجابه يسوع: «أتضع نفسك عنى؟ الحق الحق أقول لك لا يصيح الديك حتى تُنّكرنى ثلاث مرات».

راجع مت ٢٦:٣٤ ومر١٤:٢٩ ولو ٢٢:٢٣. وقد سمح المسيح أن يسقط بطرس بإنكاره إياه، ليعلّمه **أن لا يتكل على قوّته، بل على نعمة المسيح.**

فكأنه قال له «إنك يا بطرس، بدلاً من أن تضع نفسك عنى، كما تدّعِى، سوف تُنكر معرفتى ثلاث مرات، بعد زمانٍ وجيز من وعدك، وذلك قبل طلوع شمس الغد.فإياك أن تثق بقوَّتك». وهو درس هام لكل نفس، ولاسيما للخُدَّام.

❖ ❖ ❖

الإصحاح الرابع عشر

١- «لا تضطرب قلوبكم. أنتم تؤمنون بالله، فآمنوا بى».

كأنه يقول «بما إنكم - أيها التلاميذ ـ تؤمنون بأن الله الآب حاضر معكم على الدوام، وأنه قادر أن يعتنى بكم، ويمنع عنكم المخاوف والمخاطر، ويهبكم كل ما تحتاجون إليه. وبما أننى مساوٍ للآب فى الجوهر والقُدّرَة، فآمنوا بى وبقدرتى على حمايتكم. وثقوا بأن أكون حاضراً دائماً بينكم وإن لم ترونى بعيونكم الجسدية، فلا تضطرب قلوبكم ولا تجزع نفوسكم».

٢- «فى بيت أبى منازل كثيرة، وإلا فإنى كُنتُ قد قلتُ لكم: أنا أمضى لأعدّ لكم مكاناً».

كأنه يقول «إن ايمانكم أيها التلاميذ بالله الآب وبى، يؤكد أن السماء واسعة ومنازلها (درجاتها) كثيرة. ولولا أن هذه المنازل (أى دار النعيم الدائم) معدة لمن فعل الفضيلة بحريته واختياره لكنت أقول إنى أمضى لاعدَّ لكم مكاناً، ولكن حيث أنها كثيرة. فلا حاجة الى هذا القول الآن».

ونستفيد من قوله «**فى بيت أبى منازل كثيرة**» التفاوت فى درجات السعادة بالدار الأبدية، فكل من الطوباويين يحوز السعادة. لكنهم يكونون فى درجات بينها تفاوت على قدر تفاوت الإستحقاق، حسب درجة الجهاد والخير والفضيلة.

٣- «وإن مضيّت وأعددتُ لكم مكاناً آتى أيضاً وآخذكم الىّ، حتى حيث أكون أنا تكونون أنتم أيضاً. ٤- وتعلمون حيث أنا أذهب، وتعلمون الطريق».

كأنه يقول «ها قد تحققتم أن المنازل فى السماء كثيرة. وهى مُعدَّة لكم ولكافة المؤمنين بى والعاملين بوصاياى والحافظين شريعتى فى قلوبهم، ولكن قبل موتى لا يمكن لأحد أن يدخلها، لأن باب السماء كان مُغلقاً، قبل دخولى فيه وجلوسى عن يمين الآب فى العظمة».

«فإذا صعدّتُ الى السماء بعد الصلْب، أعددتُ لكم موضعاً. أى نهجتُ لكم طريقاً وأنرتُ قلوبكم بالروح القُدس لتفعلوا التقوَّى (الصلاح)، وتستحقوا تلك المنازل وحينئذٍ آتى فى الدفعة الثانية وآخذكم اليَّ، وأشارككُم فرح النعيم الأبدى».

وفى هذا القول بولس الرسول: «فإذ لنا أيها الأخوة ثقة بالدخول الى الأقداس بدم يسوع، طريقاً كرَّسه لنا حديثاً حياً بالحجاب أى جسدُه. لنتقدم بقلب صادق، فى يقين الإيمان، مرّشوشة قلوبنا من ضمير شرير، ومغتسلة أجسادنا بماء نقي» (عب ١٠:١٩-٢٢).

«إنكم الآن لا تفهمون حق الفهم، الذى قُلته لكم مِراراً «**إنى أنا الطريق**» أى أنه لا يدخل أحد السماء إلا بى، لكن إذا مضيت، يسهل عليكم فهم ذلك الكلام. إذ تزول من أفكاركم الآمال المتعلقة بالمُلْك الأرضى، لإن الروح القدس سيُنير أذهانكم، ويُذكرَّكم بكل شيء».

٥- قال له توما «ياسيد لسنا نعلم أين تذهب؟ فكيف نقدر أن نعرف الطريق؟» ٦- قال له يسوع «أنا هو الطريق والحق والحياة. ليس أحد يأتى إلى الآب إلا بى».

كأن توما يقول: «يا سيد أين ذلك الوطن الواسع الذى فيه المنازل كثيرة، الذى قُلت إنك ستقودنا الى طريقه. فكيف نعرف الطريق الذى نصل منه الى ذلك الوطن؟»

فأجابه السميح قائلاً «**أنا هو الطريق**» الحقيقى الذى به (بتعاليمه) تجوزون من الموت والخطية، الى الحياة والقداسة والسلام والسعادة الأبدية. وقد فتحت لكم طريق السماء، باستحقاقى وآلامى، وألهمتكم الإيمان، ومنحتكم النعمة، لتقدروا أن تسيروا فى ذلك الطريق».

وأما «**الحق**» فقد أعلنته بأعمالى وتعليمى. وعرفتكم كل ما تحتاجون إليه من الحقائق تمام العلم. وأنا المرموز الى هذا الطريق بكافة ذبائح العهد القديم، التى هى ظل الحقيقة (الحق). وأنا الحق، لأنى النور الحقيقى الذى يُهدى الناس الى السماء.

وأنا «**الحياة**» فإنى مصدر كل حياة روحية. وقد أشتريتكم بدمى، ووهبت لكم الحياة، بعد أن كنتم أمواتاً بالخطية. ولا أزال أهِب تلك الحياة، الى أبد الآبدين» فباب التوبة مفتوح إلى نهاية حياة كل الناس فى الدنيا، أو عُمر كل منهم، على حدة.

«وإنى فوق ذلك، سأهب الحياة للجسد يوم القيامة. وما دُمت إنى أنا الطريق والحق والحيا
فلا يستطيع أحد أن يأتى الى الآب، أى يدخل السماء حيث السعادة الدائمة، إلاّ بى فقط (باتبا
طريق المسيح وأسراره المقدسة)...».

٧- «لـو كنتم قد عرفتُمونى لعرفتم أبـى أيضاً. ومـن الآن تعرفونه. وقـد رأيتمـــوه» ٨- قال له فيلبس «ياسيد أرنا الآب وكفانا». ٩- قال له يسوع «أنا معكم زماناً هذه مدته ولم تعرفنى يافيلبس؟ الذى رآنى فقد رأى الآب، فكيف تقول أنت «أرنا الآب؟». ١٠- ألستَ تؤمن إنى أنا فى الآب، والآب فيّ؟ الكلام الذى أكلمكم به لستُ أتكلم به من نفسى، لكن الآب الحالُ فيَّ هو يعمل الأعمال».

كأنه يقول إنكم أيها التلاميذ لو عرفتمونى حق المعرفة، وعرفتم إن لى والآب ذاتاً واحدة ولاهوت واحداً لعرفتم الآب أيضاً. ولكنكم «**من الآن تعرفونه**» عندما يحل الروح القدس عليكم، بعد قيامتى وصعودى. «**وقد رأيتموه**» لأن من يرانى يرى الآب، لأننى بهاء مجده ورسم جوهره (عب١:٣).

فلما سمع التلاميذ ذلك قال له أحدهم وهو فيلبس «يا سيد أرنا الآب» بصورة حسية وبهيئة تُرى بالعين الجسدية «وكفانا» فإننا إذا رأيناه لا تعود نشتهى شيئاً آخر. وهذهِ الرؤية تكفينا للسعادة وإزالة كل حزن وقلق وكل الشكوك.

ويظهر من قول فيلبس هذا أنه لم يفهم كلام المسيح. فلذا أجابه قائلاً «**أنا معكم زماناً هذه مدته**» وفى هذه المدة الكبيرة (أكثر من ٣ سنوات) لم أفتُر عن تعليمكم «**ولم تعرفنى يا فيلبس من رآنى فقد رأى الآب فكيف تقول أنتَ أرنا الآب**»؟!.

«إننى لستُ مجرد إنسان بل أنا ابن الله، ولى وله ذات واحدة إلهية، حتى من رآنى بناسوتى، فقد رأى الآب، لأنى وإياه واحداً، ولا يمكن لأحد أن يرى جوهر الآب، لأنه ليس من المَرئيات، لكننى أنا إبنه قد أظهرّت صفاته وإرادته ورحمته وطول أناته وقداسته وقُدرته. فلو تأملتَ فى ذلك – يافيلبس– لكنتَ تأكدت إننى والآب واحد»[١].

(١) وهو الرأى الأرثوذكسى للبابوات أثناسيوس، وكيرلس وديسقورس، بخصوص طبيعة المسيح.

«**ألستَ تؤمن إنى أنا فى الآب والآب فيَّ**»؟ نعم كان يجب عليك - يا فيلبس- أن تؤمن أن الاتحاد ما بينى وما بين الآب كامل. وأن الفصل بيننا مُحال. وأننا متساويان فى الجوهر الواحد. فلا يمكنك أن ترى الآب فيَّ، إلا بعين الإيمان، فإن «**الكلام الذى أكلمكم به، لستُ أتكلم به من نفسى**».

«فكلامى ليس بشرياً بل لاهوتياً، والذى يسمعنى أتكلم، لا يسمعنى فقط بل يسمع الآب متكلماً بى. لأن «**الآب الحال فيّ**» أى المُتحد بى «**هو يعمل الاعمال**». فالذى «رأى أعمالى رأى أعمال الآب. لأن اللاهوت واحد والقدرة واحدة».

١١- «صدقونى إنى فى الآب والآب فيَّ. وإلا فصدقونى لسبب الأعمال نفسها. ١٢- الحق الحق أقول لكم منْ يؤمن بى، فالأعمال التى أنا أعملها يعملها هو أيضاً ويعمل أعظم منها، لأنى ماضٍ الى أبى».

بعدما عاتب المسيح فيلبس، وجَّه خطابه إلى الرسل بأجمعهم، قائلاً مامعناه: «يجب أن تؤمنوا جميعكم أن الاتحاد بينى وبين الآب كامل، وإن لم تؤمنوا بمجرد كلامى، فآمنوا بشهادة ما صنعتُه من المعجزات، لأنه لا يمكن لأحد أن يفعل مثلها مالم يكن الله معه.

وأعلموا أن منْ يؤمن إننى فى الآب، والآب فيّ، **يعمل بهذا الايمان عجائب ومعجزات إلهية كهذه، وأعظم منها.**

قال يوحنا فم الذهب إنه تم ذلك بالفعل، فإن بطرس الرسول شفى المرضى بظلّه، وهذا الأمر لم يصنعه المسيح.

ويسأل المفسرون: «لماذا أراد المسيح أن رسله يصنعون معجزات أعظم من تلك التى صنعها هو؟ **ويجيبون أن ذلك لأسباب منها:**

(١) لأنه أراد ان ينتشر الايمان بواسطتهم شيئاً فشيئاً. لئلا إذا انتشر بغتة يتخَّيل البعض أن المسيح ساحر أو مُضِّل.

(٢) ليُظهر عظمته إذ لم يعمل العجِائب بنفسه فقط، بل أمكنه أن يُعطِى سلطاناً إلى رسلِه ليصنعوا أعظم منها.

(٣) ليكون لمعجزاتهم تأثير شديد. فإن من شاهدوا معجزاتهم أكثر من الذين شاهدوا معجزاته. والذين شاهدوا معجزاتهم أقتنعوا وآمنوا بواسطتها، أكثر من الذين شاهدوا معجزاته.

(٤) وأن المسيح قصد معجزاتهم الروحية أكثر من قصده المعجزات المادية، وهى تفتيح القلوب العمياء، وإخضاع إرادة الناس المعاندين لله، وإحياء نفوسهم.

مثال ذلك الثلاثة الآلاف الذين آمنوا يوم الخمسين، وربوات الآلاف بعدهم. وما فعله الرسل لم يفعلوه من قِبَل أنفسهم، إنما فعلوه بقوة المسيح العامل فيهم.

وقوله «**أنا ماض الى أبى**» معناه «سأنتصر بعد موتى على الخطية والموت والشيطان والعالم، وأصعد الى أبى، فأعمل بكم أعمالاً أعظم مما عملتُ فى حياتى على الأرض، وسأرسل لكم الروح القدس ليجعل تبشيركم مؤثراً فى قلوب الناس».

١٣- «ومهما سألتم بإسمى. فذلك أفعله، ليتمجَّد الآب بالإبن.
١٤- إن سألتم شيئاً باسمى فإنى أفعله».

قال يوحنا فم الذهب: يظهر من قوله «**مهما سألتم بإسمى فذلك أفعله**» أنا المسيح. ومن قوله «**إن سألتم شيئاً باسمى فإنى أفعله**» يُفهم انه يصنع المعجزات التى يسأله إياها تلاميذه بسلطانه وقدرته من حيث أنه إله. فإنه لم يقل يصنعه الآب بل قال أصُنعه أنا.

وكأنه قال ذلك مُحذراً من تأويلات الأريوسيين. ومما يدل على أن الآب والابن واحد فى الجوهر والقدرة، قول المسيح فى (ص١٥:١٦) الآتى وهو «**لكى يعطيكم الآب كل ما طلبتم بإسمى**».

ففى هذا القول ترى أن المجيب هو الآب، وفى القول الأول ترى أن المُجيب هو المسيح. وقوله «**ليتمّجد الآب بالابن**» يفيد أن مجد المسيح فى كل انتصارات مملكته هو مجد الآب أيضاً.

١٥- «إن كُنتم تحبوننى، فاحفظوا وصاياى. ١٦- وأنا أطلب من الآب فيعطيكم مُعزياً آخر، ليمكث معكم إلى الأبد. ١٧- روح الحق الذى لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا يراه، ولا يعرفه. وأما انتم فتعرفونه، لأنه ماكِث معكم، ويكون فيكم. ١٨- لا أترككم يتامى. إنى آتى إليكم».

كأن المسيح يقول «إن آمنتم بى وثبُتم فى محبتى، بحفظكم وصاياى «**أطلب من الآب**» بعد يامتى وصعودى «**فيعطيكم**» الآب بناءً على طلبى «**معزياً آخر**». هو الروح القدس - الأقنوم ثالث فى اللاهوت- لينوب عنى بعد صعودى الى السماء، فى إرشادكم، وإعانتكم فى الضيقات، إلهامكم كل ما تتكلمون به. فيمنحكم من القوات والتأثير مالم يمنحه لأحد من قبلكم».

وهذا الروح القدس «**يمكث معكم الى الأبد**». فيبقى معكم أيها التلاميذ الى مُنتهَى حياة كل نكم. ويبقى مع خلفائكم ومع الكنيسة الى الأبد (لنهاية الدنيا). كمعزٍ فى المصائب ومُشجِع على عل الفضائل.

وهذا الروح الذى هو روح الحق «**لا يستطيع العالم** (الناس الدنيويون) **أن يقبله**». لأنهم متكبرون طماعون، ولأنهم طبيعيون، فلا يقبلون مالروح الله، بل يعتبرونه جهالة «**لأنه لا يراه ولا يعرفه**».

لان الدنيوى لا يرى إلا المحسوسات، ولا يُسّر ولا يفرّح إلا بالجسديات، لأن عيونه أرضية، عمياء من شهوات الجسد. «**وأما أنتم**» ياتلاميذى «**فتعرفونه**» **لأن تعليمى أزال عماكم، عرفتكم قوته وفاعليته**.

«**لأنه ماكث معكم**» ويملأ قلوبكم نوراً، وسروراً وبهجة ومعرفة. «**ويكون فيكم**» حتى جعلكم بمؤثرات نعمته تعرفونه وتحبونه. وهو يبقى معكم دائماً أبداً.

ولذا «**لا أترككم يتامى**» لا أبٍ يعتنى بكم، بل أُرسل لكم الروح القدس، وأكون معكم على دوام، واعطيكم مواهبى السماوية.

وقال القديس أغسطينوس «قد أنجز المسيح وعده، إذ ظهر لرسله أولاً بعد قيامته، وثانياً فى يد البنديكستى (الخمسين) إذ أرسل اليهم الروح القدس» (المُعزّى + المحامى + الشفيع).

١٩- بعد قليل لا يرانى العالم أيضاً وأما أنتم فتروننى. إنى أنا حى، فأنتم ستحيون. ٢٠- فى ذلك اليوم تعلمون إنى فى أبى وأنتم فيَّ وأنا فيكم».

كأنه يقول إن بعد زمان وجيز أموت، ولا يعود العالم يرانى، وأما أنتم فتروننى، لأننى أقوم فى يوم الثالث. وأبقىَّ معكم على الارض أربعين يوماً. فلذلك تتأكدوا «**إنى أنا حى**» أننى منذ الازل الى الأبد. أنا الله الحى. والموت الذى اعترَى جسدى وقتياً لم يؤثر فى لاهوتى، وقمتُ حالاً.

من ذلك ولذلك «**فأنتم ستحيون**» بالروح هنا. وسأُقيمكم يوم الدين بحياتى وقيامتى، للحياة الطوباوية المجيدة، لتحيُّوا معى بتمام السعادة الأبدية.

و«**وفى ذلك اليوم**» حيث أظهّر لكم - بعد قيامتى ـ مراراً مدة أربعين يوماً. وفى يوم الخمسين حين أرسل لكم الروح القدس.

وفى يوم الدين، حين مجيئى الثانى، «**تعلمون**» يقيناً وبالاختبار: «**إنى أنا**» متحد تمام الاتحاد «**فى أبى**» «وأنتم» متحدون «فيَّ». فلا يمكن إنفصالكم عنى. «وأنا» حالّ «فيكم» بروحى، فأهب لكم من نعمتى شجاعة وقوة، فتشهدون لى أمام العالم بأسره. وأصنع بكم المعجزات. وأجعل كلامكم مؤثراً فى قلوب الناس».

٢١- «الذى عنده وصاياى ويحفظها فهو الذى يُحّبنى. والذى يُحبنى يُحبّه أبى وأنا أُحبّه وأُظهِر له ذاتى».

كأنه قال: «إن كل مؤمن يسمع وصاياى ويعترف بها. ويسلك بمقتضاها، فهو يُبرهّن بذلك على أنه يحبنى، لأن الطاعة لأوامرى دليل ساطع على محبته لى».

و«**يحبه ابى**» لأن وصاياى هى وصاياه. فمن يحفظها يُحبه الآب ويهبه بركات لا توصف. «**وأنا أحبه وأظهِر له ذاتى**» فأعتنى به. وأُظهر له ذاتى، فيرَانى بعين الإيمان، فى هذا العالم. وأمنحه السعادة الدائمة معى فى ملكوت السماء».

٢٢- قال له يهوذا ليس الإسخريوطى «ياسيد ماذا حدث حتى أنك مُزمع أن تُظهِّر ذاتك لنا وليس للعالم؟!».

يهوذا المذكور هنا هو المُسمى أيضاً لباوس وتداوس وهو أخو يعقوب بن حلفا (وهو ابن خالة رب المجد بالجسد) وهو كاتب الرسالة المنسوبة اليه. وقد ميَّزه يوحنا الإنجيلى بقوله «ليس الاسخريوطي»، الذى خَرَج يُنَّفذ خيانته (ص١٣:٣٠).

ومعنى كلام أخى يعقوب: لماذا يُظهر المسيح ذاته لخاصته، لا للعالم بأسّرهِ؟ وهو قول يظهر منه أن يهوذا الرسول احتار فى كيف يمكن للمسيح أن يكون ظاهراً للبعض، وغير ظاهرٍ للآخرين؟!.

٢٣- أجاب يسوع وقال له «إن أحبنى أحد يحفظ كلامى، ويحبه أبى، وإليه نأتى وعنده نصنع منزلاً. ٢٤- الذى لا يُحبنى لا يحفظ كلامى، والكلام الذى تسمعونه ليس لى بل للآب الذى أرّسلنى. ٢٥- بهذا كلمتكم وأنا عندكم».

كأن المسيح يقول: «لا تظن – أيها الرسول ـ إننى أظهر لك ولإخوتك التلاميذ فقط. بل إن كل من يحبنى ويُبرّهِن على محبته لى، بحفظِه كلامى، وبإتيانه بأثمار السيرة الطاهرة النافعة للعالم، والممجدة لله، أظهَر له الظهورالغير المنظور، وأحبه أنا والآب.

واليه نأتى «**وعنده نصنع منزلاً**» فنسكن فى قلبه، وننير عقله، ونحمل إرادته على عمل الخير. ومنْ سكنتُ أنا والآب فى قلبه، لابُد أنه ينال بركات النعمة والتعزية وراحة الضمير. ومعرفة الامور الروحية والإرشاد والحماية.

وهذا الحب والسُكنى ليس لكم أيها التلاميذ فقط، بل لكل المؤمنين الذين يحبوننى ويحفظون وصاياى، من أبسط الناس وأدناهم الى أعلمهم وأسماهم مقاماً.

وأما «**الذى لا يُحبنى، فلا يحفظ كلامى**». فإن الذى يرفضنى يرفض بالطبع كلامى، ومتى رفضنى ورفض كلامى ينغلق قلبه، فلا أُظْهِر له ذاتي.

«**والكلام الذى تسمعونه ليس لى بل للآب الذى أرسلنى**» لان كلامى هو كلام الآب. فالذى يرفض كلامى يُهين الآب، لأنه كلامه أيضاً.

والذى يقبّل كلامى يُكرم الآب (وقد ورد مثل هذا القول فى ص٧:١٦ و٨:٢٨ و١٢:٤٩ فراجع الشرح هناك).

وقوله «**بهذا كلمتكم وأنا عندكم**» يفيد استعداده للذهاب، وتسليمه إياهم الى معلم آخر، وهو الروح القدس، كما سنرى فى العدد الآتى:

٢٦- «وأما المُعزّى الروح القدس الذى سيُرسله الآب بإسمى فهو يُعلّمكم كل شىء، ويُذكرّكم بكل ما قُلتّه لكم».

كأنه يقول «إن كل ما سمعتموه الى الآن من فمى، لا تدركون كثيراً منه. لسمُّوه وبساطتكم، ولذا سيرسل لكم الآب باسمى، نائباً عنى «**فهو يعلمكم كل شىء**» من أمور الخلاص.

«**ويُذكرّكم بكل ما قُلّته لكم**». فقد سمعتم منى أشياءً كثيرة، ولكن أراءكم اليهودية منعتّكم من إدراك معناها الروحى، ولا تستطيعون أن تفهموها إلا بعد استنارتكم بالروح القدس.

فإذا حلّت عليكم نعمته، يجعلكم تدركون أسرار مجيئى وتجسَّدِى وتأسيس كنيستى، وتدبيرها. وهو أيضاً سيُعزّيكم فى المصائب والاضطهادات.

ووصف الرب يسوع الروح «**بالقداسة**» لأن وظيفته تقدّيس قلوب الناس، ووصَفه فى (ع١٧) «**بالحق**» لأن الوسائل التى يُقدس بها، كلها حق، ولأنه يُعلِّم بالحق، وهو أيضاً حق.

٢٧- «سلاماً أترك لكم. سلامى أعطيكم. ليس كما يُعطى العالم أعطيكم أنا. لا تضطرب قلوبكم ولا ترّهب. ٢٨- سمعتم إنى قُلت لكم أنا أذهب، ثم آتى إليكم. لو كنتم تحبوننى لكنتم تفرحون، لأنى قلت أمضى الى الآب، لأن أبى أعظم منى. ٢٩- وقلت لكم الآن قبل أن يكون، حتى متى كان تؤمنون».

كأنه يقول «إننى أترك لكم أيها التلاميذ، لا المناصب ولا الغِنىَ ولا مراتب الشرف العالمى، كما يترك أهل العالم. بل أترك لكم سلامى، أى بركاتى والخير الحقيقى الثابت، لان سلامى ليس مثل سلام العالم. فسلام العالم زائل ومشوب دائماً بالخوف واليأس، وأما سلامى فهو يُريح ضمائركم، ويؤكد لكم حمايتى وقت الاضطهاد(١).

وهودائم فلا يُضعفه المرض، ولا يسلبه الفقر، بينما سلام العالم مصدره اللذة والصيت والغِنىَ والفلسفة، وكلها أمور زائلة إن لم تُنزع من الانسان فى حياته، فإنها تفنى عند موته.

أما سلام المسيح فمصدره هو، فهو باقٍ مع الانسان فى هذه الحياة، وفى الحياة الاخرى، ويقوم بكل حاجات وتعزيات النفس.

(١) سلام الله دائم + لا يتأثر بالظروف + حقيقى + داخلى + معه فرح روحى قلبى.

فما دُمتم قد نلتم هذا السلام منى «**فلا تضطرب قلوبكم ولا ترهب**» لأن سلامى لا يُفارقكم. وقد قلت لكم سابقاً «**أنا أذهب**» الى الموت «**ثم آتى اليكم**» لأننى سأقوم فى اليوم الثالث.

«**فلو كنتم تحبوننى**» محبة كاملة «**لكنتم تفرحون لأنى قلتُ أمضى إلى أبى**»، لأجلس عن يمين العظمة وأُرسل لكم الروح القدس. لا أن تُظهروا شدة الحزن على فِرَاقى كما فعلتم.

ولأن «**أبى أعظم منى**» لأنى ظهرت متجسداً واحتملت الآلام والموت فأبى اعظم منى، باعتبار اتضاعى وتألمى، وباعتبار كونى فادى الخطاة. إذ اخليت نفسى وأخذت صورة عبد (فى٢:٧).

فأنا والآب متساويان فى الجوهر. والعظمة والقدرة، وسائر الكمالات الالهية. وها أنا قد أخبرتكم مقدماً بموتى وصلبى وقيامتى وصعودى الى الآب، فمتى تَمَّت كلها، يزيد إيمانكم وثوقاً بتيّقنكم معرفتى بالمستقبل (بما يحدُث فى العالم وفى المجد).

٣٠- «لا أتكلم أيضاً معكم كثيراً، لأن رئيس هذا العالم يأتى وليس له فىَّ شىء»

والمعنى أنه لم يبقَ إلا بضع ساعات حتى يأتى «**رئيس هذا العالم**» أى الشيطان مهيجاً رؤساء اليهود والجنود الرومان ليمسكونيّ ويحكموا علىَّ، ويصلبونى. فيجب إذاً أن «**لا أتكلم معكم أيضاً كثيراً**» بل أختم كلامى.

وقوله عن الشيطان «**وليس له فيَّ شىء**» معناه- على رأى يوحنا فم الذهب ـ أنه لا حق له علىَّ، إذ لا يجد بى خطية فيميتنى ظلماً وعدواناً أو يدفع بى الى الجحيم (كباقى الموتى فى العهد القديم). ومعناه فى رأى آخرين «ليس له أن يغلّبنى أو يُهلكنى، كما يأمل، لأنى إن مُت لا أموت بقوته، بلْ بإرادتى واختيارى».

٣١- «ولكن ليفهم العالم إنى أحب الآب، وكما أوصانى الآب هكذا أفعل. قوموا ننطلق من ههنا».

قال يوحنا فم الذهب «من أحَّب المسيح أحّبه الآب. إذ مات المسيح فداءً عن العالم لا مُكرهاً من اليهود خُدَّام الشيطان، بل مات برغبته واختياره. فهو البار، مات عن الأثمة، ليُخلَّصهم من عذاب النار».

وفعل كما أوصاه الآب. فتجسَّد ووضع نفسه تحت (حُكْم) الناموس، واحتمل تجارب إبليس وعار الناس، وبُغضهم له. ومات أخيراً كفارة عن العالم.

وقوله «**قوموا ننطلق من ههنا**» لا يُفيد انهم انتقلوا من البيت بل انتقلوا فقط من الغرفة التى كانت فيها المائدة، ودخلوا غرفة أخرى، إذ لا انقطاع فى الكلام، ولأنه قيل (فى ص١٨:١) «قال يسوع هذا وخرج مع التلاميذ الى عبّر وادى قدرون». وهذا يدل على أنهم ظلوا فى البيت، حتى إنتهى من كل خطابه الوداعى وصلواته الشفاعية (ص١٧).

✥ ✥ ✥

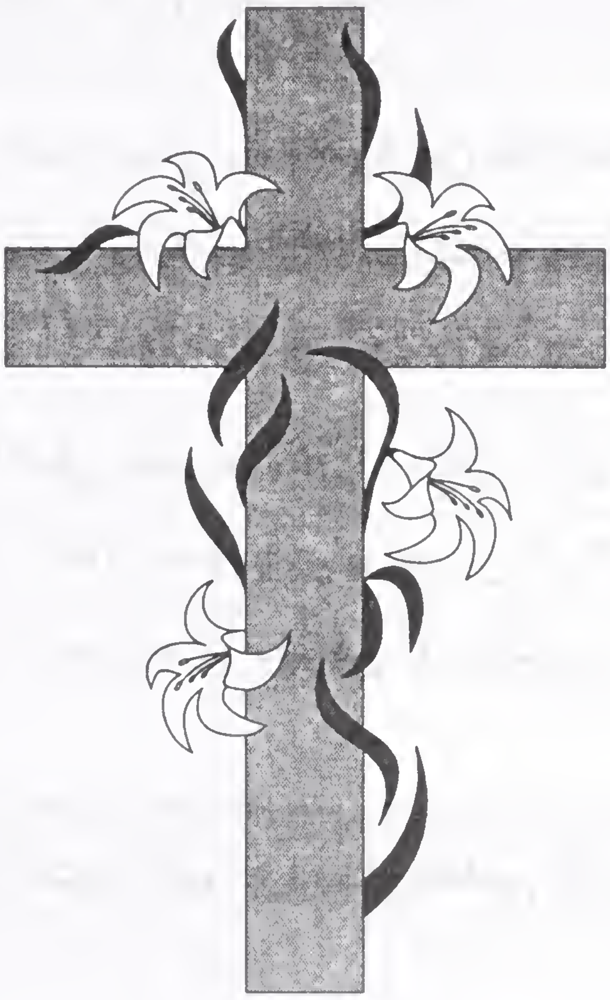

الإصحاح الخامس عشر

١- «أنا الكَّرمة الحقيقية وأبى الكَّرام. ٢- كل غصنٍ فيَّ لا يأتى بثمرٍ ينزَّعه، وكل مايأتى بثمرٍ يُنقّيه، ليأتى بثمرٍ أكثر».

شبَّه المسيح نفسه بالكرَّمة لعدة أسباب كما يلى:

(١) أن أغصان الكرَّمة لا تنفصل عنها بالرياح أو بالأعاصير الشديدة. وهو يريد أن يُعلم تلاميذه أن لا ينفصلوا عنه بعواصف الإضطهاد والشدائد.

(٢) أن الكرَّمة مشهورة بالخصب، والمسيح سخى بمواهبه.

(٣) أن الكرَّمة تفوق باقى الأشجار بمدّ اغصانها. وهذا يُشير الى إمتداد الكنيسة فى كل العالم.

وقال المسيح إنه هو الكرمة الحقيقية، تمييزاً بينه وبين الإسرائيليين الذين سماهم الله كرَّمة قديماً، ثم رفض الله ان يكونوا كرمته، لعدم استحقاقهم. وأما يسوع فهو الكرمة الحقيقية التى يجب على كل العالم الإتحاد بها بالايمان للخلاص.

وقوله «**وابى الكَّرام**» يفيد ان الآب يهتم بنموها وصيانتها وخصبها. أى أن الآب أوضح أن البركات للناس يكون مصدرها الوحيد الابن الازلى المتجسد، وأن تجرِى منه النعمة الى قلوب المؤمنين.

«**وكل غُصن**» أى كل مؤمن بالمسيح «لا يأتى بثمر» أى ثمار الأعمال الصالحة: ويُظهر بأعماله حقيقة إيمانه، «ينزعه» الآب كما ينزع (يُقلِّم) الكرَّام الغُصن الذى لا فائِدة فيه «وكل ما يأتى بثّمر» بثمار الأعمال الصالحة «ينقيّه» من محبة الأباطيل، وأقذار هذا العالم، ومن الضلال، والكبرياء وشدة الغضب.

وينقى الآب شعبَه إما بتأثير كلامه المقدس فى قلوبهم، وارشاد الروح القدس. وإما بالتجارب والأمراض. وكل ذلك «**ليأتى بثمر أكثر**» فتزداد فضائِله وتقّواه وأعماله الصالحة. وقد قال مار اسحق السريانى «**إن التجارب أبواب للمواهب**» (وهى فى الواقع تأديب وتهذيب، وليس للعقاب)».

وقال القديس برصنوفيوس «إن كنا أشراراً بالأحزان نؤدب، وإن كنا أبراراً، بالأحزان نُختبر».

٣- انتم الآن أنقياء لسبب الكلام الذى كلمتكم به. ٤- إثبتوا فىّ وانا فيكم. كما أن الغُصن لا يقدر أن يأتى بثمر من ذاته، إن لم يثبُت فى الكرمة. كذلك أنتم أيضاً إن لم تثبتُوا فىَّ».

قد نقى المسيح تلاميذه بتعاليمه الإلهية فطهّر قلوبهم:

(١) من محبة المراتب العالية التى تخاصموا من أجلها.

(٢) نقى فيلبس من طلبه أن يرى الآب.

(٣) نقى توما من جهل الطريق.

(٤) نقى بطرس من الثقة الزائده بذاته وحده.

(٥) نقاهم جميعاً من اليأس والقنوط، ومن جملة نقائص أخرى أقتلعها من نفوسهم، كما رأيت فى تعاليمه السالفة.

ولما كان ثبوت الغصن فى الكرمة هو الشرط فى حياته. كذلك المؤمن شرط حياته **ثبوته فى المسيح**. كما قال له المجد لتلاميذه «أثبتوا فىَّ» بالإيمان والمحبة والأعمال الصالحة. فإن ثبتم فىّ «أنا» أثبت «فيكم»، فأمنحكم نعمتى، وأوكد لكم تأثيرات الروح القدس لإنارتكم، وتقديسكم وتعزيتكم، لأنه كما أن الغصن الطبيعى فى الشجرة لا يقدر أن يأتى بثمر من نفسه. فهو يحيا وينمو ويثمر ما دام متصلاً بكرمته. وإذا قُطِع ذَبُل ومات. هكذا كل مؤمن ينفصل عنى أنا المسيح فإنه يموت لا محالة.

٥- «أنا الكرَمة وأنتم الأغصان. الذى يثُبت فىَّ وأنا فيه، هذا يأتى بثمر كثير. لأنكم بدونى لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً. ٦- إن كان أحد لا يثُّبت فىَّ، يُطرَح خارجاً كالغصن. فيَّجِف ويجمعونه ويطرحونه فى النار فيحترق»

«**أنا الكرَّمة**» الحقيقية «**وأنتم**» يا تلاميذى «**الأغصان**» فيجب، عليكم أن تبقوا على الدوام متصلين بى، أتصال الأغصان بالكرَّمة «**فإن الذى يثُبت فىَّ**» منكم، فأنا أُثبت فيه. أى أُعينَه وأشمله بنعمتى.

ولذا «**يأتى بثمرٍ كثير**»، لأن مقدار الأثمار الصالحة، مُتَوقف على قدر الإتحاد بى بالإيمان والمحبة «**لأنكم بدونى لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً**» أى بدون نعمتى. فاجتهدوا وجدُّوا ولا تكسلوا فى الأعمال الصالحة، واتكلوا على نعمتى لا على قوتكم الذاتية (مع ضرورة إرتباط الإنسان بوسائط النعمة، ليشتعل الروح القدس، ويفيض بثماره على النفس).

«**إن كان أحد**» منكم، ومن المؤمنين عموماً «**لا يثُبت فىَّ يطُرح خارجاً**». فكما يُقطع الغصن الطبيعى - الغير المفيد ـ من الكرَّمة، ويُلقَّى خارج الكرم حيث يجف ويُربط حزماً ويُطرح فى النار ويُحرق فى الموقد.

هكذا كل من لا يثبُت فىّ بالإيمان والمحبة يُفرَز من الكنيسة. ومن جماعة المؤمنين. وبعد موته تأخذه الملائكة وتطرحه فى جهنم (النار الأبدية).

٧- «إن ثبتم فىَّ وثبُت كلامى فيكم تطلبون ما تُريدون فيكون لكم ٨- بهذا يتمجَّد أبى أن تأتوا بثمرٍ كثير، فتكونون تلاميذى».

«**إن ثبتم فيّ**» بالايمان والمحبة «**وثبت كلامى فيكم**» أى فيكم تعاليمى التى أعلنتها مرَاراً، «**تطلبون مهما تريدون**» مما يكون موافقاً لإرادته وضرورياً لأثماركم فى الأعمال الصالحة. ونموكم فيّ «**يتمجّد أبى**» أى يُؤَّول لمجد الله، لأن ثباتكم يجعلكم «**أن تأتوا بثمرٍ كثير**» أى أن تُمارِسوا الأعمال الصالحة بالاجتهاد والتواضع. وبذلك تستحقون أن تكونوا لى تلاميذ كاملين، لا مبتدئين غير كاملين.

٩- «كما أحبنى الآب، كذلك أحببتكم أنا ـ إثبتوا فى محبتى.
١٠- إن حفظتم وصاياى تثبتون فى محبتى، كما إنى أنا قد حفظت وصايا أبى وأثبُت فى محبته. ١١- كلمتكم بهذا لكى يثبُت فرحى فيكم ويكمُل فرحكم.
١٢- هذه هى وصيتى أن تحُبوا بعضكم بعضاً كما أحببتكم».

ان محبة الآب للإبن تدل على كمال الاتحاد بينهما، لأن جوهرهما واحد. فكما أحب الله الآب إبنه الوحيد يسوع المسيح. هكذا المسيح أحب تلاميذه. فيجب عليهم أن يثبتوا فى محبته.

كأنه يقول «كما أحبنى الآب لأُخلص العالم، هكذا أنا أحببتكم وفضلتكم على جميع الناس، لأخلّص العالم بواسطة إنذاراتكم للتوبة، وتبشيركم بالخلاص لكل الناس. فاثبتوا فى محبتى، وذلك بحفظكم وصاياى. وكما أنا ثبّت فى محبة أبى، بحفظى وصاياه».

«**كلمتكم بهذا لكى يثبُت فرحى فيكم ويكْمُل فرحكم**» أى أننى أوصيتكم بالثبات فى محبتى، بإطاعة أوامرى وتعاليمى. فإذا عملتم بوصيتى، أفرح حين أُشاهد محبتكم وطاعتكم وثبوتكم، ويكمُّل فرحكم أنتم، بكونكم تلاميذى، وبكونى أعطيتكم سلامى وبكونكم تتيقنون من أن الله يُحبكم. وبهذا الحب ستنالون المجد الخالد.

«**هذه وصيتى أن تحبوا بعضكم بعضاً، كما أحببتّكم**» فيجب ان تكون محبتكم لبعض مثل محبتّى لكم، فى الحنو والرقة ومحبة الخير والفضائل، والسلوك فى كل طريق مستقيم بإنكار الذات، والبُعد عن الزلات.

١٣- «ليس لأحد حُب أعظم من هذا أن يضع أحد نفسه لأجل أحبائه. ١٤- أنتم أحبَّائى إن فعلتم ما أوصيتكم به».

ان المسيح لم يَمُت فقط عن أحبائه، بل عن أعدائه أيضاً. فأراد له المجد أن يتشبَّه تلاميذه به فى ذلك، إذا اقتضت الحال. وأنهم اذا قاموا بهذه الوصية كانوا أحباءً للمسيح، وإن لم يُقيموا الدليل على محبتهم له، فليس لهم أن يَدعُّوا أنهم أصدقاؤه.

١٥- «لا اعود أسمّيكم عبيداً، لأن العبد لا يعلم ما يعمل سيده. لكنى قد سمًيتكم أحّباء، لأنى أعلمتكم بكل ما سمعته من أبى».

كأنه يقول «إنكم ياتلاميذى وإن كنتم عبيداً لى بالطبع، إلا إننى «**لا أعود أسميكم عبيداً**» لأن العبيد الأرَّقاء أكثر ما يطيعون أسيادهم، إما خوفاً من العقاب، وإما طمعاً فى الثواب و«**لأن العبد لا يعلم ما يعمل سيده**»، فيعرف فقط أوامره، لكن لا يعرف لماذا يعمل سيده هكذا.

و«**لكنى سَّميتكم أحبّاء**» لكى تكونوا من الآن فصاعداً، شُركائى فى الأفراح والأحزان. والسبب فى تسّميتى لكم أحبائى هو «**لأنى أعلَّمتكم بكل ماسمعته من أَبى**»، من جهة ملكوته السماوى، والذى سيُقام بموتى وقيامتى.

فعلّمتكم كل شيء تستطيعون إدراكه. وأما الذى لا تستطيعون إدراكه فقد أرجأته حسب ما صرَّحت من قبل (فى ص١٦:١٢) وسأعلمكم تمام العلم عن ذلك، بإرسالى الروح القدس، ليحل عليكم مواهبه يوم الخمسين.

١٦- «ليس أنتم اخترتمونى، بل أنا اخترتكم. وأقمتكم لتذهبوا وتأتوا بثمرٍ، ويدوم ثمركم. لكى يعطيكم الآب كل ما طلبتم بإسمى. ١٧- بهذا أوصيتكم حتى تُحبُّوا بعضِكم بعضاً».

كأنه يقول «**ليس أنتم اختّرتُمونى**» معلماً وسيداً. «**بل أنا اخترَّتكم**» من بين الجهِلة الخُطاة، وصيادّى السمك «وأقمتكم» رسلاً لى لتكونوا أحبّائى. و«لتذهبوا» الى جميع العالم أجمع، للتبشير بإنجيلى، والمُناداة بخلاصى. «**وتأتوا بثمر**».

فترجع الأمم الى الايمان، وينجو الهالكون ببشارة الإنجيل، التى تذيعونها من الخطية والشيطان والموت. وتكونون شُركاء الحياة الأبدية «**ويدوم ثمركم**» فيثبت إلى الأبد. فتتأسس الكنيسة وتبقّى إلى نهاية الزمان. وليس ذلك فقط بل «**لكى يُعطيكم الآب كل ما طلبتّم بإسمى**».

فمتى أتيتم بالثمرة المطلوبة، يستجيب لكم كل طلباتكم الأخرى، التى تطلبونها بإسمى (بشرط أن تكون موافقة لإرادته تعالى).

«**بهذا أوصيكم حتى تُحبوا بعضكم بعضاً**»، لأن كل الوصايا التى أوصيتكم بها تنطوى (تدخل) فى هذه الوصية. فإننا إذا أكملناها أكملنا بقية الوصايا. (من شروط فعل الخير= المحبة + فى الخفاء+ بإتضاع + بحكمة).

١٨- «إن كان العالم يُبغضكم، فاعلموا أنه قد أبغضنى قبلكم. ١٩- لو كنتم من العالم لكان العالم يُحب خاصته، ولكن لأنكم لستُم من العالم، بل أنا اخترتكم من العالم، لذلك يُبغضكم العالم. ٢٠- اذكروا الكلام الذى قُلته لكم: ليس عبداً أعظم من سيده. إن كانوا قد اضطهدُّونى فسيضطهدونكم. وإن كانوا قد حفظوا كلامى فسيحفظون كلامكم».

«**إن كان العالم**» أى الناس العالميين (وهم اليهود والوثنيون) المنكبون على شهوات العالم وأباطيله «**يبغضكم**» أيها التلاميذ «**فاعلموا أنه قد أبغضنى قبلكم**» فقد أصابنى من قبل، كما سيُصيبكم بعد. والشركة فى الآلام توجب الشركة فى المسرات.

«**ولو كنتم من العالم**» أى تحُبُّون شهوات العالم ومجده ومناصبه ومراتبه «**لكان العالم يُحب خاصته**» لمشابهتهم له فى صفاته وأعماله الشريرة «**ولكن لأنكم لستم من العالم**» لأنكم تحتقرون الأرضيات، لذلك يكرهكم العالم الشرير.

«**بل أنا اخترتكم من العالم**» لكى تتبعوا خطواتى وتكونوا رُعاة خرافى وتحملوا صليبى وإسمى.

«**لذلك يُبغضكم العالم**» لأنكم تبكُتوَنهم على أعمالهم الردية، وخصالهم الذميمة، لأن الخلاف فى الرغبات والأميال والنزعات يوجب البُغضة(١).

«اذكروا الكلام الذى قُلته لكم، **ليس عبداً أعظم من سيده**» لأن ذِكَرى ذلك يجعلكم تحتملون الآلام بصبر وشكر.

فإنى إن كنتُ احتملّت بُغْض اليهود، والصليب، فلا ينبغى أن تأنفوا من احتمال ذلك، لأنهم «إن كانوا قد اضطهدونى فسيضطهدونكم. وإن كانوا قد حفظوا كلامى فسيحفظون كلامكم».

وقد صدق هذا الكلام على لغة اليهود إجمالاً. فإنهم رفضوا كلام الرسل وتعليمهم، كما رفضوا كلام معلمهم وتعليمه. أما الأفراد الذين لم يّصُدق عليهم ذلك فكثيرون. فكلام المسيح من باب إطلاق العموم وإرادة الخصوص.

٢١-«لكنهم إنما يفعلون بكم هذا كله، من أجل إسمى، لأنهم لا يعرفون الذى أرسلنى ٢٢- لو لم أكن قد جئت وكلمتّهم لم تكن لهم خطية. وأما الآن، فليس لهم عُذّر فى خطيتهم ٢٣- الذى يبغضُنى يبغض أبى أيضا».

(١) الأشرار (كاللصوص والزُناة والمُدمنون) يحبون بعضهم، ويكرهون منْ يُرشدهم للصواب.

«**لكنهم إنما يفعلون بكم هذا كله**»، من الأضطهاد ورفض التعليم «**من أجل إسمى**»، لأنكم **تعترفون** بى، وتشهدون بحقى، وصحة دعواى (تعاليمى).

والسبب الذى جعلهم يضطهدونكم ويرفضون شهادتكم هو «لأنهم لا يعرفون الذى أرسلنى» فجهل اليهود أن الله الآب هو الذى أرسل المسيح، هو علة كُفرهم وعمى قلوبهم.

مع أنه قد كثُرَت البَراهين (العقلية والنقلية) على صحة ذلك، بما لا يدخل تحت حصر.

فلو أعتبروُا البرَاهين والعجائب التى برهنَّت على أن الرب يسوع هو المسيح المنتظر، وأنه مُرسل من الله، لما وقعوا فى ذلك الشر العظيم، والإثم الفظيع، ولكنهم أغمضوا عيونهم عن هذه الأدلة، فظلوُّا فى خطيتهم وعماهم.

ولذلك كانت خطيتهم - برفضهم المسيح- أعظم الخطايا. وحسبها الله عصياناً. وكانت سبباً فى رفض الله إياهم، وانتقامه منهم، بخراب مدينتهم (القدس) وهيكلهم، وتشتيتهم فى العالم. علاوة على عقابهم فى الدهر الآتى. لأن الذى يُبغض المسيح يُبغض الله الآب، الذى أرسله. ولذا قال «**الذى يُبغضنى يُبغض أبى أيضاً**» للإتحاد الكلى الكامل بين الآب والإبن (**حسب التعليم الأرثوذكسى القبطى والسريانى**).

٢٤- «لو لمُ أكن قد عملّت بينهم أعمالاً لم يعملها أحد غيرى، لم تكن لهم خطية. وأما الآن فقد رأوا وأبغضونى أنا وأبى ٢٥- لكن لكى تتم الكلمة المكتوبة فى ناموسهم إنهم «أبغضونى بلا سبب» ٢٦-ومتى جاء المُعَّزى الذى سأرسله أنا إليكم من الآب - روح الحق- الذى من عند الآب ينبثق، فهو يشهد لى ٢٧- وتشهدون أنتم أيضاً، لأنكم معى من الإبتداء»

«**لو لم أكن قد عملّتُ بينهم أعمالاً**»، مثل إقامة الموتى وتفتيح أعين العميان، بمجرد الأمر والسلطان. «**لم يعملها أحد غيرى**» لا موسى ولا الأنبياء قاطبة «**لم تكن لم خطية**» مثل خطية الرفض، وهو أكبر إثم «وأما الآن فقد رأوا» عجائبى التى صنعتها بقوة نفسى، ولم يقدروا أن ينكروها، لأنى عملتها أمام عيونهم، ومع ذلك فقد «**أبغضونى أنا وأبى**».

ولذلك قد تم عنهم ما ورد فى النبوات، عن لسان داود النبى ونصه «**أبغضونى بلا سبب**». كأنه يقول فقد جُلتُ كل بلادهم أفعل خيراً، وأُعلِّم الناس الأمور السماوية والتعاليم المُحيّية. وقصبة مرضوضة لم أقصف وفتيلة مُدخنة لم أُطفِئ. ولم أَعتدِ على أحد ولم أعصّ الحكومة، فبأى مُبّرر يبغُضوننى ويهينوننى؟.

حقاً إن بغُضهم هو بلا سبب، كما قال داود، بروح النبّوة. ولكن لا تيأسوا أيها التلاميذ. ولا تحزنوا فإنه «**متى جاء المُعّزى الذى سأرسله**» كما أعلمتكم فيما سبق (ص١٤:١٦) وهو «**روح الحق الذى من عند الآب ينبثق**» أى يخرج، «فهو يشهد لى». إذ يشهد بصحة إننى إبن الله الأزلى، وإننى المسيح المنتظر (وقد تم ذلك فى يوم الخمسين إذ شهد للمسيح، فآمن كثيرون. ومن ذلك الوقت إلى الآن وهو يشهد له).

وسيدوم كذلك إلى أن تجثو بإسم يسوع كل رُكبة، ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو رب وحين تحل ـ أيها التلاميذ ـ مواهب الروح القدس عليكم «**تشهدون أنتم أيضاً**».

كما شهد الروح القدس المتكلم فيكم. فشهادتكم وشهادته واحدة، «**لأنكم معى من الإبتداء**»، أى من بدء خدمتى (منذ ٣ سنوات) وقد شاهدتُم أعمالى، وسمعتم تعاليمى، ورأيتم مُحاكمتى ورأيتمونى بعد قيامتى مراراً، مدة أربعين يوماً، ورأيتمونى صاعداً إلى السماء (كما جاء فى بداية سفر أعمال الرسل وباقى الأناجيل).

الإصحاح السادس عشر

١- «قد كلَّمتكم بهذا لكى لا تعثروا ٢- سُيخرجونكم من المجامع، بل تأتى ساعة فيها يظن كل منْ يقتلكم أنه يُقدِّم خدمة لله ٣- وسيفعلون هذا بكم لأنهم لم يعرفوا الآب، ولا عرفونىَ ٤- لكنى قد كلمتّكم بهذا، حتى إذا جاءت الساعة تذكرون إنى أنا قُلتّه لكم. ولم أَقُل لكم من البداية، لإنى كنتَ معكم».

«**قد كلمتكم بهذا**» الكلام، الذى أنبأتكم فيه أن العالم يبُغضكم، كما أبغضنى «**لكى لا تعثُروا**» أى لئلا تقعوا فى الشكوك. وذلك أن اليهود «**سيخرجونكم من المجامع**» أى يحرمونكم من الحقوق الدينية والمدَّنية، «بل تأتى ساعة» (وقت) «**يظن كل من يقتلكم أنه يُقّدم خدمة لله**» لكونه يحسب أنكم أعداء الدين وأعداء الله.

فيقسُو قلبه عليكم ظناً منه أن فروض دينه تُبيح له الإنتقام منكم، مُحاماةً عن دينه، الذى يظنه حقاً، حسب فكرهم الأحمق بالطبع.

وسيفعل ذلك بكم، ليس اليهود فقط بل الوثنيون أيضاً. والسبب فى أرتكابهم الأضطهاد ضدكم هو «**لأنهم لم يعرفوا الآب ولا عرفونى**» فإنهم لو عرفوا الآب حق المعرفة، لعرفوا إنه إبنه. فجهلهم يُزيد فى جُرمهم فظاعة. ويجعل لكم فى الأضطهاد - أيها التلاميذ – تعزية، لأنكم تتألمون من أجلى، ومن أجل أبى «**لكنى قد كلمتكم بهذا، حتى إذا جاءت الساعة تذكرون إنى قلته لكم**».

اى إنى أنبأتكم الآن بحلول المصائب والشدائد بكم، حتى لا تقع عليكم بغتة (دون علمكم المُسَّبق) فتُسَّبب - لكم عند وقوعها - الإنزعاج والشكوك (العثرات).

«ولم أقل من البداية، لأنى كنت معكم». وإن سألتمونى «لماذا لم تُنبئنا من بداية إختيارك أيانا بأنه ستأتى ساعة فيها يظن كل من يقتلنا إنه يقدم خدمة لله، أى قرباناً، وأنك ستُرسل لنا الروح القدس ليقوّينا ويُعّزينا، فأجيبكم «**لإننى كنت معكم أدبرّكم فى كل شئ. فلم تكونوا حينئذ مفتقرين إلى مُعَزٍ آخر**».

٥- «وأما الآن فأنا ماضٍ إلى الذى أرسلنى، وليس أحد منكم يسألنى أين تمضى؟ ٦- لكن لأنى قُلت لكم هذا. قد ملأ الحزن قلوبكم ٧- لكنى أقول لكم الحق إنه خير لكم أن أنطلق، لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المُعزِى. ولكن إن ذهبت أرسله إليكمَ».

كأنه يقول : «قد أخبرتكم إننى سافارقكم، وأذهب إلى الذى أرسلنى. فلماذا لم يسألنى «**أحد منكم أين تمضى؟**» وما هو الفرح والمجد الذى سنحصل عليه، وما هو الثواب الذى ستمنحه لنا؟ إن السبب الذى جعلكم لا تلتفتون إلى سؤالى عن ذلك ظاهر، وهو «**لإنى قلت هذا قد ملأ الحزن قلوبكم**» أى لأن الحزن قد أشتد بكم وأفعم الغَّم قلوبكم، فانساكم أن تسألونى عن المكان الذى أنا ذاهب إليه، وغايتى من الذهاب.

«**لكنى أقول الحق إنه خير لكم أن أنطلق**» أى أنتم محزونون لأجل انطلاقى، لكنكم على خطأ عظيم، لأن إنطلاقى خير لكم، وأكثر نفعاً.

وذلك «**لأنه إن لم أنطلق**» بعد موتى وقيامتى وصعودى «**لا يأتيكم المُعزّى، ولكن إن ذهبت أرسله لكم**» لأن مجئ الروح القدس بمواهبه الفائقة هو ثمرة آلامى وصعودى وانتصارى، ولأنه قبل انطلاقى لا حاجة إليكم إلى التعزية.

٨- «ومتى جاء ذاك، يُبكّت العالم على خطية وعلى برّ وعلى دينونة. ٩- أما على خطية فلأنهم لا يؤمنون بى ١٠- وأما على برَّ فلأنى ذاهب إلى أبى ولا ترونى أيضاً ١١- وأما على دينونة فلأن رئيس هذا العالم قد دين».

«**ومتى جاء ذاك، يُبكّت**» أى يوبخ توبيخاً مُفحماً «**العالم**»، يهوداً كانوا أو وثنيين. فيحقق لهم خطأهم على ثلاثة أمور: وهى «**على خطية وعلى برّ وعلى دينونة**».

وقد شرح المسيح كيف يُبكّت الروح القدس الناس على تلك الأمور الثلاثة فقال: «**أما على خطية فلأنهم لا يؤمنون بى**» فيقنعهم إن خطية الكُفر، أى عدم الإيمان بالمسيح أنه إبن الله، هى أعظم الخطايا، لأنها تحتوى على كل الخطايا الأخرى، ولأنها تؤدى إلى هلاكهم.

«**وأما على برٍّ، فلأنى ذاهب إلى أبى، ولا تروننى أيضاً**» فيُقنع الروح القدس العالم ببّر المسيح فى أعماله بأسرّها. إذ قد ظهر برّه بالمعجزات التى حصلت عند موته، حتى جعل القائد الرومانى يقول «**بالحقيقة كان هذا الإنسان باراً**» وبالمعجزات التى صنعها رسله، وبالمواهب التى نالوها عند حلوله عليهم ـ يوم الخمسين ـ بهيئة ألسنة نارية.

وقيل أيضاً أنه يُبكّت العالم على بّره الكاذب. أما اليهود فلإعتبارهم أن البِرَّ قائم فى ممارسة الطقوس الموسوية. وفى غسل الجسد، الذى لا ينُقّى النفس فعلاً.

وأما الأمم فلطلبهم البّر فى الأعمال الجيدة طبيعياً وبمقتضى اعتبار الناس فيقنعهم أن هذا البّر الذى أتكلوا عليه - يهوداً كانوا أو أمماً ـ غير كافٍ للخلاص، وأن الجميع يحتاجون إلى بِرّ المسيح بالإيمان.

«**وأما على دينونة فلآن رئيس هذا العالم قد دين**» أى أن الروح القدس يُبكَتّ العالم على حكمهِ بشأن عجائب المسيح إذ ادعَّوا أنه صنعها ببعلزبول، ولكنهم عندما يرون الشيطان مطروداً من المسيح ومشجوباً ويرون انقلاب مملكته، ويشاهدون الرُسل يطردونه بدعوة إسم المسيح، حينئذ يتحققون أنهم ارتكبوا أفظع إثم، بنسبتهم المعجزات التى صنعَّها إلى الشيطان.

قال أحد العلماء إن كل خاطئ يتوب ويعترف بالمسيح يدين الشيطان بتركه خدمته. وكل وثنٍ يُسَحق، وكل هيكلٍ وثنى يُهدّم، شاهد بأن رئيس العالم (إبليس) قد دين (وقيل إن التبكيّت على برِّ لم يعملوه، وعلى خطية مُهلكة، ودينونتها آتية).

١٢- «إن لى أموراً كثيرة أيضاً لأقول لكم ، ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن ١٣- وأما متى جاء ذاك روح الحق، فهو يرشدكم إلى جميع الحق، لأنه لا يتكلم من نفسه، بل كل ما يسمع يتكلم به. ويخبركم بأمور آتية ١٤- ذاك يُمجّدنى لأنه يأخذ مما لى ويخبركم. ١٥- كل ما للآب هو لى. لهذا قلت إنه يأخذ مما لى ويخّبركم»

كأنه يقول إنكم أيها التلاميذ، نظراً لأرائِكم اليهودية فى شأن ملكوتى، ونظراً للحزن المُستحَوذ عليكم لا تستطيعون الآن أن تُدركوا ما أقوله لكم، بشأن أسرار الإيمان، وتأسيس الكنيسة، وتدبيرها. «**وأما متى جاء ذاك روح الحق**» أى (عند حلول) الروح القدس (يوم الخمسين) على الكنيسة الأولى.

«**فهو يُرشدكم إلى جميع الحق**» فيعلمكم الأسرار السامية. لتؤسسوا الكنيسة، وتسنوا لها القوانين، اللازمة لاعتقادها وأعمالها وسيّرها وتدبيرها. ولكن لا يكون ذلك دفعة واحدة، بل شيئاً فشيئاً. والروح القدس «**لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمعه يتكلم به**».

«أى لا يُعَلم بخلاف ما كلمتكم وعلمتكم به. بل تعاليمه تكون موافقة تمام الموافقة لتعليمى وتعليم الآب، لأننا جوهر واحد، ولاهوت واحد، وليس ذلك فقط، بل هو «**يُخبرّكم بأمور آتية**» فيجعلكم أنبياء أيضاً تخبرون بالمستقبلات.

«**ذاك**» أى الروح القدس «**يُمجّدنى**» فيظهر للعالم أجمع إننى إبن الله، والمسيح مخلّص العالم. ويُبرّهن لليهود ولغيرهم إننى برئ من كل التُهم التى نسبوها إلىَّ، وخاصةً من قولهم الفظيع إننى أخرج الشياطين ببعلزبول.

فالروح القدس يمجدنى «**لأنه يأخذ مما لى**» أى من تعليمى المختص بالخلاص، «**ويخبركم**»: ويُعلّمكم. أى أن موضوع تعليم الروح القدس يكون إن الرب يسوع هو المسيح المنتظر مخلص العالم. وأن تعليمه حق. فيأخذ هذه التعاليم الإنجيلية ويجعلها مؤثرة فى قلوب الناس، فتأتى بهم إلى الإيمان بالمسيح.

وبياناً لإتفاق الثالوث الأقدس فى التعليم، وأن كل ما للواحد هو للآخر. وأن مجد كل منهم، هو مجد الآخر - بالمساواة التامة ـ كما قال المسيح «كل ما للآب، هو لى». بهذا قلت «**إنه يأخذ مما لى ويُخبرّكم**».

١٦- «بعد قليل لا تُبصروننى. ثم بعد قليل أيضاَ تروننى، لأنى ذاهبِ إلى الآب»

كأنه يقول إنه «بعد ساعات معدودة يأتى رؤساء اليهود مع الجنود الرومان ويمسكوننى. فأتألم وأموت وأُدفَن. فأحجَّب عن عيونكم الجسدية قليلاً»لأننى فى اليوم الثالث أقوم، فتروننى فى نفس يوم القيامة. وتظلون تشاهدوننى، مدة أربعين يوماً. وبعدها أصعَّد إلى السماء وأجلس عن يمين أبى. «فلا تروننى إلا بعيون الإيمان. وسأكون معكم ومع الكنيسة إلى أن أجئ المرة الثانية للدينونة. وحينئذ تروننى فى عالم المجد إلى الأبد».

١٧- فقال قومٍ من تلاميذه بعضهم لبعض «ماهو هذا الذى يقوله لنا: بعد قليل لا تبُصروننى، ثم بعد قليل أيضاً تروننى، ولأنى ذاهب إلى الآب»؟ ١٨- فقالوا «ما هو هذا القليل الذى يقول عنه؟ لسنا نعلم بماذا يتكلم» ١٩- فعلم يسوع أنهم كانوا يريدون أن يسألوه فقال لهم أعن هذا تتساءلون فيما بينكم، لأنى قلتُ بعد قليل لا تُبصروننى، بعد قليل أيضاً تروننى ٢٠- الحق الحق أقول لكم إنكم ستبكون وتنوحون والعالم يفرح. أنتم ستحزنون ولكن حُزنكم يتحَّول إلى فرح. ٢١- المرأة وهى تلد تحزن، لأن ساعتها قد جاءت، ولكن متى ولدت الطفل، لا تعود تذكر الشدة، لسبب الفرح، لأنه قد وُلِدُ إنسان فى العالم ٢٢- فأنتم كذلك عندكـم الآن حُـزن. ولكنى سأراكم أيضاً فتفرح قلوبكم ولا ينزع أحد فرحكم منكم».

لم يقدر التلاميذ أن يفهموا معنى قول المسيح إنهم بعد قليل لا يبُصرونه، ثم بعد قليل يبصرونه، لأنهم لم يكونوا بعد قد فهموا سر القيامة، ولا آمنوا «**أنه سيقوم فى اليوم الثالث**».

فعلم يسوع أنهم كانوا يريدون أن يسألوه، لأنه الله الكلمة عالم المستورات وما مضى وحضر، وما هو آتٍ. فقال لهم «**ستبكون وتنوحون**» لما ترون اليهود يمسكوننى ويقتلوننى. «**والعالم يفرح**» أى أهل العالم أعدائى، ولاسيما اليهود، يُظهرون فرحهم بإهانتى، وأنا مُعلّق على الصليب.

«**ولكن حزنكم يتحوَّل إلى فرح**» حين ترون قيامتى بالمجد العظيم. وضرب لهم مثل المرأة التى تلد، فإنها تحزن وتتألم، ثم تفَرح بولادة إنسان فى العالم، ووجه الشبه بين فرح المرأة بعد حزنها، وفرح التلاميذ بعد حزنهم، كون حزن كل منهما وقتى، يليه فرح دائم، وكون عظمة الفَرح تُنسيّهما الحُزن الماضى.

والفرَح الذى فرَحه التلاميذ - عند قيامة المسيح - لا يمكن أن أحداً ينزعه من قلوبهم، لأن قيامته كانت بمجدٍ عظيم، ولأنه لا يذوق الموت فيما بعد. ولتحققهم أنه حى إلى الأبد، وأنه باقٍ معهم إلى إنقضاء الدهر، وأنه يساعدهم، ويساعد خلفائهم، وكل المؤمنين، فى الشدائد والبلايا. وتفرح قلوبهم إلى أن يأتوا إلى الملكوت السماوى، حيث الفرح الدائم، والسعادة الكاملة إلى الأبد.

٢٣- «وفى ذلك اليوم لا تسألوننى شيئاً. الحق الحق أقول لكم إن كل ما طلبتم من الآب باسمى يُعطيكم ٢٤- إلى الآن لم تطلبوا شيئاً بإسمى. أطلبوا تأخذوا ليكون فرحكم كاملاً ٢٥- قد كلَّمتكم بهذا بأمثال، ولكن تأتى ساعة حين لا أكلمكم أيضاً بأمثال، بل أخبركم عن الآب علانية ٢٦- فى ذلك اليوم تطلبون بأسمى. ولست أقول لكم إنى أنا أسأل الآب من أجلكم ٢٧- لأن الآب نفسه يحبكم، لأنكم قد أحببتمونى وآمنتم إنى من عند الله خرجّت ٢٨- خرجتُ من عند الآب، وقد أتيتُ إلى العالم. وأيضاً أترك العالم وأذهب إلى الآب».

وكأنه يقول «حين يحل عليكم الروح القدس، ويكملكم لا تحتاجون أن تستفهموا منى عن أمور لا تفهمونها. بل هو يوضح لكم كل ما غمض من كلامى، ويُذكّركم بكل ما نسيتموه منه، فتُدرِكُون الحقائق حق الإدراك».

وبعد أن يحل الروح القدس: «**كل ما طلبتم من الآب بإسمى يُعطيكم**»، بشرط أن يكون طلبكم بالإتضاع. وأن يكون لنموكم الروحى ولإمتداد الكنيسة بملكوت الله على الأرض، بإسمى، ومن أجل استحقاقى.

وبالجملة أن يكون الطلب موافقاً لإرادته تعالى. وإنكم «إلى الآن لم تطلبوا شيئاً بإسمى»، لأنكم ما كنتم تُدركون أننى استحق العبادة والصلاة. وأن تُوجَّه إلىَّ الطلبات، ولأننى كنت حاضراً بينكم.

«**أطلبوا تأخذوا ليكون فَرحكم كاملاً**» أى أطلبوا من الآب بأستحقاقى تُجَابوا. فلا تحتاجون لنوال شئ إلا أن تطلبوا بإسمى. وحينئذ يكون فرحكم بتمام التعزية على فراقى، وبنوال طلباتكم وبفيضان النِعَم عليكم.

«**وقد كلمتكم بهذا بأمثال**» ولذا عسر عليكم فهمه. ويُراد بالمَثَل هنا كل كلام غير ظاهر المعنى لسامعه، «**ولكن تأتى ساعة**» عند ما يحل عليكم الروح القدس «لا أكلمكم أيضاً بأمثال» فإننى بعد قيامتى فى مدة أربعين يوماً وبعد صعودى أكشف لكم - بواسطة الروح القدس - الأمور، وأنير قلوبكم حتى «**أخبركم عن الآب علانيةً**».

وحينئذ تفهمون عدل الله وقداسته ورحمته. ومحبته وإننى إبنه بالطبع، لا بالوضع. و«ذلك اليوم» أى حين يحل الروح القدس عليكم ويُعلِّمكم عندها «**تطلبون باسمى**» فيمنحكم ما تطلبون لأنه يُحبكم.

«**ولستُ أقول لكم إنى أنا اسأل الآب من أجلكم**» إذ لا داعى لأن أصلى الى الآب وأنا فى السماء، كما صليت عنكم وأنا معكم فى الأرض، بل استحقاقاتى كافية لأن تنيلكم القوة والسلام والمعونة والخلاص. وما عليكم إلا أن تطلبوا كل طلباتكم بإسمى «**لأن الآب نفسه يُحبكم**» وحُب الآب الذى نلتموه باستحقاقى، قد جعل طريق إقترابكم اليه ممهدة ومفتوحة.

لأنكم قد أحببتمُونى والآب يعتبر أصدقاء إبنه أصدقاء له. فيجيب طلباتهم. ولستم احببتمونى فقط بل «**آمنتم إنى من عند الله خرَجت**» أى إننى ابنُ الله الأزلى «خرَجتُ من عند الآب». لأفدى العالم «وأتيت الى العالم» أى وتجسدت من الروح القدس ومن مريم العذراء، «**وأيضاً أترك العالم وأذهب الى الآب**» أى وأصعد الى السماء، وأجلس عن يمين العظمة فى عالم المجد.

٢٩- قال له تلاميذه «هوذا الآن تتكلم علانية، ولسْتُ تقول مثَلاً واحداً. ٣٠- الآن نعلم أنك عَالِم بكل شىء، ولستَ تحتاج أن يسألك أحد. لهذا نؤمن أنك من الله خرَجت».

كأنهم يقولون إن تفسيرك - يا سيد ـ لأقوالك، ومعرفتك لأفكارنا القلبية وكشْفك عن نياتنا الداخلية، وعدم احتياجك لأن نسألك عنها، جعلنا نفهم كلامك. ولم يصر عندنا كأمثال وألغاز، بل أدركناه حق الإدراك، لأنه صار ظاهرا جليا. الآن زاد إيماننا وثوقا بأنك من عند الله خرَجتَ، وانك إبنه الأزلى. وأنت المسيح مُخلص العالم.

٣١- أجابهم يسوع «الآن تؤمنون ٣٢- هوذا تأتى ساعة وقد أتت الآن تتفرقون فيها كل واحدٍ إلى خاصته، وتتركوننى وحدى. وأنا لست وحدى لأن الآب معى ٣٣- قد كلمتكم بهذا ليكون لكم فىَّ سلام. فى العالم سيكون لكم ضيق. ولكن ثقُوا، أنا قد غلَّبت العالم».

كأنه يقول : تصّرحُون بأنه قد ثبت إيمانكم بى، وأنا أعلم أنكم تقولون ذلك عن إخلاص، ولا تعرفون إن قلوبكم ما زالت ضعيفة. فإنه «**تأتى ساعة**» قبل أن تشرق شمس الغد «**وقد أتت**» بالفعل، أى أقتربت جداً «**تتفرقون فيها كل واحد إلى خاصته**»، أى إلى بيته وأهله، أو حيث يجد له ملجأً.

«**وتتركُونى وحدى**» وأنا أعز أصدقائكم، وبيدى القدرة والحكمة والسعادة. أنا الذى تجثو أمامى كل رُكبة، تتركونى وحدى، خوفاً وخجلاً. إننى أقول ذلك لا خوفاً على نفسى، بل شفقةً عليكم، لأننى «**أنا لستً وحدى لأن الآب معى**» فلا أحتاج لمساعدتكم، لأن الآب معى، إذ أن جوّهرنا واحد، وهو على كل شئ قدير.

«**قد كلمتكم بهذا ليكون لكم فىَّ سلام**» أى لتكونوا فى سلام، ولا تضطربوا حين يقع عليكم الأضطهاد والشدائد، لأنه «**فى العالم سيكُون لكم ضِيق**» شديد. وما دمتم فى العالم لا ينبغى أن تتوقعوا غير ذلك: «**ولكن ثقوا**» فإنكم إذا نظرتم إلىَّ بعين الإيمان لا تحتملون تلك الشدائد فقط بل يكون لكم فى أشد البلايا والعذابات، فرح عظيم، لأننى «**أنا قد غلبت العالم**» بسيرتى المقدسة وتعليمى السماوى، ثم بآلامى وموتى (ويريد بالعالم الشيطان والخطية والموت) وكما غلبته أنا ستغلبونه أنتم، إن ثبتُّم فى إيمانى ومحبتى.

وخلاصة القول إننى بانتصارى ينتصر كل المؤمنين بى، فلا يستطيع أهل العالم والشيطان، أن يغلبهم بشئ من الأغراءات والأضطهادات.

الإصحاح السابع عشر

١- تكلم يسوع بهذا ورفع عينيه نحو السماء وقال «أيهـا الآب قد أتت الساعة، مجدّ إبنك ليُمّجدك إبنك أيضاً».

لما فرغ المسيح من الكلام مع تلاميذه، أخذ فى إظهار عظمته، من خلال الصلاة، رافعاً عينيه نحو السماء، ليُعلّمنا أن نرفع نفوسنا الى الله. لأن السماء مسكن قدسه تعالى.

«**وقال أيها الآب، قد أتت الساعة**» التى تعيَّنت منذ الازل، بالمشورة المحتومة، لموتى على خشبة الصليب، لخلاص العالم.

«**مجَّد إبنك**». وذلك بان تُظِهر للناس إننى المسيح المنتظر، وإبنك الوحيد مُخلّص العالم. وأظهِر بسببى العجائب الباهرة، حتى يعترف الجميع قائلين، حقاً كان هذا ابن الله.

«**ليُمجدَّك إبنك**» فيُسبَّحك الناس من أجل هذا ويقدسونك، إذ يظهر سلطانك وقداستك وحكمتك وعدلك ورحمتك. ويُمجّدك الذين يخلصُون بدمى، إذ ينطقون بتمجيدك بأقوالهم وأفعالهم.

واعلم أن قول المسيح «**مجدنى لأمجدّك**» دليل على مُساواته للآب، لأنه لا يمكن أن مخلوقاً يقول ذلك، وهو واقف أمام خالقه.

٢- «إذ أعطيته سلطاناً على كل جسدٍ، ليُعطى حياة أبدية لكل منْ أعطيته.٣- وهذه هى الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقى وحدك، ويسوع المسيح الذى أرسلته».

كأنه يقول «بما أنك أيها الآب قد أعطيتنى السلطان على كل جنس البشر، لأعطى الحياة لكل منْ آمن بى منهم. وذلك بكونى أبذل نفسى كفارةً عن خطايا العالم. وما هى الحياة الأبدية التى أمنحّها. لكل المؤمنين بى. هى «**أن يعرفوك أنت الإله الحقيقى وحدك**» أى أن يعرفوا بواسطتى معرفة قلبية مقرونة بالمحبة. لا معرفة عقلية فقط، إنك الإله الحقيقى وحدك. من دون الآلهة

الكاذبة. وأن يعرفوا أيضاً أن «**يسوع المسيح الذى أرسلته**» هو إبنك الأزلى، وكلمتك الذى تجسد، ليُعلن للناس أنك واحد الذات، مثلث الأقانيم. وأنك هكذا أحببَّت العالم، حتى بذلت إبنك الوحيد فداءً عنهم، لينالوا الحياة الأبدية التى أشتراها لهم بدمه.

٤- «أنا مجدَّتك على الأرض. العمل الذى أعطيتنى لأعمل قد أكملّته ٥- والآن مجّدنى أت أيها الآب، عند ذاتك، بالمجد الذى كان لى عندك قبل كون العالم».

كأنه يقول : إننى قد أكملّتُ عمل الخلاص، الذى أرسلتنى من أجله، بأعمالى وأقوالى وتواضعى، وبعد ساعات وجيزة أُكمله باحتمالى الآلام وبموتى على الصليب، وبقيامتى من الأموات فى اليوم الثالث.

وبهذا الإتمام أظهَّرتَ مجدك (أيها الآب) على الأرض «**والآن مجّدنى أنت أيها الآب عند ذاتك**» أى أظِهر المجد الذى به يُستَدل على تأنُسى وأتحادى بالجسد المأخوذ من العذراء. ويعرف الناس حقيقتى. فيسجدون لى إذ يتحققون إننى إبنك الأزلى، المساوى لك فى الجوهر، وإننى إله حق من إله حق. فلا يحتقروننى لأجل الصليب، ظناً منهم أننى لستُ بإله.

ونستدل من قوله «**بالمجد الذى كان لى عندك قبل كون العالم**» بأنه أزلى وأن مجده كان له قبل تجسده. وأنه لم يسأل مجداً جديداً أعظم مما كان له، لأنه أحد الأقانيم الثلاثة المتساوين فى المجد والقدرة والسلطان والأزلية.

٦- «أنا ظهرت إسمك للناس الذين أعطيتنى من العالم. كانوا لك وأعطيتهم لى وقد حفظوا كلامك ٧- والآن علموا أن كل ما أعطيتنى هو من عندك ٨- لأن الكلام الذى أعطيتنى قد أعطيتهم، وهم قبلوا وعلموا يقيناً إنى خرّجتُ من عندك، وآمنوا أنك أنت أرسلتنى».

قال يوحنا فم الذهب إن اليهود كانوا يعرفون إسم الله، ولكنهم ما كانوا يعرفونه إنه تعالى أبونا. فعَّرفهم المسيح أنه يسمى الآب أيضاً. نعم إن الله يُسمَّى بهذا الأسم فى العهد القديم، لكنه لم يُعرَّف تمام المعرفة كأب إلا من تعاليم المسيح. فهو تعالى أبونا لأنه خالقنا وحافظنا ومُنعِم علينا. فتعليم ابوة الله من أمجاد الإنجيل.

ويريد بقوله «**الذين أعطيتنى من العالم**» تلاميذه، وقد أعطاهم الآب للإبن بمعنى أنه أختارهَم ومنحهم النعمة الفعَّالة. فأنفصلوا عن العالم . وقوله «**كانوا لك**» معناه إنك أنتخبتّهم منذ الأزل. لينفصلوا بنعمتك عن الكُفار. فكانوا لك ومختصين بك، أى متبعين أوامرك ووصاياك.

وبذلك كانوا مستعدين لقبولى، والإيمان بى «**وأعطيتهم لى**» فكما كانوا مختصين بك وخداما لك، صاروا تلاميذاً لى. فقبلوا تعليمى كما قبلوا تعليم موسى والأنبياء القدماء.

«**وقد حفظوا كلامك**» إذ قبلوه بالرضى والأختيار. وكلامك هو كلامى، لأنى أعلنتّه للناس، ولأننى وأنت واحد فى الجوهر. والآن علموا، بواسطة تعليمى إياهم «**أن كل ما أعطيّتنى**» أى كل أقوالى وأعمالى وتعليمى «**هو من عندك**» لأنه موافق لإرادتك «لأن الكلام الذى أعطيتنى» أى الحقائق المتعلقة بك وبالفداء «**قد أعطيتهم**» أى أعلنتها لهم.

«**وهم قبلوا**» ذلك التعليم بكل رضىً واختيار «**وعلموا يقيناً**» واعترفوا بقلوبهم «**أنى خرجّتُ من عندك**» أى إننى إبنك الوحيد مُخلصّ العالم «**وآمنوا أنك أنت أرسلّتنى**» لأموت كفارة عن العالم.

٩- «من أجلهم أنا اسأل. لستُ من أجل العالم بل من أجل الذين أعطيتنّى لأنهم لــــك. ١٠- وكــل ما هو لــى فهو لك. وما هو لك فهو لــى، وأنا ممُجّد فيهم».

«**من أجلهم**» أى من أجل تلاميذى، وبالتالى جميع المؤمنين بى «**أنا أسال. لستُ اسأل من أجل العالم**» لأن صلاتى هنا خاصة بتلاميذى، لا بأهل العالم «**بل من أجل الذين أعطيتنى**» أى اخترتهم منذ الأزل ليتبعونى ويؤمنوا بى «**لأنهم لك**» ولم يزالوا بعد إعطائهم لى مختصين بك ومن خُدامَّك.

والسبب فى ذلك ان «**كل ما هو لى فهو لك. وما هو لك فهو لى**». لوحدة الذات بيننا. وبناءً على هذه الحقيقة يُنسَّب المؤمنون أحيانا الى الآب، وأحيانا الى الإبن.

وقوله «**وأنا ممجد فيهم**» معناه أنهم سوف يُمجُّدوننى بانذارهم وتبشيرهم باسمى، بين جميع اليهود والأمم، وبإرشادهم الخُطاة الى التوبة والايمان بالمسيح المخلّص.

١١- ولستُ أنا بعد فى العالم. وأما هؤلاء فهُم فى العالم. وأنا آتى اليك. أيها الآب القدوس، إحفظهم فى إسمك الذين أعطيتنى ليكونوا واحداً كما نحن».

كأن المسيح يقول: «إننى بعد قليل أذوق الموت، وبعد قيامتى بأربعين يوما آتى اليك بصعودى الى السماء. وأما تلاميذى «**فهم فى العالم**» اذ يبقون فيه عُرضه للضيق، والاضطهاد من اليهود ومن الأمم.

فأسألك أيها القدوس أن تحفظهم «**فى إسمك**» أى فى طاعتك بقوتك ونعمتك «**ليكونوا واحداً**» فى المحبة والإرادة والاختصاص بك، والاتفاق فى الغاية بلا خصومة ولا نزاع «**كما نحن**» أى كاتحادنا ـ أيها الآب ـ فى القدرة والإرادة وسائر الكمالات الإلهية.

١٢- «حين كُنت معهم فى العالم كنت أحفظهم فى إسمك. الذين أعطيتنى حفظتهم، ولم يَهلك منهم أحد إلاَّ ابن الهلاك، ليتم الكتاب».

معناه: «إننى لما كنتُ مع تلاميذى. كنتُ أهتم بهم، وأساعدهم ليسيروا «**فى إسمك**» أى أساعدهم على إظهار قوتّك ومحبتك للعالم. وقيل إن قوله «**فى إسمك**» معناه من أجل صلاحك الغير محدود.

وهؤلاء «**الذين أعطيتنى حفظتّهم**» بنعمتى، ولم يهلك منهم «**أحد إلا ابن الهلاك**» وهو يهوذا الإسخريوطى.

«**ليتم الكتاب**» أى وُفقاً لما قيل فى الكتاب المقدس (وهو مز٤١:٩ و١٠٩:٨) لأن فساد قلبه وعدم توبته عن ذلك الفساد جعله إبناً للهلاك.

١٣- «أما الآن فإنى آتى اليك. وأتكلَّم بهذا فى العالم، ليكون لهم فرحى كاملاً فيهم. ١٤- أنا قد أعطيتهم كلامك، والعالم أبغضهم، لأنهم ليسوا من العالم، كما إنى أنا لستُ من العالم».

معناه، بما أننى عما قليل أموت وأقوم وأصعد الى السماء. فأتكلم بهذا الكلام الوداعى «**فى العالم**» على مسمَّع من تلاميذى، حتى إذا تم ذلك يفرحون فرحاً كاملاً.

ويتأكدون إننى سأُرسِل لهم الروح القدس، ويتحققون أن الآب يحبهم ويعتنى بهم «**وأنا اعطيتهم كلامك**» أى تعاليمك، لينفعوا أنفسهم وينفعوا المؤمنين، ويبشروا فى سائر العالم. وهذه البشارة ستهيّج عليهم بُغض العالم «**لأنهم ليسوا من العالم**» أى لأنهم لا شركة لهم مع أهل العالم فى ملذاته ومفاسده وشروره «**كما إننى لست من العالم**». فكما أبغضنى العالم لابُد أن يبغضهم.

١٥- «لست أسأل أن تأخذهم من العالم، بل أن تحفظهم من الشرير. ١٦- ليسوا من العالم كما إنى انا لسّتُ من العالم».

كأنه يقول: «وإنى لا أطلب منك ـ أيها الآب ـ أن تنقلهم الى السماء، لأن وجودهم ضرورى، لإذاعة بُشرَى الخلاص، ولنموهم الروحى، ولنفع المؤمنين، ولُبنيّان الكنيسة.

«**بل أن تحفظهم من الشرير**» أى من تجارب الشيطان، وشهوات العالم، ومن المصائب، والاضطهادات. وقوله عن التلاميذ إنهم: «**ليسوا من العالم، كما إنى لستُ من العالم**» قد سبق شرحه فى (الآية ١٤).

١٧- «قدّسهم فى حقَّك. كلامك هو حق».

أى «أَفِض عليهم بالنعمة الحقيقية، بالروح القدس. وأجعلهم قديسين أكثر فأكثر، بتأثير حقك فى قلوبهم، لأن كلامك وكل تعاليمك التى أعلنتها لهم بى ـ أنا إبنك الوحيد ـ هى الحق نفسه».

١٨- «كما أَرسلَّتنى الى العالم أرسلّتهم انا إلى العالم ١٩- ولأجلهم أُقدِّس أنا ذاتى، ليكونوا هم أيضاً مقدسين فى الحق».

معناه: كما أرسلتنى الى العالم لأُصلِحه وأقدسَه. هكذا أنا أرسلت تلاميذى الى جميع الشعوب ـ وليس فقط الى شعب اسرائيل ـ ليُقدسُّوهم. فلذلك هم يحتاجون الى أن تجعلهم قديسين بالحقيقة والكمال.

«**ولأجلهم أقّدس أنا ذاتى**» أى أُقدِم نفسى ذبيحة، حتى يتقدسُوا، هم بعد إتمام تدبيرى الخلاصى، وليكونوا أيضاً مقدسين بالحق، أى بواسطة كلامك، الذى هو حق ـ لا ظل كما كان فى العهد القديم – وقيل إن الحق معناه معونة الروح القدس، وقيل إن معناه الحقيقة.

٢٠- «ولستُ أسأل من أجل هؤلاء فقط، بل من أجل الذين يؤمنون بى بكلامهم. ٢١- ليكون الجميع واحداً، بل أيضاً كما أنك أنت أيها الآب فيَّ. وأنا فيك، ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا. ليؤمن العالم إنك أرسلتنى».

معناه: «إننى لا أطلب الإيمان والنعمة، والمواهب والخير والخلاص والتقديس والمعونة والتعزية فى الضيقات والتجارب، من أجل رسلى الأحد عشر فقط، بل من أجل جميع الذين يؤمنون باعترافهم وبشهادتهم، وبشهادة واعتراف خُلفائهم الى أبد الأبدين.

«**ليكون الجميع واحداً**» أى على إيمان واحد، ورجاء واحد ومحبة واحدة ورأى واحد، رسلاً كانوا أو مؤمنين،لأنهم مفّديون بدمٍ واحد.

«**كما أنك ايها الآب فيَّ، وأنا فيك**» أى فكما إنى وأنت أيها الآب واحد فى الذات، يجب أن يكونوا هم واحداً فينا، متُحدّين بالمحبة مع بعضهم بعض، ومتحدّين مع الآب والابن، اتحاد الأغصان بالكرّمة.

«**ليؤمن العالم إنك أرسلتنى**» لأنه إذا رأى العالم اتحاد المسيحيين مع الله والمسيح، واتحادهم بعضهم مع بعض، يجعلهم يؤمنون أن يسوع المسيح هو «ابن الله» فيتحولون عنه من أعداء الحق الى مُحبين ومؤمنين به.

٢٢- «وأنا قد اعطيتهم المجد الذى أعطيتنى ليكونوا واحداً، كما إننا نحن واحد. ٢٣- أنا فيهم وأنت فيَّ ليكونوا مُكملين إلى واحد، وليعلَّم العالم إنك أرسلتنى، وأحبَّبتهم كما أحبَّبتنى».

قال يوحنا فم الذهب يُراد «**بالمجد**» (١) السلطان على فعل العجائب الذى أعطاه لتلاميذه و(٢) وحدة الاتفاق برباط المحبة الذى به يكون جميع المؤمنين واحداً، كما أن الآب والابن واحد فى الجوهر والقوة. وقيل إنه يُراد به مجد البنوّة. فكما أن المسيح ابن الله بالطبع، أعطى المؤمنين أن يصيروا أبناء الله بوسائط النعمة [وقيل يُراد بالمجد والميراث السماوى. فجميع المؤمنين الذين

يتألمون معه يتمجدُّون معه] (راجع رو٨: ١٧و٣٠وأف١: ١٨و٢: ٢٦). وقوله: « **ليكونوا مُكملين الى واحدٍ**». معناه أنه يجب ان يكون إتحادهم تاماً وكاملا، كأعضاء كثيرة فى جسد واحد. فيؤدى كل عضو واحد وظيفته الخاصة: «المدبر فى التدبير، والمعلم فى التعليم» وليكن الجميع واحدا فى الإيمان، والسيرة المقدسة. وقوله «**ليعلم العالم انك أرسلتنى**» سبق شرحه فى الآية٢١.

٢٤- «أيها الآب أريد أن هؤلاء الذين أعطيتنى يكونون معى حيث أكون أنا، لينظروا مجدى الذى أعطيتنى، لأنك أحببتنى قبل إنشاء العالم».

كأنه يقول: إنى أريد لا أن أطلب فقط بأن جميع تلاميذى، وجميع المؤمنين الذين يحفظون وصاياى، يكونون معى فى السماء، بعد انتقالهم من هذه الدار. ليشتركوا فى مجدى ويتمتعوا به، لا بمجرد المشاهدة، بل بالسعادة الدائمة. ونستفيد من قوله «أريد» أن الاتحاد مابين الآب والآبن كامل، والا ما كان يعرف الابن أن هذا موافق لإرادة الآب. وقوله « **لأنك أحببتَنى قبل إنشاء العالم**» أن المسيح كان كائناً قبل كل المخلوقات، التى خلقها.

٢٥- «أيها الآب البار إن العالم لم يعرفك. أما أنا فعرفتك. وهؤلاء عرفوا أنك أنت أرسلتنى ٢٦- وعرفتّهم إسمك وسأعرِّفهم، ليكون فيهم الحب الذى أحبَبتنى به، وأكون أنا فيهم».

وصف المسيح الله الآب بصفة «**البار**» لأنه بار فى كل أعماله. فهو يقاوم المستكبرين ويذلهم، وأما المتواضعون فيعطيهم نعمة. ويهب الرسل والمؤمنين بابنه الوحيد المواهب السامية وقوله «**إن العالم لم يعرفك**» معناه لم يعبدوك حق العبادة. ويقول السيد المسيح «**أما أنا فعرفتك**» المعرفة الكاملة. وهؤلاء قد عرفوك بتعليمى إياهم لأننى «**عرفتهُم بإسمك**» فأعلنت عن صفاتك الجميلة، وكمالاتك المجيدة. وسأعّرفهم عند إرسال الروح القدس إليهم، فإنه سيرشدهم الى جميع الحق «**ليكون فيهم الحب الذى أحببتنىّ به**» فكما أحببتنى أيها الآب كذلك أنا أحبهم، فأحميهم من الخطر، وأقوم بحاجاتهم، وأعتنى بهم فى هذا العالم، وأنعم عليهم بالسعادة الدائمة فى العالم الآخر، وأنت أيضا تحبهم من أجلى وتُكثر لهم إحساناتك «**وأكون أنا فيهم**» ولو إنى صاعد الى السماء، فسأكون معهم حاضراً على الدوام بلاهوتى، فينمون فى القداسة، وينشرون بُشرى الخلاص بين كل الناس.

✠ ✠ ✠

الإصحاح الثامن عشر

١- قال يسوع هذا. وخرج مع تلاميذه الى عبّر وادى قدرون، حيث كان بستان دخله هو وتلاميذه. ٢- وكان يهوذا مُسلّمه يعرف الموضع، لأن يسوع اجتمع هناك كثيراً مع تلاميذه ٣- فأخذ يهوذا الجند وخداماً من عند رؤساء الكهنة والفريسيين، وجاء إلى هناك بمشاعل ومصابيح وسلاح.

(راجع مت٢٦:٣٦-٤٧ ومر١٤:٣٦-٤٣ ولو٢٢:٣٩-٤٧) **ووادى قدرون** هو الوادى الواقع شرقى أورشليم، وفيه بستان جثسيمانى. ولم يذكر يوحنا صلاة المسيح وآلامه هناك. كما أنه لم يذكر إتفاق يهوذا مع اليهود على ان يُسلّم لهم يسوع بثلاثين من الفضة، حيث وردت فى الأناجيل الثلاثة الأخرى، فلا داعى لتكرارها.

وذكر يوحنا أن يهوذ مُسلِّمه كان يعرف الموضع الذى خرج إليه مع تلاميذه، وذلك لتأكده أنه سوف يجد سيده هناك.

وقد أتى الجُند وخُدَّام رؤساء اليهود بمشاعل ومصابيح، مع أن القمر كان بدراً، خوفاً من أن يختبئ المسيح بين الأشجار فى البستان.

٤- فخرج يسوع وهو عالم بكل ما يأتى عليه. وقال لهم «مَنْ تطلبون؟» ٥- اجابوه «يسوع الناصري». قال لهم يسوع «أنا هو». وكان يهوذا مسلمه أيضاً واقفاً معهم ٦- فلما قال لهم «إنى أنا هو» رجعوا الى الوراء وسقطوا على الارض ٧- فسألهم ايضاً «مَنْ تطلبون»؟ فقالوا «يسوع الناصرى» ٨- أجاب يسوع «قد قلت لكم إنى أنا هو. فإن كنتم تطلبوننى فدعُوا هؤلاء يذهبون ٩- ليتم القول الذى قاله «إن الذين أعطيتنى لم أُهلِك منهم أحداً».

لما حضر الجند وخُدَّام رؤساء الكهنة، كان يسوع داخل البستان يصلى. فخَرج حالاً إلى ملاقاتهم «**وهو عالم بكل ما يأتى عليه**» فكان فى إمكانه إذن أن يهرب. **وهذا دليل على أنه**

سلّم نفسه باختياره، بل قد عرَضَ نفسه للقبض والاهانة والموت بإرادته أيضاً (وهو مما ينفى الزعم بصلب آخر، بدلاً منه).

إذ قال لهم «**منْ تطلبون؟**» «**قالوا يسوع الناصرى**» فلما قال لهم «**أنا هو**» بكل شجاعة «رجعوا الى الوراء وسقطوا على الأرض» ولاشك أن هذا يدل على قوتّه الإلهية. وأنه لو أرأد ان ينجو منهم لأستأصلهم فى الحال.

ولما أفاقوا أعاد السؤال. فأعادوا هم عليه الجوابْ. ثم قال «**دعوا هؤلاء**» أى تلاميذى «**يذهبون**» ولاُ تُلّقوا الايدى عليهم فإنى أبيح لكم القبض علىَّ، ولكن لا أبيح لكم القبض عليهم.

وبذلك أظهر السيد المسيح حبه الشديد لتلاميذه فى ساعة الخطر. وأباح لهم أن يمضوا الى حيث شاءوا، ليتخلصُّوا من الخطر. وذلك «ليتم القول الذى قاله (فى ص١٧:١٢) «**إن الذين أعطيتنى لم أهِلك منهم أحداً**» إلا يهوذا الاسخريوطى ـ والمراد بالهلاك هنا هلاك الجسد والنفس معاً، لأنه لو سمح أن يُلقِى العسكر القبض عليهم، ويأتوا بهم الى المُحاكمة، لتلاشى إيمانهم ولهلكوا جسداً ونفساً.

١٠- ثم إن سمعان بطرس كان معه سيف. فاستَّله وضَرَب عبد رئيس الكهنة، فقطع أُذنه اليمنى. وكان إسم العبد ملخس ١١- فقال يسوع لبطرس «إجعل سيفك فى الغمد. الكأس التى أعطانى الآب ألا أشربها؟» ١٢- ثم أن الجند والقائد وخُدَّام اليهود قبضوا على يسوع وأوثقوه.

سبق ورود هذا الكلام فى مت ٢٦:٥٠-٥٢ ومت٢٠:٢٢ ولم يذكر أحد من البشيرين إسمّى الضارب والمضروب، إلا يوحنا. أما شفاء ملخس المضروب فلم يذكره سوى لوقا (٢٢:٥١) وقد شفى المسيح أُذن العبد ليُعلّمنا ان نُحسِّن لمن يُسئ إلينا، وهو درس الآن، لأهل هذا الزمان، الذين يرفضون الصفّح والسماح، كما فعل السيد المسيح، وينتظرون عقاب الرب.

وأوثق الجند والقائد وخُدُّام اليهود المسيح ليتم مثاله بإسحاق الذى أوثقه إبراهيم أبوه، ليقدمه ضحية لله، طاعَة لأمره.

١٣- «ومضوا به الى حنّان أولاً، لأنه كان حما قيافا الذى كان رئيساً للكهنة فى تلك السنة ١٤- وكان قيافا هو الذى أشار على اليهود أنه خير أن يموت إنسان واحد عن الشعب».

أخذ الجند والقائد وخُدَّام اليهود يسوع الى حنّان أولاً. وكان الأولىَّ أن يأخذوه الى قيافا، لأن الأول كان معزولاً من الرياسة التى تولاها، والسبب فى ذهابهم به أولاً الى حنان أنه كان أكبر سناً. وكان لهذا مقّدماً فى الشرف والسُلطة، مع أنه كان معزولاً من رئاسة الكهنوت رسمياً.

وقال يوسيفوس المؤرخ، إن سلطان رئيس الكهنة كان يبقى له حتى بعد عزله: «وإن قيافا كان صهراً لحنان» ولذا كان حماه شريكاً لصهّره فى الرياسة.

ثم أشار يوحنا الانجيلى إلى قيافا بقوله: «**وكان قيافا هو الذى أشار على اليهود أنه خير أن يموت إنسان واحد عن الشعب**» وقد شرحنا هذا القول (فى ص١١:٤٩ و٥٠).

١٥- «وكان سمعان بطرس والتلميذ الآخر (يوحنا) يتبعان يسوع. وكان ذلك التلميذ معروفاً عند رئيس الكهنة. فدخل مع يسوع الى دار رئيس الكهنة ١٦- وأما بطرس فكان واقفاً عند الباب خارجاً. فخرج التلميذ الآخر، الذى كان معروفاً عند رئيس الكهنة. وكلم البوابة فأدخل بطرس ١٧- فقالت الجارية البوابة لبطرس: «ألستَّ أنت أيضاً من تلاميذ هذا الانسان؟» قال ذاك «لستُ أنا» ١٨- وكان العبيد والخُدّام واقفين وهم أضرموا جمراً، أشعلوا فحماً، لأنه كان برد. وكانوا يصطلون. وكان بطرس واقفاً معهم يصطلى».

(راجع مت ٥٧:٢٦و٥٨ ومر٥٤:١٤ ولو٥٤:٢٢) والمُراد بالتلميذ الآخر يوحنا الانجيلى، كاتب هذه البشارة، وقوله عن نفسه أنه «**كان معروفاً عند رئيس الكهنة**» يدل على ان هذه المعرفة كانت سبباً فى التصريح له بالدخول.

ومن ذكر الجارية لفظة (أيضاً) فى قولها لبطرس «**ألست أنت أيضاً من تلاميذ هذا الانسان؟**» نستدل أنها عرفت أن يوحنا الذى كان هناك، كان من تلاميذ المسيح فعلاً.

١٩- فسأل رئيس الكهنة يسوع عن تلاميذه وعن تعليمه ٢٠- أجابه يسوع «أنا كلمّتُ العالم علانية. أنا علّمتُ كل حين فى المجمع، وفى الهيكل حيث يجتمع اليهود دائماً. وفى الخفاء لم أتكلم بشئ ٢١- لماذا تسألنى أنا؟. إسأل الذين قد سمعوا ماذا كلمتهم؟ هوذا هؤلاء يعرفون ماذا قلت أنا؟».

سأل حنانً يسوع (١) عن عدد تلاميذه حتى إذا رأى انهم كثيرون يشكوه الى بيلاطس، بأنه مُهيّج فتنة (٢) وعن تعاليمه، ليرى هل فيها ما يُنافى شريعة موسى، ليشكوه الى المجمع.

فأجابه المسيح أن تعاليمه كلها جهارية، والجميع يعرفونها، وكلهم بالطبع يشهدون بأنه لم يتكلم أبداً لا ضد الحكومة ولا ضد شريعة موسى.

٢٢- ولما قال هذا، لطم يسوع واحد من الخُدّام كان واقفاً قائلاً «أهكذا تجاوب رئيس الكهنة؟» ٢٣- أجابه يسوع «إن كنت قد تكلمّتُ رديئاً فأشهد على الردى، وإن حسناً فلماذا تضرَّبنى؟» ٢٤- وكان حنان قد أرسله موثقاً الى قيافا رئيس الكهنة.

حسب واحد من الخُدّام أن مجاوبة المسيح لرئيس الكهنة حنان وقاحة، فلَطمه بيده الأثيمة على وجهه البار. فوبخه المسيح بالمنطق قائلا «**إن كنتُ قد تكلمت رديئاً فاشهد على الردى**» من كلامى حسب شريعة موسى. وعندها كان يْحكم علىَّ بمقتضاها، «**وإن حسناً**» حسب الواقع والثابت «**فلماذا تضرّبنى؟**» فأنت إذن أيها الخادم مْذنب لأنك ضرّبتنى وأنا برئ».

وقال القديس أغسطينوس: «إن يسوع لم يْحوِّل خدّه الأيمن للطم فقط بل أعدَّ جسده كله للصلْب على الخْشبة، ليُثبت بالعمل، مشورته القائلة «منْ لطمك على خدك الأيمن حوّل له الآخر أيضاً».

وقال غيره «إن المسيح بهذا العمل علمنا أن اعتراض المظلوم وشكواه على الظالم جائزة بروح المنطق الهادئ». ويظهر من قوله «وكان حنان قد أرسله موثقا الى قيافا رئيس الكهنة » أنهم كانوا عند إدخاله الى حنان حلُّوا وثاقه، لأننا قد علمنا (من الآية ١٢) أنهم أوثقوه حينما قبضوا عليه.

٢٥- وسمعان بطرس كان واقفاً يصطلى. فقالوا له «ألسّتَ أنت أيضاً من تلاميذه» «فانكرذاك وقال «لستُ أنا» ٢٦- قال واحد من عبيد رئيس الكهنة، وهو نسيب الذى قطع بطرس أذُنه «أما رايتكَ أنا معه فى البستان؟» ٢٧- فأنكر بطرس أيضاً. وللوقت صاح الديك.

(راجع مت٢٦:٧٢-٧٤ ومر١٤:٦٩-٧٢ ولو٢٢:٥٨-٦٠) وذكر الرسول يوحنا أن إنكار بطرس ليسوع – ثلاث مرات- كان فى أثناء محاكمة سيده أمام حنان وقيافا. وأما متى ومرقس فذكراه بعد نهاية المحاكمتين ليظل الكلام عن المحاكمة متصلاً.

٢٨- ثم جاءوا بيسوع من عند قيافا الى دار الولاية. وكان صُبح. ولم يدخلوا هم الى دار الولاية لكى لا يتنجسوا فيأكلون الفصح ٢٩- فخرج بيلاطس إليهم وقال «أية شكاية تُقدُّمون على هذا الانسان؟»».

«**دار الولاية**» التى جاءوا بيسوع إليها من عند قيافا هى دار بناها هيرودس الكبير، وكانت منزلاً للولاة الرومانيين فى أيام الأعياد. فكانوا إذا جاءوا إلى أورشليم ينزلون فيها. وكانت هذه الدار مجاورة للهيكل. أما مركز الولاية (العاصمة) فكان فى قيصرية (على شاطئ البحر المتوسط).

وكانت دار الولاية محسوبة من بيوت الأمم، لأن الولاة الرومانيين كانوا ينزلون فيها. ولذلك اعتبر البهود الدخول اليها ينجسهم، كلمس جثة الميت (لا٢٢:٤-٦)

وقوله «**ويأكلون الفصح**» ليس المقصود منه خروف الفصح، الذى نصت التوراة عليه، لأن ذلك قد أكله المسيح مع تلاميذه. فلو كان المخلص تقدم فى عمله قبل وقته لخالف الشريعة ولكان اليهود قد اتخذوا ذلك حُجةً قوية لقتله[١]. فالمقصود إذن بقوله «**فيأكلون الفصح**» ما يأكله اليهود فى أسبوع الفصح بأسره.

والمتأمل فى إمتناع اليهود عن دخول دار الولاية وحسبانهم الدخول إليها تنجيساً لأجسادهم يأخذ الانسان العجب كل مأخذ، إذا رآهم من الجهة الأخرى يُقدمُون على قتل المخلص البرئ!!.

(١) راجع متى ٢٦: ١٩-٢١، مرقص١٤: ١٢-١٧، لوقا٢٢: ٧-١٤

وحقاً قد صدَق فيهم قوله له المجد «يعشرون النعناع والشبث، ويتركون أثقل وصايا الناموس» فما هى النجاسة التى تلُحقهم من دخول بيت من بيوت الأمم إذا قورنت بقتل البرئ؟.

فلما رآهم بيلاطس امتنعوا من الدخول «خرج إليهم» فى الساحة التى أمام الدار المذكورة، وسألهم «**أية شكاية تُقدُّمون على هذا الانسان؟!**».

٣٠- أجابوه وقالوا له «لو لم يكن فاعل شر لما كنا قد سلّمناه إليك» ٣١- فقال لهم بيلاطس «خُذوه أنتم واحكموا عليه حسب ناموسكم». فقال اليهود «لا يجوز لنا أن نقتل أحداً».

«**أجابوا وقالوا له لو لم يكن فاعل شر، لما كنا قد سلَّمناه إليك**» فكأنهم قالوا «نحن لا نطلب أن نحاكمه أمامك، لأننا قد حاكمناه فوجدناه مُذنباً وكفى». وهذا الجواب يدل على أنهم لم يجدوا شكايةً يُقدمُّونها على يسوع. فاضطروا أن يلفوا فى الجواب.

فقال لهم بيلاطس «**خُذوه أنتم واحكمُوا عليه حسب ناموسكم**» أى إذا كُنتم لا تريدون أننى أفحص ما تشتكون به عليه، فأنا لا أقدر أن أحكم عليه بشىء. وبما أنكم حكمتم عليه فى مجلسكم بانه فاعل شر، فانفذوا الحكم حسب شريعتكم».

ويظهر للمَتأمَّل فى هذا الجواب أن بيلاطس، حَسَب شكوى اليهود على المسيح زوراً وبُهتاناً. فقالوا له «**لا يجوز لنا أن نقتل أحداً**» لأن الرومانيين كانوا قد انتزعوا من اليهود الحق فى قتل المذنبين.

وبذلك قد تمتَّ النبوة القائلة «لا يزول قضيب من يهوذا ومُشترع من بين رجلّيه، حتى يأتى شيلون، وله يكون خضوع شعوب» (تك٤٩:١٠) وإن قيل ولماذا قتل اليهود بعض الناس، مثل استفانوس على خلاف الشريعة الرومانية التى اعترفوا بخضوعهم لها؟ والجواب إنهم قتلوا بعض الناس فى ثورة عامة، لا بصفة قانونية. وبذلك كان قتله غير جائز قانوناً ويتطلب محاكمة قاتليه، لو كان هناك عدل.

٣٢- ليتم قول يسوع الذى قاله مشيراً الى أية ميتة كان مُزمعاً أن يموت. ٣٣- ثم دخل بيلاطس أيضاً الى دار الولاية، ودعا يسوع. وقال له «أنت ملك اليهود»؟

«ليتم قول يسوع» (الذى ورد فى مت٢٠:١٩ ويو٣:١٤و ٣٢:١٢و٣٣) وهو «**أنهم يسلمونه الى الامم. لكى يهزأوا به ويجلدوه ويصلبوه**» فلو قتل اليهود يسوع لقتلوه رجماً. فما كن يتم له أن يُجلد ويصلب. فأنفذ اليهود بتسليمهم يسوع لبيلاطس ما تكلم به المخلص «مُشيراً إلى أية ميتة كان مُزمعاً أن يموت».

ثم دخل بيلاطس الى دار الولاية، ودعا يسوع على انفراد، وسأله قائلاً «**أنت ملك اليهود**»؟ وهذا السؤال يدل على أن اليهود اتهموا يسوع بهذه التهمة (كما ورد فى لو٢٣:٢) حيث قالوا «وجدناه يُفسِد الامة ويمنع أن تُعطى الجزية لقيصر، قائلاً إنه مسيح ملك».

٣٤- أجابه يسوع «أمن ذاتِك تقول هذا؟ أم آخرون قالوا لك عنى؟» ٣٥- أجابه بيلاطس ألعلّى أنا يهودى؟ أمتك ورؤساء الكهنة أسلّموك الىّ. ماذا فعلّت؟»

ليس المقصود من سؤال يسوع لبيلاطس بقوله «**أَمن ذاتك تقول هذا. إلخ**» أنه لم يكن عالماً بمنْ اتهمه. بأنه يمنع أن تُعطى جزية لقيصر، وأنه يسعى أن يكون ملكاً. بل الغرض منه أن يُنبه ضميره.

فكأنه يقول «هل رأيت منى فى مدة حكمك شيئاً يجعلك تتهمنى بخيانة الدولة الرومانية؟ إنك بالطبع لم ترَ منى شيئاً من هذا القبيل. فلابُد أن الذين أخبروك به هم أعدائى، ولا يليق بك أيها الوالى أن تُصدَّق دعوى الأعداء، لأنها لو كانت صحيحة لكان يجب عليك ان تعرفها قبلهم».

فأجابه بيلاطس بقوله «**ألعلّىِ أنا يهودى؟ أُمتّك ورؤساء الكهنة أسلموُك الىَّ**» ومعناه إننى لم أرَ من أعمالك ما يُفهم إنك تميل الى العصيان أو مُقاومة الحكومة، بل الذين اشتكوا عليك هم بنو جنسك ورؤساء أُمتك، وأنا لستُ بيهودى، حتى أدعّي عليك تلك الدعوى، ولكن يجب أن تقول لى «ماذا فعلت»؟ حتى إتهّمتك أُمتك إنك تريد أن تكون مَلكاً»!

٣٦- أجاب يسوع «مملكتى ليست من هذا العالم. لو كانت مملكتى من هذا العالم لكان خُدَّامى يجاهدون لكى لا أُسلم الى اليهود. ولكن الآن ليست مملكتى من هنا» ٣٧- فقال بيلاطس: «أفأنت إذن ملك؟» أجاب يسوع «أنت تقول إنى ملك. لهذا قد وُلِدت أنا. ولهذا قد أتيتُ إلى العالم، لأشهد للحق. كل منْ هو من الحق يسمع صوتى».

كأن المسيح يقول «**إن مملكتى ليست مملكة أرضية**» المقصود منها مُقاومة قيصر أو غيره، بل مملكتى روحية أسُود بها على القلوب. «**ولو كانت مملكتى من هذا العالم لكان خُدامى يجاهدون لكى لا أُسلَّم الى اليهود**».

وأنت تعلم إننى لم آذِن لأحدٍ من تلاميذى أن يدافع عنى. وقلت للتلميذ الذى أرَاد الدفاع «**رُد سيفك الى غمده**» وشفيت أُذن العبد التى كانت قُطِعَت بسيف تلميذى ثم سلمت نفسى طوعا واختيارا».

فترى من كل هذا أنه «ليست مملكتى من هنا» وها أنا واقف أمامك موثوقا (بالحبال) للمُحاكمة.

«**فقال له بيلاطس أفأنت إذن ملك**» فإنك بقولك «مملكتى ليست من هذا العالم تُفَهمّنا إن لك مملكة، ولكنها ليست مثل الممالك التى ليست من هذا العالم؟».

«**أجاب يسوع أنت تقول إنى ملك**» لأننى حقا كذلك. فإنى أملك على المؤمنين بالايمان والنعمة. وأقودهم الى مملكة السماء «**ولهذا قد وُلِّدت، ولهذا قد أتيت الى العالم لأشهد للحق**» أي إننى لم آتِ لأقاوم أحداً من ملوك العالم، بل أتيتُ من السماء الى الأرض. لأشهد للحق الالهى، وأُعلنه للعالم. وقد أعلنتُ بأقوالى وأعمالى أننى الاله الحقيقى الواحد الذات والمثلث الأقانيم. وأن الانسان خاطىء وإن الله رحيم. وقد أعدّ الخلاص مجانا، بواسطة إبنه الوحيد.

«**فكل من هو من الحق يسمع صوتى**» أى منْ يُحب الحق ويكره الضلال، فيسمع صوتى ويُطيعنى، ويكون من رعيتى ومن مملكتى».

٣٨- قال بيلاطس «ما هو الحق؟» ولما قال هذا خرج أيضاً إلى اليهود وقال لهم «أنا لستُ اجد فيه علةً واحدةً. ٣٩- ولكم عادةً أن أطلق لكم واحداً فى الفصح أفتريدون أن أُطلق لكم ملك اليهود؟!» ٤٠- فصرخوا أيضاً جميعهم، قائلين «ليس هذا بل باراباس». وكان باراباس لصاً».

فسأل بيلاطس يسوع قائلا «ما هو الحق»؟ ولكنه لم ينتظر الجواب، بل ترك يسوع وخرج. وهذا يدل على أنه لم يقصد الوقوف على الحق. ولما خرج من دار الولاية قال لليهود «**أنا لستُ أجد فيه علّة واحدة ولكم عادة أن أطلق لكم واحداً فى عيد الفصح، أفتريدون أن أُطلق لكم ملك اليهود؟**»

فصرخوا أيضاً جميعهم قائلين «**ليس هذا، بل باراباس. وكان باراباس لصاً**» (مت٢٧:١٥-١٨ ومر١٥:٦-٨ ولو٢٦:٦-١٩).

الإصحاح التاسع عشر

١- فحينئذ أخذ بيلاطس يسوع وجَلَده ٢- وضفّر العسكر إكليلاً من شوك، ووضعوه على رأسه. وألبسُّوه ثوب أرجوان ٣- وكانوا يقولون «السلام ياملك اليهود» وكانوا يلطمونه ٤- فخرج بيلاطس أيضاً خارجاً. وقال لهم «ها أنا أخرجه إليكم لتعلموا إنى لستُ أجد فيه علةً واحدة».

(مت٢٨:٢٧ ومر١٥:١٦ ولو٢٣:١٦) وقد ذكر متى ومرقس الجلْد والحُكم بالصلب معاً، لأن فى الغالب أحدهما يستلزم الآخر. وقد فهمنا من رواية يوحنا أن **الجلد سبق الصلب** وهو الأمر الواقع، لأن الرومانيين كانوا يجلدون المحكوم عليهم بالصلب قبل ان يُنفذوا عليهم الحُكم بالقتل، ولأن بيلاطس كان يؤمل أنه بجلد يسوع يشفى غليل رؤساء اليهود فيطلبون إطلاقه بدليل قوله «**انا أودّبه وأطلقه**» (لو٢٣:١٦).

وقد ذكر يوحنا أن بيلاطس شهد ليسوع ثلاث مرات بقوله «**لستُ أجد فيه علةً واحدة**»الاولى فى ص١٨:٣٨ والثانية المذكورة هنا. والثالثة فى العدد السادس من هذا الاصحاح).

٥- فخرج يسوع خارجاً وهو حامل إكليل الشوك وثوب الإرجوان. فقال لهم بيلاطس «هوذا الإنسان» ٦- فلما رآه رؤساء الكهنة والُخدام صرخوا قائلين «أصلبه أصلبه». قال لهم بيلاطس خُذوه أنتم واصلبوه، لأنى لستُ أجد فيه علة» ٧- أجابه اليهود لنا ناموس، وحسب ناموسنا يجب أن يموت، لأنه جعل نفسه ابن الله. ٨- فلما سمع بيلاطس هذا القول إزداد خوفاً.

قول بيلاطس لليهود عن يسوع «هوذا الإنسان» معناه هذا هو الرجل الذى أتهمتموه بالخيانة. وسألتمونى قتله «وأكرر لكم. الآن أنه برئ. وها أنا قد جلدّته. وها هو لابس ثوب الأرجوان وعلى رأسه إكليل من شوك على سبيل الهُزء. أما يكفيكم ذلك؟».

فلما سمع رؤساء الكهنة والخُدَّام كلام بيلاطس ورأوا يسوع، صرخوا قائلين «**اصلبه، اصلبه**» فقال لهم بيلاطس «**خذوه أنتم واصلبوه، لأنى لست أجد فيه علة**» هذا يدل على أنه أغتاظ من اليهود، ولم يرد أن يشترك معهم فى خطيتهم بقتل البرئ.

«**فأجابه اليهود لنا ناموس وحسب ناموسنا يجب أن يموت، لأنه جعل نفسه ابن الله**» والمعنى بما أنك أيها الوالى تقول إنك لم تجد فيه علةً سياسية تستحق الموت فنحن نقول لك إنه توجد فيه علة دينية يستحق من أجلها حسب ناموسنا أن يُقتَل، لأنه «**جعل نفسه ابن الله**».

فلما سمع بيلاطس هذا القول أزداد خوفاً وسبب أزدياد خوفه أنه لما فهم من كلامهم أن يسوع أدعّى الألوهية. وكان قد سمع بمعجزاته، قال فى نفسه «ربما كان هذا إبن الله حقاً، فكيف أقتله وأعَّرض نفسى للإنتقام الإلهى؟».

٩- فدخل أيضاً إلى دار الولاية وقال ليسوع «من أين أنت؟» وأما يسوع فلم يُعطهِ جواباً ١٠- فقال له بيلاطس «أما تكلمنى؟ ألست تعلم إن لى سلطاناً أن أصلبك وسُلطاناً أن أطلقك؟» ١١- أجاب يسوعٍ «لم يكن لك علىَّ سلطان البتة، لو لم تكن قد أُعطيت من فوق. لذلك الذى أسلَّمنى إليك له خطية أعظم».

فعاد بيلاطس من خوفه إلى دار الولاية وقال ليسوع على أنفراد: «**مِن أين أنت**» هل أنت من السماء وأين الله كما يقولون؟ وأما يسوعٍ فلم يعطِه جواباً»، لأنه لم يرَ فائدة من الأجابة، إذ لو صرح له أنه حقاً ابن الله ماكان هذا كافياً لأن يجعله يسير فى طريق العدل (راجع إش٥٣) فقال له بيلاطس. «ألستَ تعلم إن لى سلطاناً أن اصلبك وسلطاناً أن أطلقك». فأجابَه يسوع بما معناه: إن لا سلطان لك علىَّ، كما أدعيَّت، لأنى برئ من كل ذنب، ومن كل شبه ذنب. وأنا واقف مُوثقاً أمامك لا رغماً عنى، بل بإرادتى واختيارى. وفى قدرتى أن أنجو لو أردّتُ. فسلطانك من الله الذى وهب لك هذه السلطنة. ولذلك ابحت لك الرضوخ، لوشايات اليهود، ومباشرة سلطانك.

وأعلم أن جريمتك فى حكمك علىَّ ظلماً، أخف من جُرم الذين أسلمونى إليك وهم اليهود، أو بالحرى مجلسهم السبعينى. فهم الجُناة الحقيقيون، وأنت يا بيلاطس لست سوى آلةٍ فى يدهم.

نعم إنه كان فى إمكانك أن تُطلقنى، ولكنك تخاف من الذين أسلَمُونِى. فجريمتك هى الجُبن، ولكن جهلك بحقيقتى، لأنك لم تعرف الكتب التى تشهد لى، كما يعرفها أولئك، جعل خطيتك أخف من خطيتهم (فالذى يعرف أكثر يُطالب بأكثر).

١٢- من هذا الوقت كان بيلاطس يطلب أن يُطلقه. ولكن اليهود كانوا يصرخون قائلين «إن أطلّقت هذا، فلسّتَ مُحِباً لقيصر. كل من يجعل نفسه ملكاً يقاوم قيصر».

١٣- فلما سمع بيلاطس هذا القول، أخرّج يسوع، وجلس على كرسى الولاية فى موضع يُقال له البلاط وبالعبرانية «جباثاً».

«**من هذا الوقت**» أى منذ سمع من اليهود أن يسوع هو «إبن الله». وذكره المسيح بخطيته، «كان بيلاطس يطلب أن يُطلقه» لأنه لم يرَ فيه أدنى علة تستحق الموت.

«ولكن اليهود كانوا يصرخون قائلين: «إن أطلقتَّ هذا فلسَّتَ مُحباً لقيَّصر». فكأنهم قالوا له «إنك إن لم تحكم على يسوع بالقتل، نشكوك إلى قيصر» ونقول له إنك خائن دولتك، لأنك مع علمك أن «كل من يجعل نفسه ملكاً يقاوم قيصر» وها هو يسوع قد قال إنه ملك فكيف تُطلقه؟!

«**فلما سمع بيلاطس**» من اليهود «هذا القول» **أى تهديدهم له بالشكوى لقيصر**، خاف «**وأخرج يسوع**» من دار الولاية «وجلس على كرسى الولاية، أى على الكرسى الذى أعتاد الحكام أن يجلسوا عليه وقت المحاكمة خاصةً.

ونستدل من قوله «**أخَّرج يسوع**» أن الكرسى كان فى الساحة أمام دار الولاية، لا داخلها. وكان «**فى موضع يقال له البلاط**» وسُمىَّ بذلك، لأنه كان مبلطاً بمرمر، مختلف الألوان، ويقال له «بالعبرانية جباثا» أى مكان مرتفع مثل المنبر.

١٤- وكان أستعداد الفصـح، ونحـو الساعة السادسة. فقال لليهود «هوذا ملككم».

أى ولما كان يوم الجمعة الذى يعدون فيه كافة ما يلزم من الأطعمة ليوم السبت (عيد الفصح) ونحو الساعة السادسة أى قرُب الظُهر، قال بيلاطس لليهود «**هوذا ملككم**» الذى تريدون أن أحكم عليه بالقتل، فقولوا لى ماذا تريدون؟ (راجع مت ٢٧: ٦٢ ومر ١٥:٢٥).

١٥- فصرخوا «خُذه خذه أصلبه» قال لهم بيلاطس «أأصلب ملككم؟» أجاب رؤساء الكهنة «ليس لنا ملك إلا قيصر».

ويظهر من قولهم «**خُذه خذه أصلُبه**» أنهم كلما كانوا يرون يسوع يزدادون حُنقا عليه «**فقال لهم بيلاطس أأصلب ملككم؟**» وكيف ترضون أن أقتل واحدا منكم، ذلك الذى حسبتموه ملكا؟ هل فقدتم تضامنكم الطائفى؟

فقالوا «**ليس لنا ملك إلا قيصر**» فشهدوا بذلك أنه قد ضاع المُلك، وتمت النبوّة الواردة فى (تك٤٩: ١٠) قالوا ذلك ليخُجلوا بيلاطس، لما أمتنع عن قتله.

ويقول يوسيفوس فى أخباره عن خراب أورشليم أنه من يوم عيد الفصح، الذى قالوا فيه «ليس لنا ملك إلا قيصر» وجحدوا بذلك المسيح، أهاج الله عليهم حرب الروم، فاجتمعوا من أقطار الأرض، وتحصنُّوا فى أورشليم فانتهى أمرهم على أقبح مُنتهى (تشتتوا فى كل العالم وتم تدمير الهيكل وقتل كثيرين).

١٦- فحينئذ أسلمه إليهم ليُصلب. فأخذوا يسوع ومضوا به ١٧- فخرج وهو حامل صليبه إلى الموضع الذى يقال له موضع الجمجمة. ويقال له بالعبرانية «جُلجثة». ١٨- حيث صلبوه وصلبوا إثنين آخرين معه، من هنا ومن هنا ويسوع فى الوسط. ١٩- وكتب بيلاطس عنواناً ووضعه على الصليب، وكان مكتوباً «يسوع الناصرى ملك اليهود».

(راجع مت٢٧: ٣١-٣٧ ومر ١٥: ٢٠-٢٦ ولو ١٣: ٢٦-٣٨) أما العنوان الذى كتبه بيلاطس ووضعه على الصليبْ فكان القصد منه تحقير اليهود وتذكيرّهم بأنهم أجبْروه على صلب ملكهم، وتبرئة نفسه من تُهمتهم، إنه خاين لدولته (روما).

٢٠- فقرأ هذا العنوان كثيرون من اليهود، لأن المكان الذى صُلب فيه يسوع كان قريباً من المدينة. وكان مكتوباً بالعبرانية واليونانية واللاتينية ٢١- فقال رؤساء كهنة اليهود لبيلاطس: «لا تكتب ملك اليهود، بل إن ذاك قال أنا ملك اليهود» ٢٢ ـ أجاب بيلاطس «ما كتبتُ قد كتَّبتُ».

وكان العنوان مكتوباً بثلاث لغات، وهى العبرانية أى لغة اليهود واليونانية وهى لغة الأمم الساكنين فى الأرض المقدسة، وسكان بلاد اليونان (الموجودين فى فلسطين من أيام الأسكندرالأكبر) ولغة علماء اليهود. واللاتينية وهى لغة الدولة الحاكمة، أى الدولة الرومانية.

ولما كان الموضع الذى صُلِب فيه المسيح قريباً من المدينة المقدسة، استطاع الكثيرون أن يأتوا لمشاهدة المصلوب، وقراءة العنوان، كلٍ باللغة التى يعرفها.

فأدرك رؤساء اليهود، أن بيلاطس قصد بقوله «ملك اليهود» تحقيرهم والهُزء بهم، فطلبوا منه أن يستبِّله بقوله «ذاك قال أنا ملك اليهود» فرفض بيلاطس طلبهم زيادة فى تحقيرهم.

٢٣- ثم إن العسكر لما كانوا قد صلبوا يسوع، أخذوا ثيابه، وجعلوها أربعة أقسام، لكل عسكرى قسماً. وأخذوا القميص أيضاً وكان القميص بغير خياطة منسوجاً كله من فوق ٢٤- فقال بعضهم لبعض «لا نشّقّه بل نقترع عليه لمن يكون؟» ليتم الكتاب القائل «اقتسموا ثيابى بينهم، وعلى لباسى ألقوا قرعةً». هذا فعله العسكر.

(مت٢٧:٣٥ ومر١٥:٢٤ ولو٢٣:٣٤) وقد تعلّمنا من رواية يوحنا الحبيب هذه أن ثياب مخلصنا كانت أربع قطع، سوى القميص، فأخذ كل عسكرى قطعة. ولم يقسموا القميص أربعة أقسام، بل اقترعوا عليه ليتم ما قيل (فى مز٢٢:١٨) وهو «**يقسمون ثيابى بينهم وعلى لباسى يقترعون**».

وقيل إنه لم يكن لثيابه قيمة ما ينافس فيه الجنود، ولكن لماَ شاهدوه من الآيات أخذوها على سبيل الشىء الذى يُتَبارك به، ويُستَعان به فى وقت الشدة.

وقيل إن قسمة ثيابه على أربعة أجزاء علامة على استنارة العالم ببشارته فى الأربعة أقطار العالم.

٢٥- وكانت واقفات عند صليب يسوع أمه واخت أمه مريم زوجة كلوبا ومريم المجدلية ٢٦- فلما رأى يسوع أمه والتلميذ الذى كان يحبه واقفاً قال لأمه «ياإمرأة هوذا إبنكِ» ٢٧- ثم قال للتلميذ «هوذا أمك». ومن تلك الساعة أخذها التلميذ الى خاصته.

كانت النساء اللواتى حضرن عند صليب يسوع ثلاث وهن أم يسوع أى أم النور مريم العذراء وأخت أمه التى قيل إنها سالومى أم يوحنا الانجيلى ويعقوب ابنّى زبدى. واستدل المفسرون على ذلك من كون يوحنا لم يذكر اسمها، كما أنه لم يذكر إسمه، وأما مريم زوجة كلوبا المسمى ايضاً حلفا (مت١٠:٣) فهى أم يعقوب ويوسى وسمعان ويهوذا، وهو نفس رأى الكنيسة القبطية، التى ترى إن

مريم زوجة كلوبا هى أخت العذراء مريم التى وُلِدت بعد دخولها الهيكل، وقد أوضح الكتاب أن يعقوب وإخوته هم إخوة يسوع (أبناء خالته بالجسد) ولهذا قال يوحنا **أمه وأخت أمه مريم زوجة كلوبا**».

وقد أظهَّرن بحضورهن شجاعةً لم يُظهرَّها أحد من التلاميذ، سوى: «**التلميذ الذى كان يسوع يُحّبه**» (وهو يوحنا الإنجيلى) فإنه كان حاضراً معهن، ولم يخفْ من إهانة اليهود، ولا من قساوة الرومانيين.

«ولما رأى يسوع أمه والتلميذ الذى كان يحبه واقفاً، قال لأمه «**يا إمرأة هوذا إبنكِ**» والمُرَاد أنه يكون لها بمنزلة إبنها كى يعتنى بها، ويقوم بحاجتها.

«**ثم قال للتلميذ هوذا أمك**» أى فيجب أن تعتنى بها وتكرّمها متعتبراً إياها بمنزلة أمك «**ومن تلك الساعة أخذها التلميذ (يوحنا) إلى خاصته**» أى إلى بيته.

ومن هنا يتضح أن يوسف (النجار) خطيبها كان قد توفى، لأنه لو كان حياً لما أخذها يوحنا الى بيته. ويقول يوحنا فم الذهب إن وصاية المسيح ليوحنا بأمه تدل على شجاعته، وقلة فكرِّه بآلامه، وعدم مبالاته مما كان فيه من تعب، وأنه بإرادته صُلِب.

٢٨- بعد هذا رأى يسوع أن كل شىء قد كَمُل، فلكى يتم الكتاب قال «أنا عطشان» ٢٩- وكان إناء موضوعاً مملوءاً خلاً. فملأوا إسفنجة من الخل ووضعوها على زُوُفا وقدموها الى فمه ٣٠- فلما أخذ يسوع الخل قال «قد أُكمِل»، ونكَّس رأسه وأسلَّم الروح.

(راجع مت٢٧:٣٤-٥٠ ومر١٥:٣٣-٥١ ولو٢٣:٤٤-٥١) وقوله «**نكسَّ رأسه**» يدل على أن المسيح قد مات حقاً، لأن من نتائج الموت الطبيعية أن العضلات ترّتخى، ولا يقدر أى عضو من الأعضاء أن يكون مُنتصباً. أى لا يقدر أن يسند نفسه.

وقوله «**أسلَّم الروح**»، يدل على أنه مات باختياره، وأنه أسلم روحه فى يدّى أبيه. ولم يذكر يوحنا الظلمة التى كانت من الساعة السادسة الى الساعة التاسعة ولا الزلزلة ولا انشقاق الحجاب، لأنها كانت مذكورة فى الأناجيل الأخرى.

٣١- ثم إذ كان استعداد فلكى لا تبقّى الأجساد على الصليب فى السبت، لأن يومِ ذلك السبت كان عظيماً، سأل اليهود بيلاطس أن تُكسر سيقانهم ويُرفعوا ٣٢- فأتى العسكر. وكسُروا ساقــيّ الأول، والآخر المصلوب معه ٣٣- وأما يسوع فلما جاؤا إليه لم يكسروا ساقّيه لأنهم رأوه وقد مات ٣٤- لكن واحداً من العسكر طعن جنبه بحربة. وللوقت خرج دم وماء ٣٥- والذى عاين شهد وشهادته حق، وهو يعلم أنه يقول الحق «لتؤمنوا أنتم».

(راجع مر١٥:٤٢) أما خروج الدم والماء من جنب يسوع عندما طعنه العسكرى، فدليل على أنه مات حقاً، لان إنحلال الدم دليل قاطع على حصول الموت. وكان ما فعله العسكرى دافعاً لكل شك فى حقيقة موت المسيح ثم فى حقيقة قيامته.

وقال القديس البابا كيرلص الاسكندرى أن الماء يُشار به الى المعمودية، والدم يُشار به الى الافخارستيا.

وقيل إن كُلاً من الدم والماء خرج متميزاً عن الآخر. وهذا لا يمكن ان يكون بقوة الطبيعة، لأن الدم يتجمد فى أجساد الموتى. فلا يسيل، كما يعلم الأطباء، والاختبار العملى فى الحياة.

«**والذى عاين**» (وهو يوحنا كاتب هذه البشارة). وقد تكلم عن نفسه بضمير الغائب احتشاماً «**شهد وشهادته حق**».

«**وهو يعلم أنه يقول الحق لتؤمنوا**» إن عظماً من عظام المسيح لم يُكسر، وأن العسكرى طعن جنبه فخرج دم وماء، وأنه مات حقاً، كفارةً عن الخُطَاة، وأنه بالتالى قام حقاً وأنه قد تمت بموته وقيامته كل النبوات، بأنه المسيح المنتظر.

٣٦- لأن هـذا كـان ليتم الكتاب القـائـل «عظـم مِـن عظـامـه لا يُكسـر منه» ٣٧- وأيضاً يقـول كتـاب آخـر «سينظـرون إلـى الـذى طـعنـوه».

ورد فى سفر الخروج (ص١٢:٤٦) أن خروف الفصح لا يُكسر عظم منه. ولما كان ذلك الخروف رمزاً الى المسيح، وجَبَ أن ما صَدَق على الرمز يَصدُق على المرموز اليه. وقد تم ذلك بالتدبير الإلهى.

فإن العسكر كسروا سيقان اللصين «**وأما يسوع فلما جاءوا إليه لم يكسروا ساقيّه، لأنهم رأوه قد مات**». فتم بذلك القول المذكور هو أن لا ينكسر عظم من عظامه.

وورد أيضاً فى (زك١٢:١٠) «**سينظرون الى الذى طعنوه**». فتمت هذه النبوة أيضا بطعن العسكرى جنب يسوع. فخرج دم وماء. فإن الجميع سينظرون الى جنب المسيح المجروح، فيتوب البعض عن خطيته، وينوح الآخر أيضاً فى يوم الدين.

٣٨- ثم أن يوسف الذى من الرامة، وهو تلميذ يسوع، ولكن خفيّةً، لسبب الخوف من اليهود، سأل بيلاطس أن يأخذ جسد يسوع. فأذن بيلاطس. فجاء وأخذ جسد يسوع ٣٩- وجاء أيضاً نيقوديموس الذَى أتى أولاً الى يسوع ليلاً، وهو حامل مزيج مُرُ وعود نحو مئة مناً ٤٠- فأخذوا جسد يسوع، ولفاّه بأكفان مع الأطياب، كما لليهود عادة أن يُكفنُوا ٤١- وكان فى الموضع الذى صُلب فيه بستان، وفى البستان قبر جديد لم يوضع فيه أحد قط ٤٢- فهناك وضَعَا يسوع، لسبب استعداد اليهود (للعيد) لأن القبر كان قريباً.

(راجع مت٦:٥٧-٦١ ومر١٥:٤٢-٤٧) وزاد يوحنا فى روايته إن نيقوديموس (الذى ورد ذكره فى ص٣:١) شارك يوسف الرامى فى دفن المسيح وأن الأطياب كانت مئة مناً (أو ما يقرب نحو ٣٩ كيلو جراماً) وأن القبر كان قريبا ليفرغوا من دفنه قبل المغرب. وأنه لسبب استعداد اليهود ليوم السبت الذى يبتدىء من غروب يوم الجمعة تماما. اضطروا أن يْسرعوا بدفن يسوع، لأنه لا يجوز بعد غروب اليوم المذكور أن يعملوا عملا، أو يدفنوا ميتا، لأن الوقت الذى يلى الساعة الثانية عشرة (٦مساء) يُحسب أول السبت فى التوقيت اليهودى.

وقد اقتدى المسيحيون بدفن المسيح فى وضع الطيب والحنوط على موتاهم، وقد أخذوا هذه العادة عن اليهود، واليهود عن المصريين القُدَماء.

الإصحاح العشرون

١- وفى أول الاسبوع، جاءت مريم المجدلية الى القبر باكراً والظلام باقٍ، فنظرت الحجر مرفوعاً عن القبر ٢- فركضت وجاءت الى سمعان بطرس وإلى التلميذ الآخر الذى كان يسوع يحبه، وقالت لهما «أخذوا السيد من القبر ولسنا نعلم أين وضعوه» ٣- فخرج بطرس والتلميذ الآخر وأتيا الى القبر.

«**وفى أول الاسبوع**» وهو يوم الأحد «جاءت مريم المجدلية» وتبعتها عن قُرب مريم أم يوسى (زوجة كلوبا) وسالومى ويونا ونساء أخريات من الجليل. ولذا قال متى ومرقس ولوقا إنهن جئن معها.

وكان مجيئها الى القبر «**باكراً والظلام باقٍ**». وأما مجئ النساء الأخريات اللواتى جئن بعدها، فكان «إذا طلعت الشمس»، كما ذكره مرقسَ.

ولما جاءت مريم المجدلية «نظرت الحجر مرفوعاً عن القبر» وكذلك النساء الأخريات - لما لحقّنَ بها ـ وجَّدنه أيضاً مرفوعاً «فركضت» مريم المجدلية «وجاءت مسرعة الى سمعان بطرس» لكونه أكبر التلاميذ سناً «والى التلميذ الآخر الذى كان يسوع يحبه» اى يوحنا الانجيلى، لكون أم يسوع فى بيته.

فأرادت إخباره أولاً لكى يبلغ الخبر لأم يسوع أيضاً «وقالت لهما» (لسمعان ويوحنا) «**أخذوا السيد من القبر، ولسنا نعلم أين وضعوه**».

فلم تفهم أن يسوع قد قام. وقولها «لسنا» بضمير الجمع دليل على أنها لم تأتِ وحدها الى القبر«**فخرج بطرس والتلميذ الآخر**» وهو يوحنا «**وأتيا الى القبر**» وهما يركضان أى يُسرَعان (كما قال لوقا ص٢٤:١٢) وكما أوضح يوحنا فى العدد الآتى:

٤- وكـــان الإثنـــان يركضان معاً. فسبق التلميذ الآخر بطرس، وجاء أولاً إلى القبر. ٥- وانحنى فنظر الأكفان موضوعة، ولكنه لم يدخل.

«**وسبق التلميذ الآخر بطرس**» أى سبق يوحنا بطرس لأنه كان أصغر منه سناً. فهو إذاً أخف منه جسماً وأقدّر على الركض. وقيل سبَقَه لانه كان أشد رغبة فى أن يرى جسد يسوع.

«**وجاء أولاً الى القبر، وانحنى فنظر الاكفان موضوعة، لكنه لم يدخل**»، بل انتظر حتى يأتى بطرس.

٦- ثم جاء سمعان بطرس يتبعه، ودخل القبر، ونظر الأكفان موضوعة ٧- والمنديل الذى على رأسه ليس موضوعاً مع الأكفان، بل ملفوفاً فى موضع وحده. ٨- فحينئذ دخل أيضاً التلميذ الآخر، الذى جاء أولاً الى القبر، ورأى فآمن ٩- لأنهم لم يكونوا بعد يعرفون الكتاب أنه ينبغى أن يقوم من الأموات ١٠- فمضى التلميذان أيضاً الى موضعهما.

«**ثم جاء سمعان بطرس يتبعه ودخل القبر**» قبل يوحنا. «ونظر الأكفان موضوعة» فى جانب ورأى أن «**المنديل الذى كان على رأسه**» اى على رأس المسيح «ليس موضوعاً مع الاكفان، بل ملفوفاً فى موضع وحده»، بكل نظام وترتيب.

وهذا يدل على أن جسد يسوع لم يُسَّرق، لأنه لو سُرق لكان اللصوص أخذوا الأكفان ايضاً. ولو كانوا تركوها ما كانوا يجعلونها بالترتيب وكمال النظام، بل كانوا يتركونها مبعثرة كيفما أتفَّق. وترك المسيح الأكفان ليُعلَّمنا أن الاجساد فى القيامة لا تحتاج الى ثياب إذ يُستعاض عنهما بثوب البّر، الذى لا يفسد ولا يّبلى.

«فحينئذ» أى بعد أن دخل بطرس «**دخل ايضاً التلميذ الآخر**» (يوحنا) الذى جاء أولاً الى القبر» مقتدياً ببطرس.

«**ورأى فآمن**» بأن المسيح قد قام حقاً «**لأنهم لم يكونوا بعد يعرفون الكتاب أنه ينبغى أن يقوم من الأموات**». أى أن الرُسل جميعهم بما فيهم بطرس (ماعدا يوحنا الذى آمن) كانوا يجهلون معنى النبوات المتعلقة بموت المسيح وقيامته. وجهلهم هذا كان سبباً فى عدم فهمهم لكلام المسيح بشأن قيامته فى اليوم الثالث.

وأن علم الرُسل كان ـ قبل قيامة السيد ـ ناقصاً. وبعد قيامته أخذوا يتدرَّجون فى المعرفة شيئاً فشيئاً، الى يوم الخمسين. وحينئذ علَّمهم الروح القدس كل شىء، وذكرّهم بكل شىء. وبعد ان شاهد التلميذان القبر مفتوحاً والجسد غير موجود، عادا «**أيضاً الى موضعهما**» اى الى محل اقامتهما مع باقى الرسل فى «**عُلّية صهيون**» (بيت مار مرقس الرسول فى جنوب القدس).

١١- أما مريم فكانت واقفة عند القبر خارجاً تبكى. وفيما هى تبكى إنحنت الى القبر ١٢- فنظرت ملاكين بثيابٍ بيض، جالسّين واحداً عند الرأس والآخر عند الرجلين، حيث كان جسد يسوع موضوعاً ١٣- فقالا لها «يا إمرأة لماذا تبكين؟» قالت لهما «إنهم أخذوا سيدى، و لسُت أعلم أين وضعوه؟».

«**أما مريم**» المجدلية فرجعت بعدها، بعدما أخبرت بطرس ويوحنا «وكانت واقفة عند القبر خارجاً» ومن فرط حبها كانت «تبكى» لأنها لم تجد جسد يسوع «**وفيما هى تبكى انحنّت الى القبر**» متفرَّسة فيه، لعلّها تجد ما يرشدها الى معرفة مكانه.

وبينما هى كذلك إلتفتَّت. فنظرت ملاكين «**بثياب بيض**» علامة البهجة التى تحصل لطبيعتنا بقوة المسيح فى القيامة «جالسين واحداً عند الرأس والآخر عند الرجلين، حين كان جسد يسوع موضوعاً. فقالا لها «**يا إمرأة لماذا تبكين؟**» مع إنه ليس وقت البكاء بل وقت السرور والبهجة لقيامته. فأجابت مريم و «**قالت إنهم أخذوا سيدى، ولست أعلم أين وضعوه؟**» ومن جوابها يُستدل أن القيامة لم تخطر على بالها قط.

١٤- ولما قالت هذا التفتَّت الى الوراء، فنظرت يسوع واقفاً. ولـم تعلـم أنه يسـوع ١٥- قال لها يسوع «يا إمرأة لماذا تبكين؟ منْ تطلبين»؟ فظننت تلك أنه البُستانى، فقالت له «يا سيد إن كنتَ أنت قد حملّتهُ، فقـل لى أيـن وضعته، وأنا آخـذه»؟ ١٦- قال لها يسـوع «يا مـريم» فالتفتَّت تلـك وقالـت له «ربونـى» الـذى تفسـيره يا مُعلم.

ويظهر أنه بينما كانت المجدلية تتكلم مع الملاكين ظهر المسيح من ورائها فقدم له الملاكين إشارات الاحترام والتوقير. أو أنها رأت ظله «**فألتفتت مريم الى الوراء**» لترى منْ يكرمه الملاكان أو صاحب الظل؟.

«**فنظرت يسوع واقفاً ولم تعلم أنه يسوع**» لأنه أظهّر نفسه بهيئة البستانى، أو أن عينيّها أُمسِكتَا عن معرفته، كما أُمسِكت أعين المسافرين الى عمواس فى آخر ذلك النهار (لو ٢٤:١٦) أم العلة التى من أجلها لم يُظهر يسوع نفسه من أول الأمر، فهى لئلا تظنه خيالا. فاستدرجها شيئا فشيئاً الى معرفته. ولذا قال لها يسوع «**لماذا تبكين؟ منْ تطلبين؟**».

كأنه يقول لها أنتِ مخطئة فى بكائكِ. والذى أوقعكِ فى الخطأ هو نسيانكِ ما أنبأتكم به. وهو إننى فى اليوم الثالث أقوم. إنكِ «تطلبين الحى من بين الأموات» وكيف يمكث الحى بين الموتي؟.

«**فظنت تلك أنه البستانى**» لأنها وجدته فى البستان. ولا أحد يسكن هناك إلا البستانى. ولذا خاطبته قائلةً: «**ياسيد، إن كُنّتَ أنتَ قد حمّلته**» أى نقلته من مكانه فى القبر، إلى مكان آخر.

ويسأل المفسرون لماذا لم تذكر مريم إسم يسوع فى مخاطبتها منْ ظنته البستانى، بل أشارت اليه بضمير الغائب بقولها «**إن كنتَ حملته، فقل لى أين وضعته**»؟. والجواب أن من عادة المحبين المشغفين انهم يظنون كل الناس فيما يفكرون فيه. وبما أنها كانت لا تفكر إلا فى يسوع، فحسبت أن من ظنته البستانى لا يُفكر أيضا إلا فى يسوع.

حينئذ «**قال لها يسوع يا مريم**».. ليشعرها بنفسه ويسنأنسها بصوته الجميل الذى طالما سمعته خلال إلقاء التعاليم المُحيية. «فالتفتّت» بعد أن كانت مُطرِقة من الحزن وفرحت من سماع صوته وقد عرفته، ونادت قائلة له «ربونى» أى «يا سيدى. **هاأنذا تلميذتك أحيّنى بحياتك**».

١٧- قال لها يسوع «لا تلمسينى لأنـى لم أصعد بعد إلى أبى، ولكن اذهبى الى إخوتى وقولى لهم إنى أصعد الى أبى وأبيكم وإلهى وإلهكم» ١٨- فجاءت مريم المجدلية وأخبرت التلاميذ أنها رأت الرب، وأنه قال لها هذا.

قالت ذلك وتقدمت لتُمسّك بقدميه، كى تسجد له. فقال لها «**لا تلمسّينى**» أى لا تُعوّقى بأن تمسكى بقدميّ، وتُكثرى من تقبيلهما، متوهمةً أن هذه هى الفرصة الوحيدة، التى تُريننى فيها «**لأنى لم أصعد بعد الى أبى**» اى لستُ بصاعداً سريعاً الى أبى، بل سأبقَّى معكم أربعين يوماً.

ولذلك أقول لكِ «**اذهبى الى إخوتى**» أى تلاميذى. وسماهم إخوته إظهاراً لمحبته إياهم، لأنه اشترك معهم فى اللحم والدم، ولأنه أنعَّم عليهم بالميلاد الثانى من فوق، الذى من أجله صاروا أبناء الله، وبه يقولون له تعالى «أبانا الذى فى السموت».

«**وقولى لهم إنى أصعد الى أبى**» «**بالطبيعة**» وأبيكم «بالنعمة والموهبة» ووسائط النعمة والتبنيّ الذى به تقولون له تعالى «أبانا» ولأنه خالقكم الذى به تحيون وتتحرّكون.

«**والهى**» لأننى اتضعّتُ وصرّتُ ابن الانسان لخلاص البشر، فجعلت نفسى مثلكم فى كل شيء، ماعداالخطية، حتى صيرتكم مثلى. «**وإلهكُم**» الذى خلقكم وله ولى تجب العبادة. فأطلعت المجدلية على أمر السيد وذهبت «**وأخبرت التلاميذ انها رأت الرب وأنه قال لها هذا**». فكانت أول رسول بشرَّ الرسل بقيامة المسيح.

١٩- ولما كانت عشية ذلك اليوم، وهو أول الأسبوع، وكانت الابواب مُغلَّقة، حيث كان التلاميذ مجتمعين لسبب الخوف من اليهود، جاء يسوع ووقف فى الوسط وقال لهم «سلام لكم» ٢٠- ولما قال هذا أراهم يديه وجنبه. ففرح التلاميذ إذ رأوا الرب.

«**ولما كانت عشية ذلك اليوم**» أى الأحد الذى قام فيه المسيح، «وكانت الأبواب مُغلَّقة، حيث كان التلاميذ مجتمعين (فى العلية) لسبب الخوف من اليهود» فغلّقوا الأبواب، خائفين أن يُعاملهم اليهود كما عاملوا سيدهم، وأن يُهيجُوا عليهم الحكام، فيلقوا القبض عليهم ويحاكموهم على التهمة التى وجهها إليهم اليهود اذ قالوا «سرقة تلاميذه ليلاً».

فإلى ذلك المكان المغلق «**جاء يسوع**» فدخل اليهم بغتة دون أن تُفتَح الابواب إظهاراً لقوته الإلهية «**وقف فى الوسط وقال لهم سلام لكم**» ليُسكِّن بالهم ويُهدِّىء روعهم، لأنهم انزعجوا عندما رأوه بغتة وسطهم من دون أن تفُتح الأبواب. وليبين إنه هو الذى قال لهم قبلاً «**سلامى أعطيكم**».

ثم لكى يُبيَّن لهم أنه هو يسوع الذى تألم ومات على الصليب وأنه حقاً «**أراهم يديه وجنبه**» ورجليه أيضاً، كما روى القديس لوقا، فأكد لهم قيامته وأزال عنهم الشكوك والظنون، وأعلمهم أن الجسم الذى يموت هو الذى سيقوم، ولكنه يكون روحانياً، بأن يكون غير محتاج لشئ مادى ولا مُتغّير، بل يكون نقياً كالملائكة.

ويظهر من هذا أن المسيح أبقَّى فى جسده ـ بعد قيامته ـ آثار جروحه، علامةً وبرهاناً على حقيقة جسده، ودليل على قيامته.

«**ففرح التلاميذ اذ رأوا الرب**» إذ تحققوا من مشاهدتهم الجروح أنه هو يسوع نفسه، وأنه ليس بروح. وقد أنجز المسيح بذلك وعده، بقوله قبل الصلب «**سأراكم ايضاً فتفرح قلوبكم**» (ص١٦:٢٢).

٢١- فقال لهم يسوع أيضاً «سلام لكم. كما أرسلنى الآب أرسلكم أنا» ٢٢- ولما قال هذا نفَخ وقال لهم «اقبلوا الروح القدس ٢٣- منْ غفرتم خطاياه تُغفر له ومن أمسكتم خطاياه أُمسِكَت».

ثم كرر المسيح التحية وقال أيضاً لهم «سلام لكم» ليُزيد الأمر تأكيداً. ثم قال «**كما أرسلنى الآب أرسلكم أنا**» أى إننى بمثل السلطان الذى أرسلنى به الآب، لإقامة الكنيسة وتدبيرها، أرسلكم أنا لتكونوا سُفرائى وشُركائى فى المناداة ببشرَى الخلاص، وتكونوا مُدبِّرِى الكنيسة ومُعلمّيها.

وبعد أن قلدهم هذا السلطان ألبسهم قوة ليقتدروا على ذلك، وعلى الصبر فى الشدائد.

إذ «نفخ». كما نفخ فى أنف آدم، فإعطاه الحياة. هكذا نفخ فى أوجه التلاميذ، فوهبهم الحياة الروحية «**وقال لهم اقبلوا الروح القدس**»، حتى إنكم بقوته وتأثيره كل «**منْ غفرتم خطاياه تُغفر له**»، بشرط أن يتوب عن خطاياه، ويتركها ولا يعود اليها.

«**ومنْ أمسكتم خطاياه أُمسِكت**» إذا أصّر عليها ولم يُرِد ان يرجع الى الله تعالى القادر أن يمحو خطاياه. فلو كانت كالجبال فهو قادر أن يذيبها كالشمع، وإن كانت حمراء كالدودى تبيَّض بقدرته مثل الثلج. وبما أن غُفرَّان الخطايا ومسكّها من أفعال الإله. فالرسل محتاجون الى قوة

الروح القدس وتأثيره لإجرائهما. ولا يُفهم من قوله «أقبلوا الروح القدس» أن التلاميذ لم ينالوا قبلاً شيئاً من تأثير الروح القدس.

فمن المعلوم أنهم أبرار، ومقدسون وقبلوا الروح القدس للإيمان بالمسيح. وعند تناول الافخارستيا، وسوف تحل عليهم مواهبه بالتمام فى البنديكُستى (يوم الخمسين) فالمقصود إذن هنا من قوله «**اقبلوا الروح**» اقبلوا منه القوة التى لم تكونوا قد نلتموها الى اليوم، وهى السلطان على غفران الخطايا ومسكها.

٢٤- أما توما واحد من الإثنى عشر، الذى يُقال له التوأم، فلم يكن معهم حين جاء يســوع ٢٥- فقال له التلاميذ الآخرون «قد رأينا الرب». فقال لهم «إن لم أبُصِر فى يديه أثر المسامير وأضع أصبعى فى أثر المسامـيـر، وأضع يدى فى جنَّبه لا أؤمـن».

أما توما واحد من الاثنى عشر رسولاً، فلم يكن معهم، حين جاء يسوع للعُلِّية أول مرة كما رأينا فى الفصل السابق، إذ دخل والأبواب مُغلّقة. وبعد انصراف المخلص حضر توما «فقال له التلاميذ الآخرون» العشرة «**قد رأينا الرب**» بعيوننا وأرانا آثار جروحه وأعطانا سُلطان غفران الخطايا وإمساكها.

«**فقال لهم توما إن لم أبُصر فى يديه أثر المسامير الخ.**».

ومن هذا الكلام ومما قاله (فى ص١١:١٦) نفهم أن هذا التلميذ كان يميل للشك ويتوهم إن عنده من قوة التمييز ما بين الحق والباطل ما ليس عند غيره من التلاميذ، وعلى استخفافه بشهادة التلاميذ، وصدقهم. بل على عدم ايمانه بقول المخلص «إنه يقوم بعد ثلاثة أيام».

٢٦- وبعد ثمانية أيام كان تلاميذه أيضاً داخلاً وتوما معهم. فجاء يسوع والأبواب مغلقة ووقف فى الوسط وقال «سلام لكم» ٢٧- ثم قال لتوما «هات أصبعك الى هنا وأبصر يدىَّ. وهات يدك وضعها فى جنبى، ولا تكن غير مؤمن، بل مؤمناً» ٢٨- أجاب توما وقال له «ربى وإلهى» ٢٩- قال له يسوع، لأنك رأيتنى ياتوما آمنت، طوبى للذين آمنوا ولم يروا».

«وبعد ثمانية ايام» من يوم أَحد القيامة، أى يوم الأحد الثانى «**كان تلاميذه أيضاً داخلاً وتوما معهم**» ولابُد أنهم كانوا فى العلية (بيت مارمرقس) حيث صنع يسوع العشاء السرى بأورشليم، وحيث كانوا مجتمعين فى الأحد الماضى، الذى قام فيه المُخلّص.

«**فجاء يسوع والأبواب مُغلّقة**»، كما كانت فى الأحد السابق. ووقف فى الوسط، من دون أن يشعروا بكيفية دخوله «**وقال سلام لكم**» أنتم جميعكم بما فيكم توما الذى شك.

«**ثم قال لتوما هات أصبعك الى هنا وأبصر يدىّ، وهات يدك وضّعها فى جنبى**» كأنه يقول إننى قد علمت وأنا علاّم الغيوب، أنك قد إرتبّت وضَعُف إيمانك، وقلت لإخوتك إنك إن لم تُبصر فى يديَّ أثر المسامير، وفى جنبى أثر الحربة لا تؤمن. فهات أُصبعك وأبصر يديّ وهات يدك وضعها فى جنبى، فها هى الجروح لم تزل آثارها باقية، وها الجرح الذى فى جنبى إنظر كيف أنه واسع. حتى يسع يدك.

ولابُد أن توما لحقه الخجل عندما تأكد بالجس آثار الجروح. وعند ذلك قال له يسوع «**ولا تكن غير مؤمن بل مؤمناً**». ولا تترك نفسك تميل الى الشكوك. أنت طلبَتَ أن تسلُك بالعيان لا بالايمان، وإنى شفقةَ عليك، قد أجبْتك الى طلبك وأريتك آثار الجروح، فإياك ان تطلب بعد ذلك شهادة حواسك، بل اسلُك على الدوام بالايمان لا بالعيان.

وحينئذ قال توما للمسيح «**ربى وإلهى**» أى إننى أُقرّ وأعترَف أنك ربى وإلهى، وأنك الكلمة الازلى «وكان الكلمة الله» وأؤمن أن لاهوتك أقام ناسوتك وانه لم يفارقه طرفة عين فقال له يسوع «**لأنك رأيتنى يا توما آمنت**» فإنك لو لم ترَ آثار جروحى وتلمس جنبى ما كنتَ تؤمن فلم تقتنع الا بشهادة حواسك.

«**فطوبى للذين آمنوا ولم يروا**» أى أن الطوبى الأعظم والمجد الأوفر للذين يؤمنون بى، مع أنهم لم يرونى ولم يُبصروا جروحى. فإن أولئك يكون إيمانهم أكثر استحقاقاً، وأعظم غبطةً. وأصحابه مستحقون المدح الإلهى، أكثر بكثير من الذى لا يُسلِّم إلا بشهادة حواسه، بل إن الذى يطلب اليوم شهادة حواسه لا يمكن أن يكون مؤمناً.

٣٠- «وآيات أُخر كثيرة صنع يسوع قدام تلاميذه لم تُكتب فى هذا الكتاب
٣١- وأما هذه فقد كُتبت لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله، ولكى تكون لكم إذا آمنتم حياةً باسمه».

كأن يوحنا الانجيلى يقول «لا تظنوا أنه ظهر إن يسوع صنع فقط العجائب التى ذكرّتها فى هذه البشارة. ولا تظنوا أنه ظهر فقط ثلاث مرات، كما ذكرت، بل اعلموا أنه صنع قبل صلبوته من العجائب ما لا يُحصَّى، وبعد قيامته ظهر لتلاميذه مرات عديدة، ذكرَّها البشيرون الآخرون، فراجعوها هناك (فى أناجيلهم).

إننى لم اقصد من ذِكر ما دونتّه بهذه البشارة أن أسجل تاريخ المسيح بالكامل، بل اقتصَّرت على بعض معجزاته ومحاوراته وتعاليمه ومواعظه، وظهوراته بعد قيامته، إظهاراً لمجده، وتقوّية لإيمان المؤمنين، وتوطيداً له. وذلك الإيمان أساسه الجوهرى: «**إن يسوع هو المسيح ابن الله وكونه مصدر الحياة الروحية**».

✞ ✞ ✞

الإصحاح الحادى والعشرون

١- بعد هذا أظهر يسوع نفَسه للتلاميذ على بحر طبّرية. ظهر هكذا: ٢- كان سمعان بطرس وتوما الذى يقال له التؤام ونثنائيل الذى من قانا الجليل وابنا زبدى وإثنان آخران من تلاميذه مع بعضهم ٣- قال لهم سمعان «أنا أذهب لأتصيّد». قالوا له «نذهب معك». فخرجوا ودخلوا السفينة للوقت. وفى تلك الليلة لم يُمسكوا شيئاً ٤- ولما كان الصُبح وقف يسوع على الشاطىء ولكن التلاميذ لم يكونوا يعلمون أنه يسوع ٥- فقال لهم يسوع «يا غُلّمان العَل عندكم إداماً؟» أجابوه «لا» ٦- فقال لهم ألقوا الشبكة الى جانب السفينة الأيمن فتجدوا». فألقوا ولم يعودوا يقدرون أن يجذبوها من كثرة السمك.

«بعد هذا» اى بعد الحوادث التى ذُكرت فى الاصحاح السابق، «**أظهّر أيضاً يسوع نفسه للتلاميذ**» إذ كان فى قُدرته الظهور، وحيث أرادوا الاختفاء حيث أراد: «**على بحر طبرية أوبحر الجليل أو بحر جنيسارت**».

فكان ظهوره لهم هذه المرة هكذا: أنه بينما «كان سمعان بطرس وتوما الذى يُقال التوأم ونثنائيل الذى من قانا الجليل، وإبنا زبدى وإثنان آخران من التلاميذ مع بعضهم» وعلة اجتماع هؤلاء السبعة معاً فى الجليل، هو أمر الملاك لهم أن يذهبوا الى هناك (كما يتضح من مت٢٨:٧) ولأنه وطن أغلب التلاميذ. وهناك استعدوا للإجتماع على الجبل قرب أورشليم (وهو الاجتماع الذى ذكره متى٢٨:١٦) وقال بولس الرسول (فى١كو١٥:٦) أنه حضره أكثر من خمسمائة أخ.

وبينما الرسل السبعة مجتمعون على بحر طبرية «**قال لهم سمعان بطرس أنا أذهب لأتصيَّد**» **فهل تذهبون معى، لنْعدَّ مانحتاج اليه حتى يأتى المسيح الينا حسب وعده**» فقالوا له «**نذهب نحن أيضاً معك**» لنشغل الوقت فى الصيد بدل البطالة.

«فخرجوا ودخلوا السفينة للوقت. **وفى تلك الليلة لم يُمسكوا شيئاً**». وكان ذلك بالتدبير الالهى. حتى تكون المعجزة فى صيد السمك نهاراً أعظم، لأن الليل أنسب من النهار للصيد، لفرار السمك نهاراً من نظر الناس وأصواتهم.

«**ولما كان الصُبح وقف يسوع على الشاطىء**» بغتةً «**ولكن التلاميذ لم يكونوا يعلمون أنه يسوع**» لأنه أراد أن يعرفوه بالمعجزة أكثر من أن يعرفوه بهيئته.

«**فقال لهم يسوع ياغُلمَّان**» لم يكن سؤاله ليعلم شيئاً لم يعرفه، لأنه علاّم الغيوب، بل ليفتتح الكلام معهم، وليجعلهم يُقرّون بنفوسهم أنهم لم يُمسكوا شيئاً. «**والإدام**» (غموس) فى قوله «ألعل عندكم إداماً» هو كل ما يؤكل مع الخبز، والمُراد به هنا السمك. فأجابوه «لا».

فقال لهم «ألقوا الشبكة الى جانب السفينة الأيمن، فتجدوا» فأطاعوه. فى الحال، ولم يترددوا، كما تردد بطرس لما أمره الرب أن يُلقى الشبكة (لو٥:٥). فألقوا الشبكة «ولم يعودوا يقدرون أن يجذبوها من كثرة السمك». وهذا دليل عملى على قدرة المسيح على كل شيء، وعلى بركة طاعة الله.

٧- فقال ذلك التلميذ، الذى كان يسوع يحبه، لبطرس «هو الرب». فلما سمع سمعان بطرس أنه الرب اتزر بثوبه، لأنه كان عرياناً. وألقى نفسه فى البحر ٨- وأما التلاميذ الآخرون فجاءوا بالسفينة لأنهم لم يكونوا بعيدين عن الارض، إلا نحو مئتى ذراع، وهم يجُرون شبكة السمك ٩- فلما خرجوا الى الأرض، نظروا جمراً موضوعاً وسمكاً موضوعاً عليه وخُبزاً ١٠- قال لهم يسوع «قدموا من السمك الذى أمسكتم الآن» ١١- فصعد سمعان بطرس وجذب الشبكة الى الأرض ممتلئة سمكاً كبيراً مئة وثلاثة وخمسين. ومع هذه الكثرة لم تتخّرق الشبكة ١٢- قال لهم يسوع «هلّمُوا تغدَّوا. ولم يجسر أحد من التلاميذ أن يسأله «منْ أنت؟» إذ كانوا يعلمون أنه الرب. ١٣- ثم جاء يسوع وأخذ الخبز وأعطاهم وكذلك السمك ١٤- هذه مرة ثالثة ظهر فيها يسوع لتلاميذه، بعدما قام من الأموات.

«**فقال ذلك التلميذ الذى كان يسوع يحبه**» (يوحنا الانجيلي) «لبطرس «**هو الرب**» إذ حملته الاعجوبة أن يتفَّرس فيه فعرفه من هيئته. «فلما سمع سمعان بطرس أنه الرب اتزر بثوبه» اى شد وسطه به «لانه كان عرياناً» ليس من كل ملابسه بل من بعضها ليكون نشيطاً فى وقت الصيد.

«**وألقى بنفسه فى البحر**» ليأتى سابحاً على الماء ويصل سريعا الى المسيح لشدة محبته له «واما التلاميذ الآخرون» الستة «فجاءوا بالسفينة لأنهم لم يكونوا بعيدين عن الارض الا نحو مئتى ذراع» (أى قريبين من الشاطيء) «وهم يَجرُّون شبكة السمك» لثقلها من كثرة السمك الذى فيها. إذ لو كانت خفيفة لاستطاعوا ان يرفعوها الى السفينة، كعادة الصيادين.

«**فلما خرجوا الى الأرض (للشاطيء) نظروا جمراً متقداً. وسمكاً موضوعاً عليه. وخبزاً**» والذى أوجد ذلك السمك والخبز هو يسوع، الذى أشبّع الخمسة الآلاف من الخمس خبزات، وهو الذى أرسل ملاكه بالطعام الى إيليا، وهو الذى قال للمخلوقات «كونى فكانت».

ثم قال لهم يسوع «قدِّمُوا من السمك الذى أمسكتم الآن» حتى يعرفوا وفرته ويذكروا معجزة السمك، حين دعاهم ليكونوا صيادّى الناس. «فصعد سمعان بطرس وجذب «بالاشتراك مع التلاميذ الآخرين» الشبكة إلى الأرض ممتلئة سمكاً كبيراً مئة وثلاثاً وخمسين. «ومع هذه الكثرة لم تتخّرق الشبكة».

ووفرة السمك تدل على عِظَم الأعجوبة. وعدم تخرُّق الشبكة يدل على أنه له المجد سيحمى كنيسته من الهرطقات التى يبتدّعها أعداؤها، بقصد تمزيقها. ثم «قال لهم يسوع هلمُّوا تغدوا» من الطعام الذى أعددته لكم وهو السمك المشوى فوق الجمر والخبز الساخن.

وقد أنبأ لوقا (ص٢٤: ٤٢و٤٣) أنه تغدى معهم. «ولم يجسُر أحد من التلاميذ ان يسأله منْ أنت إذ كانوا يعلمون أنه الرب» أى لم يكونوا محتاجين الى الإستفهام منه، لأنهم عرفوا يقيناً أنه الرب، ولأن هيبته قد أراعتهم وأدهشتهم، فلم يجسروا أن يسألوه. والظاهر أنهم خافوا أن يتقدموا للطعام.

ولذا «جاء يسوع وأخذ الخبز وأعطاهم. وكذلك السمك»، أى وزع عليهم كما كان يفعل معهم قبل موته. ليحقق لهم قيامته وعنايته بهم.

«وهذه مرة ثالثة ظهر فيها يسوع لتلاميذه، بعد ما قام من الأموات» بخلاف الدفعات الاخرى التى ظهر فيها لتلاميذه، ولنحو خمسمائة أخ، وذكرها البشيرون الآخرون، والقديس بولس أيضاً.

١٥- فبعد ما تغدُّوا قال يسوع لسمعان بطرس «ياسمعان بن يونا أتحبنى أكثر من هؤلاء؟» قال له «نعم يارب أنت تعلم إنى أحبك». قال له «ارعَّ خرافى» ١٦- قال له أيضاً ثانيةً «ياسمعان بن يونا أتحبُّنى؟» قال له «نعم يارب أنت تعلم إنى أحبك». قال له «ارعَّ غنمى» ١٧- قال له ثالثة «ياسمعان بن يونا أتحبُّنى؟» فحزن بطرس لأنه قال له ثالثة «أتحبنى». فقال له «يارب أنت تعلَّم كل شىء. أنت تعرف إنى أحبك». قال له يسوع «ارعَّ غنمى».

«فبعدما تغدوا» وزال اضطرابهم بأكِله معهم، كأحد الاصدقاء «قال يسوع لسمعان بطرس **يا سمعان بن يونا**» ناداه باسمه الاول إشعاراً له بأنه بإنكاره صار لا يستحق أن يُدعى بطرس.

«**أتحبُّنى أكثر من هؤلاء؟**» أى أكثر من التلاميذ الآخرين. فكأنه يقول له أنت ياسمعان قد افتخرت قبلاً إنك تحبنى أكثر من الجميع، وإنك مستعد أن تضع نفسك عنى، لكنك أنكرّتنى ثلاث مرات. ولم ينكرنى منهم غيرك، فأظهرَّت بذلك إنك أقل منهم إيماناً. وأضعف ثباتاً. فما قولك الآن؟.

فأجاب سمعان وقال له «**نعم يارب أنت تعلم إنى أحبك**». وبهذا الجواب أظهَّر بطرس تواضعه، ولم يقل إنى أحبك أكثر من هؤلاء، كما قال قبلاً، لأن السقوط جعله أكثر حرصاً وخجلاً وحذراً فى اختيار كلماته.

واستشَّهد بطرس على محبته، بعلم المسيح ما فى قلبه من المحبة له «فقال له إرَّعَ خرافى» أى من حيث أنك قد اتضعّتَ وترَكت الإتكال على ذاتك، واعترفت إنك تحبنى وأنا أعلم إنك حقاً تحبنى، فقد غفرّتُ لك إثمك بإنكارك إياى، وأعدَّتك ثانيةً إلى الخدمة الرسولية، فارعَّ خرافى، أى المؤمنين بى.

ثم كرر المسيح سؤاله الأول، وهو «**أَتحبُنى**». ليجعل بطرس يمتحن نفسه ثم كرره ثالثةً، وذلك لكى يُذكَره ثلاثاً. فأعطاه فرصة ليصّرح بمحبته له فى مقابلة الثلاث مرات التى أنكره فيها وليقرر له بقوله «ارعَ خرافى» ثلاث مرات إنه غفر له، وردَّه الى مقامه السابق بين الرسل، كواحدٍ منهم.

ولما سأله المسيح ثالثةً «**حزن بطرس، لتوّهمه إن المسيح مُرتّاب فى محبته، ولخوفه من أن يعرض له ما يُوقعه فى خطية الإنكار**، كما حصل له وقت الآلام. وقول بطرس «يارب أنت تعلم كل شئ» هو إعتراف منه إن يسوع هو الله، لأنه لا يعرف كل شيء من أسرار القلوب (علاّم الغيوب) إلا الله وحده.

١٨- «الحق الحق أقول لك لما كنتَ أكثر حداثة كنتَ تُمنّطق ذاتك وتمشى حيث تشاء. ولكن متى شخت فإنك تمد يديك وآخر يُمنطّقك ويحملك حيث لا تشاء ١٩- قال هذا مُشيراً الى أية ميتة كان مُزمعاً ان يُمجدّ الله بها. ولما قال هذا قال له «اتبعنى»

كأنه يقول له شتان يا سمعان بين حديثك وقديمك، وما بين أول أمرك وأخره. وشتان ما بين تصرفاتك فى صباك، وتصرفاتك فى شيخوختك[1].

فإنك لما كنت شاباً كنتُ وقتئذ تلبس كما تريد، وتذهب حيث تريد ولكن متى شخت «**تمد يدك وآخر يُمنطّقك، ويحملك حيث لا تشاء**» أى يُجبّرك على الذهاب الى المكان الذى لا تريده.

قال المخلص ذلك المَثَل لبطرس «**مُشيراً الى أية ميتة كان مُزمعاً أن يُمجّد الله بها**» فالمقصود من ذلك المثل أن بطرس سينال إكليل الشهادة إذ يموت مصلوباً فيربطه جنود نيرون ويعلقونه على خشبة الصليب، فتمتد يده لأنه سيُصلب منكس الرأس بناء على طلبه ويُربط من وسطه فوق المسامير لئلا تتمزق بالمسامير ويسقط الجسد من ثقله. ونستدل من قوله «**يمجَّد الله بها**» إن الذى يموت شهيداً عن الحق، يْمجَّد من الله بموته أكثر من غيره.

وقول المسيح لبطرس «**اتبعنى**» معناه الحرَّفى إن يسوع إنتقل من ذلك المكان. فأمر بطرس أن يتبعه بالذهاب وراءه، كما يُفهم من العدد التالى. ومعناه الروحى «يجب عليك ياسمعان، أن تنكر نفسك وتحمل صليبك وتتبعنى، فإنك إذا اقتديت بى فى الوداعة والتواضع والقداسة، وتحمُل

(١) قال العلامة أوريجانوس إن القديس بطرس سمع للشعب «فى روما» وهرب. ولكن الرب يسوع قابله وهو حامل الصليب، وأنه سأله عن سبب ذلك. فأعلن له المْخلصّ أنه ذاهب ليْصلب بدلا منه، فخجل وعاد لنيرون، وطلب صلبه مُنكّس الرأس.

الآلام بصبر وشكر، وبذلت نفسك من أجلى، تتبعنى الى ملكوت السموات، حيث الأمجاد التى لا يُعبّر عنها، والتى لا تخطر على قلب إنسان فى روعتها وجمالها الخالد.

٢٠- فالتفّت بطرس ونظر التلميذ الذى كان يسوع يحبه يتبعه. وهو أيضاً الذى إتكأ على صدره وقت العشاء، وقال «ياسيد منْ هو الذى يُسلمك؟ ٢١- فلما رأى بطرس هذا قال ليسوع «يارب وهذا ماله؟» ٢٢- قال له يسوع «إن كنتُ أشاء أنه يبقّى حتى أجئ فماذا لك؟ اتبعنى أنت».

وبينما كان المسيح ماشياً وبطرس يتبعه، حسب الأمر: «إلتفّت بطرس، ونظر التلميذ الذى كان يسوع يحبه» (يوحنا الانجيلي) «وهو أيضاً الذى اتكأ على صدره وقت العشاء وقال «له يا سيد منْ هو الذى يسلمك» كما يتضح من (ص١٣: ٢٥و٢٦).

«**فلما رأى بطرس هذا قال ليسوع «يارب وهذا ما له؟**» أى ماذا يصيب يوحنا فى مستقبل زمانه، وأية ميتة أخرى» فأجابه يسوع قائلاً «**إن كنت أشاء أن يبقى حتى أجئ فماذا لك؟**» اى إن كنت أريد أنك تتبعنى يابطرس فى الموت على الصليب. وأما يوحنا فأريد ان يبقى حياً فلا يموت مصلوباً ولا مقتولاً. بل يستمر حتى يموت موتاً طبيعياً. فما هو شأنك؟ وعليك أن تهتم باتبّاعى، كما أفّهمتك، ودع الاهتمام بشأن صديقك.

وقيل إن معنى «**حتى أجىء**» أن يوحنا يبقى حياً حتى يجيء المسيح بقدرته لخراب أورشليم واليهودية على يد تيّطس، فإن يوحنا مات بعد هذا الخراب. وكانت وفاته فى نهاية القرن الاول. أو بداية القرن الثانى. ومات فى أفسس موتاً طبيعياً.

٢٣- فذاع هذا القول بين الأخوة إن ذلك التلميذ لا يموت. ولكن لم يقُل له يسوع إنه لا يموت. بل «إن كنتُ أشاء أنه يبقّى حتى أجىء فماذا لك؟» ٢٤- هذا هو التلميذ الذى يشهد بهذا. وكتب هذا. ونعلم أن شهادته حق ٢٥- وأشياء أُخَر كثيرة صنعها يسوع إن كُتبت واحدة واحدة، فلستُ أظن أن العالم نفسه يسع الكتب المكتوبة آمين.

«فذاع هذا القول بين الاخوة أن ذلك التلميذ لا يموت» اى أن الاخوة والرسل فهموا من قول المسيح المذكور سابقاً أن يوحنا لا يموت بل يبقى حياً الى أن يجىء المسيح للدينونة «ولكن لم يقل له يسوع إنه لا يموت بل «**إن كنتُ أشاء أنه يبَّقى حتى أجىء فماذا لك؟**» اى أن المسيح لم يقل إنه يبقى حتى مجيئه الثانى. وقد ذكر يوحنا هذا الايضاح، منعاً من أن يُصِّدِق أحد الاشاعة القائلة بانه يبقى حياً حتى مجيء المسيح ثانيةً.

«**هذا هو التلميذ الذى يشهد بهذا، وكتب هذا**» تكلم يوحنا عن نفسه فى هذا العدد بضمير الغائب تواضعاً،ومُصرِّحاً أنه الكاتب لهذه البشارة. وقوله «ونعلم أن شهادته حق» معناه أنا والإخوة كلهم أجمعّنا ان كل ماكتَّبته فى هذه البشارة حق لا ريَّب فيه. وقال بعض المفسرين إن هذه الآية ليست ليوحنا بل أضافها بعض الفضلاء فى آخر الكتاب، فصارت كأنها منه (وهو رأى غير مقبول فى رأينا).

وقوله «**وأشياء أخر كثيرة صنعها يسوع إن كُتبت واحدة واحدة فلستُ أظن أن العالم نفسه يسع الكتب المكتوبة آمين**» معناه على رأى البعض أنه لو ذُكِرَت جميع المعجزات التى صنعها يسوع لما استطاع أهل العالم أن يطيقوا سماعها. ولحسبوها أحلاماً وحكايات باطلة. وربما نسبوها الى السحر والشعوذة. ومعناه على رأى آخرين ان ما كتبه يوحنا فى هذه البشارة من تعاليم المسيح وأعماله ليس سوى قليل من كثير.

وكذلك الإنجيليون الآخرون لم يُدوُّنوا من كل ما قاله وعمله المسيح إلا اليسير ليعلم الناس منه أن يسوع هو المسيح ابن الله، ولكى تكون للمؤمنين به حياة بإسمه. وأما قوله «**لو إنها كُتِبَت ما كان العالم يسع الكتب المكتوبة**» فمن قبيل المبالغة وهذا من مصطلحات الكتاب فى تلك الأيام. والمقصود إظهار العجز فى تدوين كل ما صنعه يسوع.

فكأنه يقول لو كُتِبَت أقوال يسوع وأعماله كلها بالتفصيل، لكانت كتباً عديدة تملأ العالم، كقول سفر الجامعة «لعمل كتب كثيرة لا نهاية» (جا١٢:١٢). وقول اليهود «هوذا العالم قد ذهب وراءه» (ص١٢:١٩) والمراد أن كثيرين اتبعُّوا يسوع.

✣ ✣ ✣

وكان إتمام طبع هذا الكتاب لأول مرة يوم الاربعاء الموافق ٣ كيهك سنة ١٦٢٨ للشهداء الأطهار (١٣ ديسمبر سنة ١٩١١). فليكن لنا أجمعين إيمان بما كُتب فى انجيل ربنا يسوع المسيح وطاعة لأوامره المقدسة، حتى نسمع فى يوم الرب العظيم «نَعِمّا أيها العبد الأمين أُدخل الى فرح سيدك». وللثالوث الاقدس المجد فى كنيسته المقدسة الى الأبد آمين.

† † †

تم بحمد الله

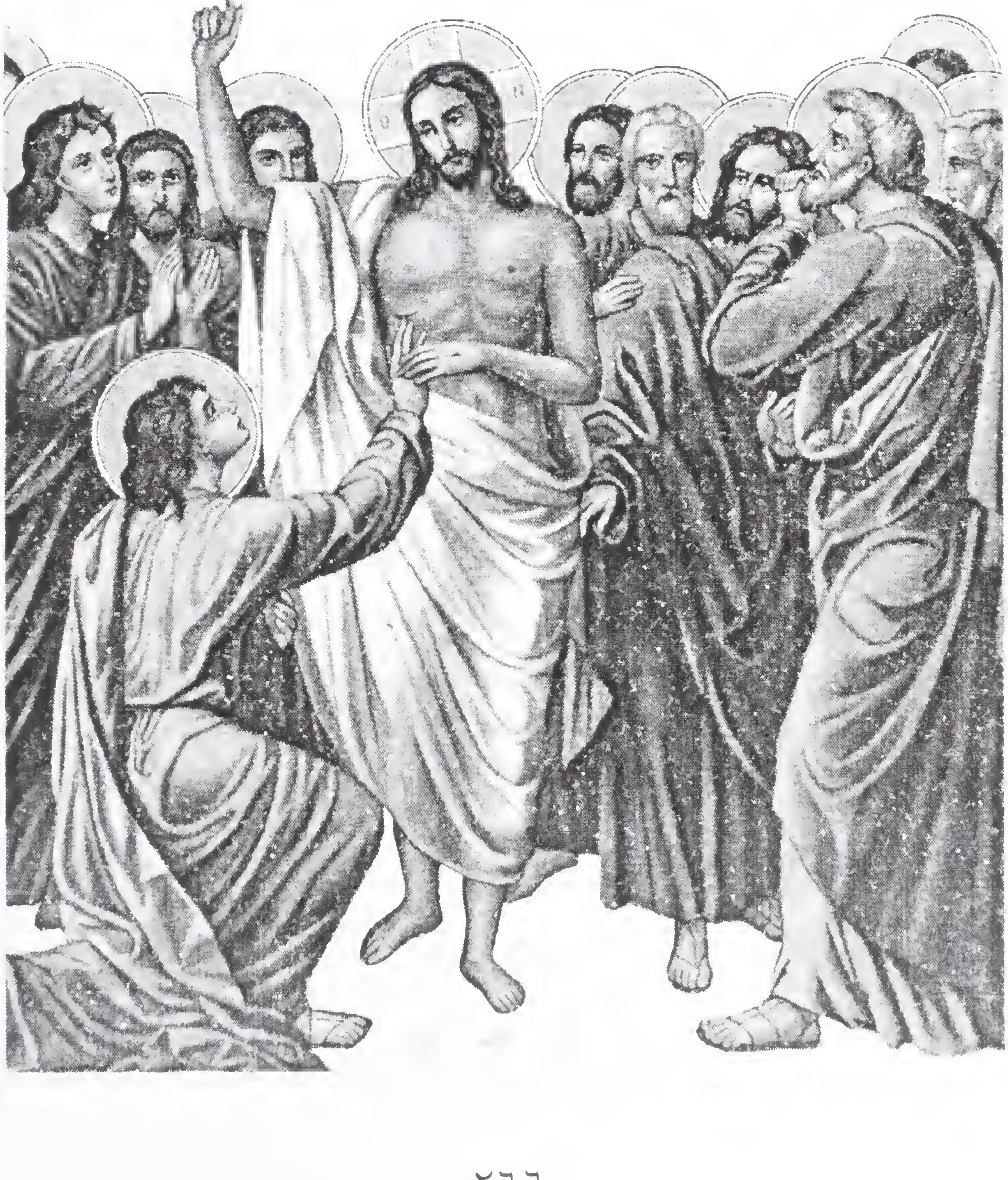

الفهـرس

* مقدمة عن الكاتب ٧
* سيرة القديس يوحنا الرسول ٨
الإصحاح الأول ١٤
الإصحاح الثانى ٣٩
الإصحاح الثالث ٤٧
الإصحاح الرابع ٥٩
الإصحاح الخامس ٧٤
الإصحاح السادس ٨٩
الإصحاح السابع ١١٠
الإصحاح الثامن ١٢٦
الإصحاح التاسع ١٤٥
الإصحاح العاشر ١٥٣
الإصحاح الحادى عشر ١٦٣
الإصحاح الثانى عشر ١٧٧
الإصحاح الثالث عشر ١٩٠
الإصحاح الرابع عشر ٢٠٠
الإصحاح الخامس عشر ٢١١

الإصحاح السادس عشر ٢١٩
الإصحاح السابع عشر ٢٢٧
الإصحاح الثامن عشر ٢٣٤
الإصحاح التاسع عشر ٢٤٢
الإصحاح العشرون ٢٥٠
الإصحاح الواحد والعشرون ٢٥٩

* اطلب باقى تفسير العهد الجديد
* للأرشيدياكون د. ميخائيل مكسى إسكندر
* تفسير روحى، طقسى، عقيدى.
(نشر بمكتبة المحبة)

مؤلفات وترجمات
الأرشيدياكون د. ميخائيل مكسى إسكندر

١- تاريخ وآثارالخمس المدن الغربية.

٢- تاريخ وآثار القدس وبيت لحم.

٣- تاريخ الكنيسة الروسية الأرثوذكسية.

٤- تاريخ البطاركة للأنبا يوساب أسقف فوة.

٥- تاريخ البطاركة للأنبا ساويرس (ابن المقفع).

٦- تاريخ الكنيسة القبطية ، للإنجليزية لويزا بوتشر.

٧- تاريخ المسيحية الشرقية للدكتور عزيز سوريال.

٨- تاريخ الكنيسة القبطية التقليدية لهول باتريك.

٩- موجز تاريخ المسيحية للأنبا ديوسقورس أسقف المنوفية الراحل.

١٠- السنكسار القبطى اليعقوبى ، نشر رينيه باسيه.

١١- الأنبا ديوسقورس، للقمص ارمانيوس حبشى.

١٢- الأنبا ديوسقورس للمطران غريغوريوس بهنام السريانى.

١٣- المسيح فى مصر (عربى + إنجليزى).

١٤- تاريخ الكنيسة ليوحنا النقيوسى.

١٥- تاريخ وأسئلة عن عيد النيروز .

١٦- أبرار معاصرون (٣أجزاء).

١٧- تاريخ مارمرقس الرسول.

١٨- موسوعة عذراى حكيمات (٤أجزاء).

١٩- موسوعات الآباء السواح + الملائكة + الرسل الاثنى عشر والسبعين.

٢٠- جغرافية مصر فى العصر القبطى ، لأميلينو الفرنسى.

٢١- حضارة مصر فى العصر القبطى، للدكتور مراد كامل.

٢٢- الجوهرة النفيسة فى تاريخ الكنيسة ، للأنبا إسيذورس.

٢٣- الخريدة النفيسة فى علوم الكنيسة لإبن سبّاع.

٢٤- علم اللاهوت ، للقمص ميخائيل مينا.

٢٥- موسوعة علوم الدين، لإبن المكين.

٢٦- مذكرات سائح روسى.

٢٧- القول الصحيح فى آلام المسيح، للأنبا بطرس السدمنّتى.

٢٨- دراسة لمخطوطات نجع حمادى (جزءان).

٢٩- الموسوعة القبطية الشاملة (١٤ مجموعة × ١٢ كتاباً لكل مجموعة).

٣٠- الغذاء الروحى اليومى (٤ أجزاء).

٣١- ربنا موجود (سيرة ذاتية).

٣٢- عظات فى كلمات للخُدّام (١٨ جزءاً).

٣٣- ٧٥ سؤال عن الجنس ومشاكله.

٣٤- سيرة حياة المسيح (٢٧ جزءاً).

٣٥- ٢٠ سؤال هام عن الرؤى والأحلام.

٣٦- الموسوعة الطقسية (٤٠٧ سؤال وجواب).

٣٧- مصباح الظلمة فى إيضاح الخدمة ، لإبن كبر.

٣٨- ٦٠ سؤال عن الخطبة والزواج والتطليق والميراث.

٣٩- ١٢٠ سؤال هام عن الأصوام.

٤٠- ٧٥ سؤال عن العشور والبكور والنذور والأوقاف.

٤١- أسئلة محيرة عن العالم الآخر (٤ أجزاء).

٤٢- ١٥٥ سؤال عن التلمود اليهودى وعقائد اليهود.

٤٣- الإيمان المريض (السحر + الحسد + الحظ).

٤٤- مصر المسيحية، للدكتور الألمانى ميناردوس.

٤٥- دراسة عامة للكتاب المقدس كله.

٤٦- تفسير كامل للعهد الجديد (١٦ جزءاً) (عقائدياً + تاريخياً + روحياً).

٤٧- شخصيات كتابية غامضة (أخنوخ ، ملكى صادق ، أيوب ، بلعام)

٤٨- بستان القديسين ، لبلاديوس وجيروم.

٤٩- ميامر مار اسحق، مار افرام السريانى ، الشيخ الروحانى ، يوحنا الدمشقى ، القديس باسيليوس، ابن العبرى وغيرهم.

٥٠- قديسو مصر ، للإنجليزى أوليرى.

٥١- ٦٠ سؤال عن الروح القدس.

٥٢- القديسون المصريون، لبول شينو الفرنسى.

٥٣- المسيحية والبيئة ، وعالم الحيوان فى الكتاب المقدس.

٥٤- العلم والإيمان فى الكتاب المقدس.

٥٥- موقف الكنيسة القبطية من البدعة الأوطاخية.

٥٦- دراسات عن الميلاد، والقيامة (عدة أجزاء).

٥٧- دراسات لحل مشاكل الشباب المعاصر.

٥٨- التعصُّب الأعمى.

٥٩- الإنتماء والولاء.

٦٠- الإلتزام المسيحى.

دراسات باللغة الإنجليزية (للمهاجرين) :

+ سير قديسين (١٠ أجزاء).

+ علاج مشاكل الأسرة المهاجرة (الطلاق).

+ ما يهم شباب المهجر.

+ أسئلة طقسية بالإنجليزية (١٠ أجزاء).

تطلب مـن مكتبة المحبـة

٣٠ ش شبـــرا بالقاهـــرة

ت : ٢٥٧٥٩٢٤٤ - فاكس : ٢٥٧٧٧٤٤٨

مكتبة المحبة
من ذخائر المخطوطات

تفسير المشرقى لإنجيل القديس يوحنا

(العلاّمة الشهير بابن العبرّى السُريانى)

شرح رائع على ضوء كبار الآباء القديسين القُدماء

(١٣٣٦ - ١٣٨٦) م

تبسيط وتعليق
الأرشيدياكون
د. ميخائيل مكسى إسكندر